د. صلاح الخالدى

فلسطين والحقائق القرآنية

المركز العربى الإسلامى للدراسات

بسم الله الرحمن الرحيم

الناشر

المركز العربى الإسلامى للدراسات

٣١٣ شارع بورسعيد- السيدة زينب

تليفون ٣٩٣٣٧٥٥ / ٣٩٠٩٧٦١

فاكس ٣٩٠٠٢٨٣

الإشراف الفنى

طارق الكركيت

تصميم الغلاف

عصام حنفى

رقم الإيداع: ١٩٩٨/١١٣٥٤

فرض على كل مسلم ومسلمة قراءة هذا الكتاب

معروف لدى كل مسلم ومسلمة أن قضية فلسطين ليست كغيرها من قضايا العرب والمسلمين، ليست مجرد تحرير لأرض احتلها المستعمرون أعداء الله.. ففلسطين فى ديننا أرض ذات طبيعة خاصة، إنها أرض مقدسة باركها الله حول القدس وأقصاه.. هذه مسألة بدهية، ولذا كانت القضية الفلسطينية محور إجماع إسلامى لم تشهده أية قضية أخرى منذ بدأ الغزو اليهودى لها، فكل المسلمين يؤمنون بأن التزامهم بدينهم لا يمكن أن يكتمل إن لم تكن أرضهم الفلسطينية المقدسة طاهرة فى كنفهم، وتحت سيطرتهم وحمايتهم.. وكل المسلمين يخشون من عذاب الله فى الدنيا والآخرة إن هم تقاعسوا فى الجهاد وبذل الدماء لكى يستخلصوا فلسطين من يد اليهود.

إلا أن هذه الحقيقة الأولية أخذت عمقا خاصا حين فتح الله بهذه الدراسة على يد د.صلاح الخالدى: حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية.. حين قرأنا هذه الدراسة قررنا فورا أن نعيد نشرها فى القاهرة لتكون تحت أنظار المسلمين فى مصر، ليفهموا قضية فلسطين فى أبعادها الدينية المتكاملة، وليزدادوا ثقة فى نصر الله.

لقد أعادت حركة حماس الوجه الإسلامى للقضية على الأرض الفلسطينية، ونسأل الله أن يسهم مركزنا -بنشر هذا الكتاب- فى إعادة الوجه الإسلامى للقضية الفلسطينية على أرض مصر، فى ظروف تتكاثف فيها الأضاليل.

إن هذا الكتاب يصدر فى مناسبة مرور خمسين عاما على اغتصاب فلسطين.. وعلى كل من يقرأ هذا الكتاب أن يقسم أمام ربه أنه لن يلقى السلاح ولن يتخلى عن المقاومة حتى نحرر الأرض المقدسة.

المركز العربى الإسلامى للدراسات

إهداء

إلى المجاهدين الأبرار على ثرى فلسطين المبارك، الذين يواجهون اليهود بإيمان وجهاد، وثبات ويقين، أقدم لهم هذه الحقائق القرآنية، فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية، وعدوان اليهود عليها، ليزداد هؤلاء المجاهدون إيماناً وجهاداً، وثقة ويقيناً، وأملاً بالنصر، وتحرير كامل فلسطين، وإزالة كيان اليهود عنها، كما تقرر هذه الحقائق القرآنية.

وإلى الآخرين ممن لم يتبنوا خط المواجهة والجهاد، ولم يلتزموا بالإسلام عقيدة وعبادة، وسلوكاً وعملاً، وحركة وجهاداً، والذين مازالوا يبحثون عن شعارات وطروحات وحلول أخرى، ويسعون وراء أوهام وخيالات وأحلام. أقدم هذه الحقائق القرآنية، ليسيروا معنا فى موكب الإيمان والالتزام، والدعوة والمواجهة، والرباط والجهاد، لنسارع بوعينا وحركتنا وجهادنا، فى قدوم النصر والفتح، وهو قادم لا محالة إن شاء الله.

المؤلف

مقدمة

الطبعة الثانية

صدرت الطبعة الأولى من هذه الحقائق القرآنية حول القضية الفلسطينية قبل سنة، في حلقة سابقة من «منشورات فلسطين المسلمة».

وقد استقبل الإخوة القراء الكتاب استقبالاً طيباً، وأبدوا إعجابهم به، وتفاعلهم مع معلوماته وتحليلاته، جزاهم الله خيراً، وأرجو أن يكون قبول الكتاب عندهم، ورواجه بينهم، دليلاً على قبوله عند الله سبحانه وتعالى، فإلى الله وحده أتقدم بهذا الكتاب -وغيره مما أكتب- ومنه وحده أبتغي جزيل الأجر والثواب.

وأتقدم بشكري الجزيل للإخوة الكرام، على ما أظهروه من مظاهر الرضا والاستحسان، وماغمروني به من معاني الكرم والثناء، وإنني أعتز بهذا الرصيد الكريم من هذه المشاعر والعواطف. وهذا الثناء الغامر والتفاعل الحي منهم، يدفعني إلى مزيد من الجهد والنظر، والتحليل والاستنباط، خدمة لإسلامنا العظيم، ونصحاً لجنوده الصادقين الصابرين المجاهدين.

أعدت قراءة الكتاب، بمناسبة رغبة الإخوة القائمين على إصدار هذه السلسلة في إخراج طبعة ثانية له -لنفاد طبعته الأولى- وأجريت على مادته بعض التعديلات والتنقيحات الضرورية، لكن الكلام في مجمله بقي كما هو.

ورأيت أنه من المناسب أن أضيف له بعض الحقائق التي تتمم موضوعه، مثل التمهيد الذي جعلته بين يدي هذه الحقائق القرآنية.

ومثل «الفصل الثامن» الذى جعلت عنوانه: «الرسول صلى الله عليه وسلم يتسلم مفاتيح الأرض المقدسة عند إمامته بالأنبياء ليلة الإسراء».

والفصل التاسع الذى جعلت عنوانه: «الفرات والنيل نهران إسلاميان وما بينهما أرض إسلامية مقدسة».

إن ماجرى فى هذه السنة، من أحداث خطيرة ومفاجآت حادة، بالنسبة للقضية الفلسطينية، والتوسع اليهودى فى بلاد العرب والمسلمين، قد زادنا إيماناً بصحة وصدق الحقائق القرآنية المذكورة فى هذا الكتاب، وزادنا يقيناً بأن اليهود سائرون نحو مستقبلهم الأسود والمظلم الذى حددته آيات القرآن ، وأنهم كلما ازدادوا توسعاً وتمكيناً واستعلاءً، ازدادوا اقتراباً من ذلك المصير الحتمى المدمر!!

وإننى أدعو الإخوة القراء إلى نشر هذه الحقائق القرآنية بين المسلمين، ليزدادوا إيماناً ويقيناً، وعزيمة وجهاداً، وأملاً وعملاً، وسيراً نحو النصر والتمكين.

وكم حمدت الله عندما علمت أن الكتاب قد ترجم إلى بعض اللغات، كالأوردية والأندونيسية والتركية والروسية والإنجليزية. جزى الله خيراً من قاموا بذلك.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

د. صلاح عبد الفتاح الخالدى

الأربعاء ١٤/٢/١٤١٦هـ

١٢/٧/١٩٩٥م

مقدمة
الطبعة الأولى

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونتوب إليه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن الله الحكيم قدّر أن نعيش فى هذا العصر، الذى شهد تحكم الجاهلية فى أقطار العالم، وشهد نجاح الكفار والأعداء فى القضاء على الخلافة الإسلامية، وتمكنهم من إقصاء الإسلام عن الوجود الفعلى الصادق المؤثر فى مجتمعات المسلمين، والذى شهد «غزواً» صليبياً كافراً، من دول الكفر ضد المسلمين، ونجاح هؤلاء الأعداء فى السيطرة على بلاد المسلمين، وتغريب أبناء المسلمين، وإبعادهم عن الالتزام الحقيقى بهذا الدين، إلا من رحم الله من الصالحين الصادقين الثابتين.

وقد ابتلانا الله بأن جعلنا نعيش فى هذا العصر، الذى شهد «بعثاً يهودياً» عالمياً، وهجمة يهودية على الأرض المقدسة، حيث تمكن اليهود من إقامة دولة وكيان لهم على أرض فلسطين، ويطمعون فى السيطرة على كامل الأرض المقدسة المباركة، الواقعة بين النهرين الإسلاميين: النيل والفرات.

إن من ينظر إلى اليهود بمنظار القرآن، لن يخدع بهم أبداً، وإن الذى يتزود فى

جهاده لليهود بزاد القرآن، لن يملّ من الجهـاد أبداً، وإن الذى يتعامل مع القضية الفلسطينية على أساس حقائق القرآن، لن يتخلى عنها، ولن يتنازل عن شبر منها، ولن يفاوض اليهود ولن يصالحهم عليها.

إننا نريـد لقومنا وأهلنا وإخـواننا أن يرجعوا إلى حقـائق القرآن، وأن يتزودوا منه، وأن يستنطقوه وأن يهتدوا بـه، وأن يتحركوا به، وعندها يكـونون قد بدأوا السير خطـوات ثابتـة، فى طريق الجهـاد اللاحب الطـويل، الذى يقـود إلى النصر، وينتهى إلى إزالة كيان اليهـود على أرض فلسطين، ويحقق تحرير كل فلسطين من البحر إلى النهر، ومن رفح إلى الناقورة.

لقد قدمتُ مساهمة سابقة متواضعة فى التعريف بأعدائنا اليهود، على هدى آيات القرآن، حيث نشرت قبل سنـوات كتاب «الشخصية اليهودية مـن خلال القرآن: تاريخ وسمات ومصير». ثم نشرت عدة مقالات فى مجلة «فلسطين المسلمة» خلال ثلاث سنـوات تحت عنوان: «حقائق قـرآنية حول القضيـة الفلسطينية»، ثم رأى الإخـوة الكرام– أسرة تحريـر مجلة «فلسطين المسلمـة» –إصدار هذه المقـالات المسلسلـة المتتابعـة فى كتاب، ليسهل على القـارىء متابعتهـا وقراءتها، ولتكـون مجموعة أمامه.

فأثنيت على رأيهم، وأعـدت قـراءة هــذه المقـالات، ونسقت بينهـا، وجعلت لها العناوين الجانبية، فجاءت على هذه الصورة.

بدأت هذا الكتـاب بالكلام عن الأرض المباركة والأرض المقدســة، كما عرضتها آيـات القـرآن.. ثم تكلمت عن التـاريخ الإسلامـى لفلسطين، منذ إبـراهيم عليـه الصـلاة والسـلام، وبينت أن إبـراهيم عليـه السـلام هـو أول من بنى المسجـد الأقصى فى القـدس، وأن أنبيـاء وملـوك بنى إسرائيل أقـامـوا فى فلسطين حكماً إسـلاميًا، وليس يهوديًـا، وأن دولـة داود وسليمان عليهما الصلاة والسـلام فى فلسطين كانت دولة إسلامية، ولم تكن دولة يهودية.

ثم تحدثت عن موقفنا من التاريخ السابق لبنى إسرائيل، ودعوت إلى تبنى التاريخ الإسلامى الصالح لأنبيائهم ومؤمنيهم وصالحيهم، واعتباره «عمقًا» لتاريخنا، وإلى محاربة تاريخهم السيىء، الذى يقوم على البغى والعدوان.

ثم عرضت آيات قرآنية فى ثلاث سور: آل عمران، والأعراف، والإسراء... ولاحظت من تلك الآيات حديثها عن سنة ربانية، قررها الله على اليهود، وطبقت هذه الآيات على الكيان اليهودى المعاصر، المقام على أرض فلسطين، واستخلصت من حقائقها أن مستقبل هذا الكيان مظلم، وأن اليهود يسيرون بخطى سريعة، نحو حتفهم وهلاكهم وذبحهم.

وكانت الوقفة طويلة أمام آيات سورة الإسراء، التى تتحدث عن إفسادين كبيرين لليهود.

وقد رجحت على هدى تلك الآيات من سورة الإسراء أن إفساد اليهود الأول كان فى المدينة والحجاز، قبيل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذى أزال -مع أصحابه الكرام- إفسادهم الأول، كما رجحت -على هدى تلك الآيات- أننا نعيش الإفساد الثانى لليهود، وسجلت الأدلة على ذلك من الآيات.

وأقدم هذا الكتاب للقراء الكرام، راجيًا أن يجدوا فيه بعض النفع، طالباً منهم أن يخبرونى بما يرونه من ملاحظات واستدراكات، داعيًا الله أن يتقبله بقبول حسن، طامعا منه فى حسن الثواب.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

د. صلاح عبد الفتاح الخالدى

صويلح فى ١٤١٤/١/١٧هـ

١٩٩٣/٧/٧م

تمهيـــد

بين يدى هذه الحقائق القرآنية

يقر كل مسلم واعٍ بصير أن الأمة تواجه فى هذه المرحلة الخطيرة من تاريخها معركة شديدة طويلة مع أعدائها، ومع ألد هؤلاء الأعداء، وهم اليهود.. وأن الأمة اليوم تتلقى هجمة يهودية عنيفة، وغزواً يهوديًا مركزاً شاملاً.. وأن قادة الأمة من الحاكمين والسياسيين لم يعملوا على تعبئة قوى الأمة وحشد طاقاتها، لمواجهة هذا التحدى اليهودى الكبير، بل كانوا عونًا لليهود فى تنفيذ مخططاتهم، وتحقيق هجومهم، وعملوا على إذلال وإخضاع الأمة لليهود.. وصدق فى هؤلاء القادة قول الشاعر «عمر أبو ريشة»:

لايلام الذئب فى عدوانه   إن يك الراعى عدو الغنم

مدركون للمعركة وغافلون عنها

ويدرك كل مسلم واعٍ بصير أن اليهود فى هذه المرحلة من حربهم للأمة، قد قطعوا شوطًا كبيرا فى تنفيذ مخططاتهم، وأنهم قد حققوا كثيرا مما رسموه وأرادوه، وأنهم ماضون قدمًا فى إكمال تحقيق مشاريعهم وبرامجهم ومخططاتهم، للتمكن من المنطقة والسيطرة عليها، وإخضاع العالم معها، وإيجاد العصر اليهودى، والهيمنة اليهودية.

هـذه أمور يقـر بها ويـدركها المسلمـون الـواعـون البصيرون فى هذه الأمـة، ويتفقون فى الإجماع عليها والاعتراف بها.

بينما نـرى قطاعـات كبيرة من الأمة لاتـعى هـذه الأمور، ولاتعيش حقيقـة المعركـة مع اليهود، ولاتقف على الخطـر اليهودى، وهذه القطـاعات الكبيرة التى تضم مـلايين عـديـدة يتعاملـون مع المسألـة بسـذاجـة وبـلاهـة و«عبط»، ويستسـلمون للمكـائد والأسـاليب اليهوديـة، و«ينشغلـون» بشهـواتهم ومنـافعهم ومصالحهـم الذاتيـة الفـردية، ويقبلـون أن يكـونوا «أممين» عبيداً خـاضعين لليهـود، وأن يتحـولوا إلى «حقـل تجارب» للنتاج اليهـودى الكـريـه، والإنتاج اليهودى المدمر.

طابور ينفذ مخططات اليهود

أما «الطابور الكبير» الذى ينخر فى الملايين السـاذجة، والذى يروج فيها الغزو اليهودى، و«يسوق» فيها هذا النتاج اليهودى، فهذا الطابور هو الأداة اليهودية فى التمكن من الأمـة، وهذا الطـابـور مكون من المزورين: من الإعـلاميين والمطبلين، ومن السيـاسيين والـدبلـومـاسيين، ومن الحاكمين والمتنفـذين، ومن المخططين والمنظـرين والمحللين، ومن الكاتبين والمتحـدثين.. كل هـؤلاء المروجين للبضـاعـة اليهودية، أعداء للأمة، وأعوان لليهود.

وإذا كان هذا الطابور يملـك أدوات القيادة والإدارة والسيطرة فى الأمة فتكون المصيبة أكبر، والمؤامرة أعتى، والمعركة أعنف، والمسئولية أعظم!!

قلة بصيرة تثبت الأمة

والذين يعملون على تثبيت الأمة أمـام الخطر اليهودى، وعلى «تحصينها» أمام الفساد اليهودى، وعلى تهيئـة وتربية وإعداد الأمة لتقف أمام الهجمـة اليهودية،

هؤلاء قلة قليلـة فى عددها، ولكنها كثيرة فى أثـرها، عظيمة فى نفعها، وهـذه طبيعة جند الحق دائما، كما قال تعالى: ﴿وقليل من عبادى الشكور﴾.

هذه القلة الواعية البصيرة هى التى تحمل «همّ» المسلمين، وتقوم «بالمسئولية» المنوط بها، وهـذه القلة تعمل جاهـدة على إيقاظ الأمة المسلمـة، وعلى فتح عيونها على الخطـر، وعلى إعـدادها وتـربيتهـا، وتهيئتهـا للقيـام بواجبهـا الجهـادى فى المستقبل.

هى قلة مجاهدة

هذه القلـة العاملـة المجاهـدة تقوم بأكبر واجب، وتـؤدى أعظم رسالـة، وهى الكـواكب النيرة المضيئة فى ليل الأمـة المظلم، وهى الأمل المرتجى لهذه الأمـة، هى التى تبذر الآن بذور الأمل، لتنبت وتنمو فيما بعـد، وتغرس غراس التغيير، لتثمر التغيير المرجو القادم فى المستقبل.

هذه القلة البصيرة المجاهدة تنفق فى هذه المهمـة العظيمة كل ما وهبها الله، من مال ووقت، وسعى وجهد، وفكر ووعى، وقلوب وعقول وأعصاب، وأيام وشهور وسنوات، وآمال وبرامج وأمنيات.

ينطبق على هذه القلة المجاهدة العاملة قول الشاعر:

ذو العقل يشقى فى الوجود بعقله ... وأخو الجهالة فى الجهالة ينعم

وتخاطب هذه القلـة المجاهـدة -المملوءة همة وعمـلا وسعيا وجهـادا- الأمة السادرة اللاهية العابثة، بقول الشاعر:

تعجبين من سـقمى ... صـحتـى هـى العجب

تضحكيـن لاهيـة ... والمـحب ينتحـب

وهى تعى خطورة الموقف

وتـواجه هـذه القلة المجـاهدة بكل الكيـد والمكر والحقـد والكره، حيث يـدرك الأعداء اليهـود، وأعوانهم وعملاؤهم، خطورة هـذه القلة المجاهـدة على مشاريع وبرامج ومخططات اليهود للسيطرة على المنطقـة، ويعلم هؤلاء الأعداء أنه لا يقف أمام اليهـود إلا هؤلاء المجـاهدون، ولا يحصن الأمـة إلا المجاهـدون، ولا يكشف «زيـوف» اليهود إلا المجـاهـدين، ولا يثبت فى المواجهـة إلا المجاهـدون، ولا يبقى ويستمر إلا أثر هؤلاء المجاهدين، ولا ينفع الأمة إلا جهود هؤلاء المجاهدين.

ويريد الأعداء اليهود وأعوانهم سحق هؤلاء المجاهدين والقضاء عليهم، لتخلو الساحة لليهود، ويتمكنوا من تنفيذ مخططاتهم.

لكن القلة المؤمنة الواعية المجاهدة تعـى هذه الحقيقة، وتدرك خطورة المعركة، وتعرف ما هى مقدمة عليه، وتقـف على درجة الخطر.. إنها تتصور كل هذا، لكنها لا تهولها التضحيات الجسام، ولا تخيفها الضريبـة الباهظة، والثمن المرتفع الذى تدفعه.

إن هذه القلة المؤمنة الواعية البصيرة تعرف طريقها، وقسوة ومشقة ووعورة هذا الطريق، وما يتطلبه من بذل وجهـد وتضحية، وما ينتج عنه من آلام ومآس، وتعـرف نهاية هـذا الطريق المضمـونة الأكيـدة، التى تحقق لها الفوز والنجـاح والكسب، والتى تجعلهـا تتحمل كل ما دفعتـه من ثمن بـاهظ لتنال تلك النتيجـة المرجوة، والسعادة المرغوبة.

قلة قبلت التحدى والمواجهة

هذه القلـة المؤمنة المجاهدة تقبل على هـذه المواجهة مع اليهود، وتـدخل ميدان المعركـة معهم، وترضى بـالتحدى، وهى معتصمة بحبل اللـه، متوكلـة على الله، موقنـة بنصر الله، راضية بقـدر الله الذى اختارهـا لهذه المهمة العظيمة، مـؤمنة

بتحقيق وعد الله، راغبة فى نيل مرضاة الله، مزودة بسلاح الإيمان واليقين، والوعى والبصيرة، والصبر والثبات، والجهاد والمواجهة والتحدى.

هذه القلة المجاهدة ثابتة وسط المبدلين، صابرة وسط المرعوبين، شجاعة وسط الجبناء، مستيقظة وسط النائمين، واعية وسط السذج، بصيرة وسط المخدوعين، مهتدية وسط الحائرين، مطمئنة وسط المحبطين، موقنة وسط الشاكين، مجاهدة وسط القاعدين.

تدخل المعركة بهذه النية، وهذه الهمة، وهذه العزيمة، وهذه البصيرة، وهذه الثقة.

ينطبق عليها فى هذا كله قول الشاعر:

وقفت وما فى الموت شك لواقف ... كأنك فى جفن الردى وهو نائم

تمر بك الأبطال كلمى هزيمة ... ووجهك وضاح وثغرك باسم

وتتمثل فى تحديها ومواجهتها وجهادها بقول الشاعر:

سأحمل روحى على راحتى ... وألقى بها فى مهاوى الردى

فإما حياة تسر الصديق ... وإما ممات يغيظ العدى

وما العيش لاعشت إن لم أكن ... مهوب الجناب حرام الحمى

لعمرك إنى أرى مصرعى ... ولكن أغذ إليه الخطى

أرى مقتلى دون حقى السليب ... ودون بلادى هو المبتغى

لعمرك هذا ممات الرجال ... فمن رام موتا شريفا فذا

دعوة للانحياز إليها

إننا ندعو كل راغب فى التغيير، جاد فى الإصلاح، يتمتع بإيمان ووعى، وهمة وعزيمة، وبصيرة وثقة، إلى أن ينحاز إلى هذه القلة المؤمنة الواعية البصيرة المجاهدة، وأن يلتحق بهذا الموكب الإيمانى الجهادى التربوى.. ندعو إلى ترك

السعى وراء السراب، والتخلى عن الأوهــام، وعدم الانخــداع بالبضــائع الفكريــة اليهوديــة المسوقة فى سوق الأمــة، وعدم الاغترار بالــزيوف اليهودية الــرائجة.. ندعــو إلى إزالة الشك والتردد والحيرة، والسير الجاد الصادق فى الطريق الــوحيد المضمون، طـريق التربية والإعداد والتهيئـة والجهاد، طريق المواجهــة والتحدى، والمقــاومــة والتصــدى، والاستعــلاء على كل المعوقــات والمثبطــات، والمغــريــات والمضللات.

هى العنقاء تــأبى أن تصــادا   فعاند من تطيـق له عنادا

ونقول للمترددين الحائرين، والمشفقين الخائفين: اختاورا مواقعكم الآن وسط هذه القافلة المجاهدة، ولا تحجموا بسبب ضخامة التبعة، وارتفاع الثمن، فهذا هو الطريق الوحيد، الذى يليق بإيمان المؤمن، ورجولة الرجل، وعزيمة المجاهد.

تهون علينا فى المعالى نفوسنا   ومن يخطب الحسناء لم يغله المهر

وإذا بقيتم على تــرددكم وإحجامكم، وخــوفكم وإشفــاقكم، فإن القافلــة تسير بدونكم، وإن المهمة تؤدى بغيركم، ولا نريـد أن تستيقظوا متأخرين، فقد يفوتكم القطار، أو قــد لا تجدون فيه مــوطىء قدم، لأن الآخــرين يكونــون قد سبقــوكم وحجزوا أمــاكنهم فيه: **﴿وإن تتــولوا يستبــدل قومــا غيركم، ثم لا يكونــوا أمثالكم﴾**.

لنكن أسبابا للنصر

إن دين الله منصور، بنا أو بغيرنــا، فلماذا لا نكون نحن سببًا بشريًا فى نصره؟ وإن الحق سيعلو، على أيدينا أو أيدى غيرنا، فلماذا لا نعلى نحن لواءه؟ وإن الباطل سيزهق بإذن الله، بجهــودنا أو بجهود غيرنا، فلماذا لا نكون البــادئين بإزهاقه؟ والأجيال القادمة ستحقق ذلك.

لنحرص على أن نكــون ستاراً لقــدر الله، يحقق اللــه قدره فى إيقــاظ الأمة من

خلالنا، وينصر الله الحق على أيدينا، ويقمع الله الباطل بجهودنا، لنحرص على أن نكون أسباباً وأدوات لكل هذا، والمقدر والمسبب والمريد هو الله سبحانه.

دخول المعركة بسلاح القرآن

إلى هؤلاء الثابتين الصابرين، المجاهدين البصيرين، نوجه دعوتنا ليدخلوا المعركة الحتمية مع اليهود، مسلحين بسلاح القرآن، مستنيرين بأنوار القرآن، متعاملين مع حقائق القرآن بإيمان ويقين، ووعى وبصيرة.

اليهود مزورون، وقد كشف القرآن تزويرهم.. اليهود أصحاب زيوف، وقد فضح القرآن زيوفهم.. اليهود «مجمع» نقائص ورذائل ومفاسد، وقد وضح هذا القرآن.. اليهود أعداء ماكرون، وقد عرفنا عليهم القرآن.

الفصـــل الأول

الأرض المبــاركة فــى القــرآن

فلسطين وما حولها بـلاد مباركة، باركهـا الله سبحانه، وهـى أرض مقدسة، قدسهـا الله، وجعلهـا أرض العقيدة والإيمان، وأرض الطهـر والفضيلة، وأرض المواجهة والجهاد، وأرض الرباط والاستشهاد، وأرض الحسم والتقرير.

ولفلسطين وما حولها من البـلاد تاريخ إسلامى إيمانى عريض، هـاجر إليها أنبياء كرام، وعاش فيها رسل عظام، وأقـام بها مؤمنون صـالحون، وجاهد عليها مجاهدون، وقامت فيها دول إسلامية، وهزمت عليها جيوش كافرة.

والإيمان مستقـر راسخ فى فلسطين منذ القـدم، ضـارب بجذوره فيهـا، وكم حاول الكفار اجتثاثه منها، وإرساء الكفر مكانه، فباءت جهودهم بالفشل الذريع.

وجعل الله فلسطين المباركـة- وما حولها من الأرض المقدسـة- لأمة الخلافة والشهادة على النـاس، أمة محمـد -صلى الله عليـه وسلم- وطالبهـا بأن تحافظ عليها، وأن تُفشل مـؤامرات الكـافرين الطامعين فيهـا، وأن تجاهدهم على ثـراها المبارك.

وتعيش هذه الأرض المباركة المقدسـة فى هذا العصر، هجمة «يهودية» شرسة، ومخططات يهوديـة خبيثة للسيطرة عليهـا، والتمكن منها، وجعلها مقـر القيادة اليهودية الشيطانية، للسيطرة على العالم أجمع.

ويقف رجـال مجاهدون أبـرار من المسلمين أمـام هذه المخططـات اليهوديـة،

يعلنون الوجـه الإسلامى البارز لهذه الأرض، والرفض الإيمانى الثـابت للوجود اليهودى عليها، ويقفون أمام الشياطين اليهود برباط وجهاد وثبات.

الله بارك هذه الأرض

أشارت آيات القرآن إلى حقيقة قاطعة، وهى البركة التى باركها الله هذه الأرض المباركة، وجعلها فيها دائمة مستمرة مستقرة.

ولدى نظرتنا إلى ورود «باركنا» فى القرآن فإننا نقف على ملاحظة مهمة، وهى: لقد حصرت آيات القـرآن الفعل الماضـى «باركنا» فى الأرض المبـاركة فلسطين وما حولها.

ورد فعل «باركنا» ست مـرات فى القرآن، وهو فى هذه المرات كلهـا، جاء إخباراً عن الأرض المباركة، وتقرير أن الله سبحانه هو الذى بارك فيها.

مجىء إبراهيم ولوط إلى فلسطين

قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام ﴿**ونجيناه ولوطا إلى الأرض التى باركنا فيها للعالمين**﴾ (سورة الأنبياء: ٧١)

لقد كان إبراهيم عليـه السلام فى العراق، وقام هناك بواجبـه فى الدعوة إلى الله تعالى، ومواجهة قومه الكافرين، وتفنيد كفرهـم وباطلهم، فقد دعا أباه إلى الله، كما تخبر آيات سورة مـريم، ودعا قومه إلى الله، وفنّد عبـادة غير الله، كما تخبر آيات سورة الأنعـام، ودعا الملك الظالم إلى الله، ولما رفض الإيمان تحداه بتغيير حـركة الشمس، كما تخبر آيات سورة البقرة.

ولما رفض قومـه الإيمان، أراد إزالة الحاجـز الذى يحول بينهم وبين الإيمان، وهى الأصنام والأوثان، التى يعتبرونها آلهة، ويعبدونها من دون الله، فلما ذهبوا إلى عيـدهم خارج المدينـة ذهب إلى أصنـامهم فحطمها، ولما عـرفـوا أنه حطمهـا

حاكمـوه، وحكموا عليه بـالحرق بالنـار، ولما أشعلوا النار الكبيرة، وألقـوه فيها، أنقذه الله منها، وجعلهـا برداً وسلامًا عليه، وخرج منهـا سليماً منصوراً ظافراً، كما تخبر آيات سورتى الأنبياء والصافات.

وبهذا وصلت الأمور بينهم وبينـه إلى نقطة الـلاعودة، فكان لابـد أن يفارقهم ويخرج من بينهم، ويبحث عن بلاد جديدة يقوم فيها بواجبه فى الدعوة إلى الله.

فأعلن هجرته من بلده إلى ربه، وخـرج بأهله المؤمنين، وكان لوط عليه السلام ممن هاجر معه، قال تعالى: **﴿فآمن له لوط، وقال إنـى مهاجر إلى ربى، إنه هو العزيز الحكيم﴾** (سورة العنكبوت: ٢٦).

ولما هاجر- هو ولوط عليهما السلام- من العراق، وجههما الله إلى «فلسطين» ليستقرا عليها، ويقيما فيها، ويقوما بواجبهما فى الدعوة إلى الله تعالى.

واستقر إبراهيم عليه السلام فى منطقـة بيت المقدس من الأرض المباركة، بينما وجه الله نبيه لوطا عليه السـلام إلى الشرق من بيت المقدس، ليكون نبيًا عند القوم القاطنين شرق فلسطين، والذين عرفوا فيما بعد بقوم لوط.

هذه الأرض التى أقام فيها النبيان الكـريمان- إبراهيم ولوط عليهما السلام- هى المقصودة بقوله تعـالى فى آية سورة الأنبياء: **﴿ونجيناه ولوطا إلى الأرض التى باركنا فيها للعالمين﴾**.

ذرية إبراهيم فى فلسطين

قال الله تعالى عن إبراهيم وإسحاق عليهما السلام: **﴿وبشرناه بإسحاق نبيًا من الصـالحين، وبـاركنا عليـه وعلى إسحـاق ومن ذريتهما محسن وظـالم لنفسه مبين﴾** (الصافات: ١١٢-١١٣).

أقام إبراهيم عليه السلام فى بقعة من هذه الأرض المباركة التى بارك الله فيها، وذهب مـرة فى زيارة إلى مصر، وجرت لـه مشكلة مـع ملك مصر الظالم الفـاجر،

حيث أراد الاعتداء على زوجه سارة- رضى الله عنها- ولكن الله حفظها وصانها -وهى عند الملك- بمعجزة ربانية باهرة، جعلت ذلك الملك يكرم إبراهيم عليه السلام، ويعطيه «هاجر» رضى الله عنها- كما روى ذلك البخارى فى صحيحه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم- وعاد إبراهيم عليه السلام إلى فلسطين، وهناك ولدت «هاجر» ابنه «إسماعيل» النبى عليه السلام، وتوجه بهاجر وابنها إسماعيل إلى بلاد الحجاز، كما أمره الله عز وجل.

وعاد إلى مقر إقامته فى الأرض المباركة، وهناك حملت زوجه سارة رضى الله عنها، وولدت ابنه الآخر «إسحاق» عليه السلام.

وبارك الله على إبراهيم عليه السلام، المقيم فى الأرض المباركة، كما بارك الله على ابنه إسحاق عليه السلام، المقيم أيضا فى الأرض المباركة: **﴿وباركنا عليه وعلى إسحاق﴾**.

وأقام إسحاق عليه السلام فى الأرض المباركة، بعد وفاة والده إبراهيم عليه السلام، وأقام بعده ابنه النبى «يعقوب» عليه السلام، فى الأرض المباركة فلسطين.

ولما هاجر يعقوب إلى ابنه يوسف عليهما السلام -حاكم مصر وقتها- أخذ معه أولاده، وأقاموا هناك فى مصر.

وتوفى يعقوب وابنه يوسف عليهما الصلاة والسلام، ومر قومهما بنو إسرائيل بعد ذلك بمرحلة الاضطهاد والتعذيب، على أيدى الفراعنة فى مصر.

وطالت فترة اضطهاد بنى إسرائيل فى مصر على أيدى الفراعنة، إلى أن حقق الله مشيئته وإرادته بإنهاء اضطهادهم، فبعث موسى عليه الصلاة والسلام نبيًا، وأرسله إلى فرعون، وطلب منه أن يرسل معه بنى إسرائيل، وأن يسمح لهم بالخروج معه من مصر.

مجيء بني إسرائيل إلى فلسطين

قال الله تعالى: **﴿وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التى باركنا فيها، وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى إسرائيل بما صبروا، ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه، وما كانوا يعرشون﴾** (سورة الأعراف: ١٣٧).

تخبرنا هذه الآية عن نهاية المواجهة بين موسى عليه السلام وقومه المؤمنين من بنى إسرائيل من جهة، وفرعون وقومه من جهة أخرى، حيث أنجى الله موسى عليه السلام وأتباعه المؤمنين من فرعون وقومه، وجعلهم يعبرون البحر إلى الأرض المقدسة، ولما لحق بهم فرعون وملؤه، أطبق عليهم البحر وأغرقهم فيه.

وبذلك أورث الله موسى وقومه المؤمنين الذين كانوا مستضعفين فى مصر عند فرعون وملئه، الأرض التى باركها وبارك فيها سبحانه، وصاروا يتجولون بين مشارق الأرض ومغاربها.

وجعل الله لأولئك القوم المؤمنين هذه الأرض المباركة، جائزة لهم على إيمانهم، وثمرة مباركة لجهادهم وصبرهم، وثباتهم على الحق **﴿وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها، التى باركنا فيها﴾**.

وقد كان خط سير بنى إسرائيل المؤمنين مع نبيهم موسى عليه السلام، بعد تيه جيلهم الخائف الجبان أربعين سنة فى سيناء، كما تخبر آيات سورة المائدة، حيث سار موسى عليه السلام بقومه المؤمنين إلى جهة المشرق، لدخول فلسطين من جهة الشرق: شرق نهر الأردن.

ولكن جاء ملك الموت لموسى عليه السلام، قبل دخول القوم المؤمنين فلسطين المباركة، فتوفاه الله وقومه شرق نهر الأردن، وقبل أن يموت موسى عليه السلام

طلب من ربه أن يدنيه من الأرض المباركة فلسطين، ويقربه منها بضربة حجر، كما روى ذلك البخارى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

روى البخارى، عن أبى هريرة رضى الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث طويل أنه قال: «...فسأل موسى الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر، فلو كنت ثَمّ لأريتكم قبره، إلى جانب الطريق تحت الكثيب الأحمر».

وقاد بنى إسرائيل بعد وفاة موسى عليه السلام «فتاه» يوشع بن نون- رضى الله عنه- ودخل بهم الأرض المباركة، من جهة المشرق، وحملوا معهم جثمان موسى عليه السلام، ودفنوه فى الأرض المباركة، إلى جانب الطريق، تحت الكثيب الأحمر، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولعل هذه المنطقة هى الواقعة بين «أريحا» و«القدس» والمعروفة باسم الخان الأحمر.

مظاهر حكم سليمان فى فلسطين

قوله تعالى عن سليمان عليه السلام: **﴿ولسليمان الريح عاصفة، تجرى بامره إلى الأرض التى باركنا فيها، وكنا بكل شىء عالمين﴾** (سورة الأنبياء: ٨١).

استقر بنو إسرائيل المؤمنون فى الأرض المباركة «فلسطين» وأقاموا فيها حكماً إسلاميًا على يدى يوشع بن نون- رضى الله عنه- وخلفائه المؤمنين الصالحين.

وجدّت لهم فيها أمور بعد ذلك، وحدثت منهم مخالفات، فعاقبهم الله، وسلط عليهم أعداءهم الكافرين، فهزموهم فى الأرض المباركة، ثم عادوا إلى الله تعالى، ورغبوا فى الجهاد، فاختار لهم من بينهم «طالوت» ملكًا، وقادهم طالوت فى حرب

زعيم أعدائهم الكفار «جالوت» وانتهت الحرب بـانتصار طالوت وجيشه المؤمن، على جالوت وجيشه الكافر، وجاءهم نصر الله فى تلك المعركة.

وبرز من بين جيش طالوت -رضى الله عنه- شاب مؤمن مجاهد، هو «داود» عليه السلام، الذى هجم على الكافر «جالوت» وقتله، كما تخبرنا آيات سورة البقرة، فى قصة طالوت وجالوت وداود.

وحكم داود بنى إسرائيل بعد ملكهم طالوت، وأقام فيهم حكماً إسلامياً ربانياً عادلاً، وبعد وفاته ورثه ابنه سليمان -عليهما السلام- وأقام فيهم حكماً إسلامياً إيمانياً مباركاً.

ومكن الله للنبى الملك الداعية العادل -سليمان عليه السلام- فى الأرض، وتوسع ملكه وسلطانه، وامتدت دولته خارج «الأرض المباركة» ووصلت إلى اليمن، حيث مملكة سبأ هناك، واتصل سليمان عليه السلام بملكة سبأ، ودعاها إلى الإيمان بالله وترك عبادة الأصنام، وجرت له معها وقائع وتفصيلات، ذكرتها آيات سورة النمل، وانتهت بمجىء ملكة سبأ إليه، وإسلامها بين يديه، حيث قالت: ﴿**رب إنى ظلمت نفسى، وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين**﴾ (سورة النمل: ٤٤).

وسخر الله لسليمان عليه السلام ما لم يسخر لغيره، حيث ذلل له الجن، وحكّمه فى الشياطين، وجعل الريح تحت أمره، تتحرك بمشيئته: ﴿**فسخرنا له الريح، تجرى بأمره رخاء حيث أصاب، والشياطين كل بناء وغواص، وآخرين مقرنين فى الأصفاد**﴾ (سورة ص: ٣٦-٣٨).

هذه الريح كانت تغدو بأمر سليمان عليه السلام فى مدة شهر، وتروح وتعود فى مدة شهر، وتتحرك فى مختلف بقاع وأطراف مملكته الإسلامية، من فلسطين إلى اليمن: ﴿**ولسليمان الريح غدوها شهر، ورواحها شهر، وأسلنا له عين القطر**﴾ (سورة سبأ: ١٢).

وقد أخبر الله فى سورة الأنبياء، أن هـذه الريح كانت تجرى بأمر سليمان عليه السـلام إلى الأرض المباركـة فلسطين، التى بارك اللـه فيهـا، وتحمل لها الرخـاء والغيـث والخصـب والخير: ﴿ولسليمان الـريح عـاصفـة، تجرى بأمـره إلى الأرض التى باركنا فيها﴾.

الصلة بين اليمن وفلسطين زمن سليمان

قوله تعالى عن الصلة بين سبأ وفلسطين: ﴿وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنـا فيها، قـرى ظاهرة، وقـدرنا فيها السير، سيروا فيهـا ليالى وأيـامًا آمنـين، فقـالوا: ربنـا بـاعـد بين أسـفارنا، وظلمـوا أنفسهم، فجعلنـاهم أحـاديث ومزقنـاهم كـل ممـزق، إن فى ذلك لآيـات لكـل صبّار شـكور﴾ (سـورة سبأ: ١٨-١٩).

لقـد نشأت صلـة وثيقـة، بين مملكـة سبأ فى اليمن، وبين فلسطين الأرض المباركة، بعـدما أسلمت ملكة سبأ، واتبعت سليمان عليه السـلام، وأتته إلى مقره فى فلسطين.

ويبدو أن مُلك سليمان وصل إلى سبأ فى اليمن، وأنها كانت ضمن مملكته. وقد أدى حكم سليمان لليمن إلى ازدهـار الحياة بين فلسطين واليمن، وانتشـار الخير والرخاء بينهما، وإنشـاء القرى والتجمعات السكنية على الطـريق وبالذات شمال اليمن، فى منطقة عسير والحجاز.

ومعنى قـوله: ﴿وجعلنـا بينهم وبين القـرى التى بـاركنـا فيهـا قـرى ظاهرة﴾.. أى جعل الله قرى ظاهرة بـارزة عـامرة، آهلة بالسكان بين قوم سبأ فى اليمـن، وبـين القـرى التى بارك الله فيهـا. والقرى التى بارك اللـه فيها، هى قرى ومدن فلسطين المباركة، التى كانت عـامرة آهلة بالسكان أثناء حكم سليمان عليه السلام.

وتسجل الآيــة آثــار حكم سليمان لفلسطين واليمن، زمن ملكــة سبأ، وتبين مظاهر الخير والبركة والرخاء، التى شملت المنطقة كلها نتيجة لحكمه، حيث حكم البلاد بشرع الله، ومعلوم أن النماء والرخاء والبركة ملازمة للحكم بما أنزل الله، إلا إذا أراد الله الابتلاء بالضراء.

ولكن أهل سبأ فى اليمن ظلموا أنفسهم، بعد حكم سليمان عليه السلام، وعادوا إلى الكفــر، وكفروا بتلك النعمــة والرخــاء، فأوقع الله بهم عــذابه، وحــرمهم ذلك الرخاء ودمر جناتهم وبساتينهم، وخرب قراهم وتجمعاتهم، ومزقهم شر ممزق، وجعلهم أحاديث. وزالت تلك القــرى الظاهرة بين اليمن وبين الأرض المبــاركة فى فلسطين، بسبب كفر أهلها، وهذه نتيجــة لازمة لكل إقصاء لحكم الله، وحكم بغير ما أنزل الله.

الإسراء إلى فلسطين

قــوله تعــالى عن الإسراء إلى الأرض المباركــة: **﴿سبحان الــذى أسرى بعبده ليلاً، من المسجــد الحرام إلى المسجد الأقصى، الذى بــاركنا حوله، لنــريه من آياتنا، إنه هو السميع البصير﴾** (الإسراء: ١).

هــذه هى المرة الأخيرة –حسب التسلسل التــاريخى– التى أخبر الله فيهــا عن فلسطين أرض الإسراء بأنها أرض مباركة.

لقد شاء اللــه الحكيم أن يعيش آخر المرسلين محمد عليــه الصلاة والسلام فى بلاد الحجاز، عند بيته المحــرم فى مكة، وأن يكون إسراؤه به من المسجد الحرام فى مكــة المكرمــة، إلى المسجد الأقصى فى الأرض المبــاركــة، تمهيدا لعــروجه بــه إلى السموات العلى.

فكان الإسراء إلى الأرض المباركة ربطــاً آخر بين البقعتين المباركتين فى الحجاز وفلسطين، مكة والقدس، المسجد الحرام والمسجد الأقصى.

لقد تم الارتباط بين البقعتين مرتين:

المرة الأولى: زمن سليمان عليه الصلاة والسلام، عندما جمع بين ملك فلسطين وملك اليمن، والحجاز وعسير، وكان هذا الربط ثمرة من ثمار الحكم الإسلامى الربانى، الذى أقامه سليمان عليه السلام، فى كل من فلسطين واليمن. ولما تخلى اليهود بعد موت سليمان عليه السلام بفترة عن هدى الله، وكفروا وطغوا وبغوا هم وكفار سبأ فى اليمن، قطع الله بين البقعتين، ودمر القرى الظاهرة بينهما، ومزق قوم سبأ شر ممزق، وشرد اليهود من فلسطين وشتتهم فى الأرض.

المرة الثانية: لما أسرى الله برسوله صلى الله عليه وسلم إلى الأرض المباركة، لأنه خاتم المرسلين، ورسالته خاتمة الرسالات، وأمته خاتمة الأمم، أمة الشهادة والخلافة على العالمين، حتى قيام الساعة، والأمة الوارثة للدين والإيمان والإسلام، الذى جاء به الأنبياء السابقون، والأمة الوارثة للبركة والقداسة، وهى الأمة الوارثة للأرض المباركة فلسطين، ورثتها من الأنبياء الكرام، إبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى وداود وسليمان عليه الصلاة والسلام.

وبوصول «إرث» الأرض المباركة إلى هذه الأمة المباركة، عمت البركة الربانية هذه الأرض وما حولها: **﴿إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله﴾** وشملت كل البقعة المباركة، الممتدة ما بين النهرين: الفرات والنيل.

ولهذا رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذين النهرين -الفرات والنيل- ينبعان من الجنة، لما صعد إلى السماء السابعة فى ليلة المعراج، أثناء رحلة الإسراء والمعراج.

ستة مظاهر تاريخية للبركة فى فلسطين

بعد هذه الجولة السريعة مع العرض القرآنى للأرض المباركة، نرى أن الله سبحانه قد بارك المسجد الأقصى وما حول المسجد الأقصى، وامتدت هذه البركة الربانية لتشمل البقعة الإسلامية الواقعة بين النهرين: الفرات والنيل.

لقد مرت «البركة» الربانية للأرض المباركة بعدة مراحل، أشارت آيات القرآن إلى ست مراحل تاريخية منها حاولنا ترتيبها تاريخيًا، أثناء وقفتنا مع الآيات الست التى تحدثت عنها:

١- هجرة إبراهيم ولوط عليهما السلام إلى الأرض المباركة، قادمين من العراق، كما أشارت آية سورة الأنبياء.

٢-البركة التى جعلها على إبراهيم وابنه إسحاق، عليهما وذريتهما الصالحة، عندما أقاما فى الأرض المباركة، كما أشارت آية سورة الصافات.

٣-توريث الله لبنى إسرائيل المؤمنين هذه الأرض المباركة، زمن موسى عليه السلام كما أشارت آية سورة الأعراف.

٤-حكم سليمان عليه السلام لهذه الأرض المباركة وانتشار الخير والنماء فيها، كما أشارت آية سورة الأنبياء.

٥-انتشار القرى الظاهرة العامرة بين هذه الأرض المباركة وبين اليمن، أثناء حكم سليمان عليه السلام، مظهر من مظاهر الحكم بشرع الله، كما أشارت آية سورة سبأ.

٦-انتهاء هذه الأرض المباركة للأمة المسلمة، واستقرارها لها، ووراثة الأمة لحكمها، بعد هذه الجولة التاريخية الطويلة وبقاؤها فيها حتى قيام الساعة- باستثناء فترات تاريخية قصيرة- كما أشارت آية سورة الإسراء.

دلالات ولطائف من الآيات

وعندما ننظر فى الآيات السابقة، فإننا نستخلص منها بعض الدلالات والإشارات واللطائف والإيحاءات منها:

١–أن فعل «باركنا» فى الآيـات الست كلها مسند إلى الله سبحـانه، أى أن الذى بارك هذه الأرض المباركة هو الله.

٢–أن فعل «باركنا» فى الآيات الست مطلق، غير مقيد، ولا محدد بزمن أو نوع، وهذا يدل على أن البركة الربـانية لهذه الأرض المباركة مطلقة غير محددة ولا مقيدة، وهى شاملة لكل أنواع البركة.

ومن مظاهر هذه البركة الربانيـة: البركة الإيمانية، والبركة الأخلاقية، والبركة التاريخية، والبركة السياسية، والبركـة الاقتصادية، والبركة الاجتماعية، والبركة الجهادية، والبركة الحضارية، والبركة المستقبلية.. وغير ذلك.

٣–التعبير عن البركـة الـربـانيـة بالفعل الماضـى «باركنـا» يـدل على ثبـوت واستقـرار البركة الـربانيـة لهذه الأرض، لأن الفعل الماضى يفيد الثبـات والاستقـرار، فاللـه سبحانـه قـد شاء استقـرار البركة فى هـذه الأرض، وجعلها ثابتة فيها.

ولهذا ستبقى هذه البركة الشاملة مستقـرة فيها، على اختلاف فترات التاريخ، ولن ينجح الأعـداء فى انتزاعهـا وتفـريغها منهـا، مهما بـذلوا من جهـود فى ذلك، وستبقى لها هذه البركة حتى قيام الساعة.

لن يزيل بـركة الأرض المباركـة فترات خاصة قصيرة من التـاريخ، يأذن الله فيهـا بسيطرة كفـار على هذه الأرض وحكمهم لها، ثم يأذن بـدحرهم عنهـا، كما حصل للصليبيين فى الماضى، وكما يحصل لليهود الآن، فإن بـركة الأرض فى هذه المرحلـة تكـون فى إحـياء الإيمان فى قلـوب المسـلمين وإيقـاظ روح الجهـاد والتحدى فيهم، وتجميعهم على الجهاد لدحر الكفار وطردهم، وهذه بركة جهادية ملحوظة.

بركة مكان وزمان وإنسان

٤- البركة المذكورة فى الآيات الست، أحيانا تكون للأرض المباركة فلسطين، حيث ذكرت «باركنا فيها» أربع مرات، وأحيانا تكون لمن يسكن هذه الأرض المباركة من الأنبياء والصالحين، وعندها تكون البركة على ذلك الساكن، كما قال الله عن إبراهيم وابنه عليهما السلام: ﴿**وباركنا عليه وعلى إسحاق**﴾.

و«باركنا حوله» يفيد أن البركة تتوسع وتشع فى دوائر حول المسجد الأقصى، وتتعدد هذه الدوائر وتكبر، فنواة البركة ومحورها هو المسجد الأقصى وبيت المقدس، ودوائر هذه البركة متلاحقة لتشمل كل الأرض المباركة الواقعة ما بين الفرات والنيل.

وهذا معناه أن البركة الربانية للأرض أولاً «باركنا» ثم لساكن هذه الأرض ثانيًا «باركنا عليه»، ثم للأماكن حول هذه الأرض «باركنا حوله» أى: هى بركة مكان، وبركة زمان ، وبركة إنسان.

بركة الإنسان مقيدة بالإيمان

٥- إذا كانت بركة الزمان والمكان مطلقة من خلال الآيات، فإن بركة الإنسان- المقيم فى هذه الأرض- ليست مطلقة، بل تبين الآيات أن بركة الإنسان مقيدة بقيود، ومشروطة بشروط:

فبركة الله على إبراهيم وإسحاق عليهما السلام الساكنين فى هذه الأرض لأنهما نبيان كريمان، عليهما الصلاة والسلام، ولما تكلمت الآيات عن ذريتهما، قسمتها إلى قسمين: «وباركنا عليه وعلى إسحاق،ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين».

فنسلهما المؤمن المحسن مبارك، وهم المؤمنون الصالحون من بنى إسرائيل فى التاريخ القديم، وهم أنبياؤهم كموسى وهارون وداود وسليمان عليهم الصلاة والسلام، وأتباعهم من المؤمنين الصالحين، ونسلهما الظالم لنفسه المبين، غير

مبارك، وهم الأجيال السيئة من اليهود، والأحفاد الكافرون الذين طغوا وبغوا وظلموا، فنزع الله عنهم بركته، وأوقع بهم لعنته، ولما كانوا مقيمين فى الأرض المباركة أخرجهم منها، وشتتهم فى بقاع الدنيا.

هى بركة للعالمين

٦- تخبرنا الآيات أن البركة الربانية فى الأرض المباركة، ليست إقليمية ولا عنصرية، ولا طائفية، فليست لقوم، أو مجموعة، أو أمة، وإنما جعلها الله عامة للعالمين: «الأرض التى باركنا فيها للعالمين».

والعالمون هم الناس جميعاً، على اختلاف الزمان والمكان، فى أى بقعة من بقاع الأرض.

وكون البركة فى الأرض المباركة للعالمين، رد قرآنى واضح على دعاوى اليهود العنصرية، فى أن الله جعل هذه الأرض المباركة لهم وحدهم، منذ إبراهيم الخليل عليه السلام، وحتى قيام الساعة، كما تذكر نصوص التوراة المحرفة، أن الله قال لإبراهيم عليه السلام: هذه الأرض لك، ولبنيك، حتى قيام الساعة.

كما أن هذا البيان القرآنى: «باركنا فيها للعالمين» رد على دعاوى أصحاب النظرة الضيقة المتعصبة من الفلسطينيين، الذين ينظرون إلى الأرض المباركة نظرة إقليمية، فيجعلونها قضية فلسطينية محضة، لاشأن للآخرين بها، ومن يوسع منهم أفقه يجعلها نظرة قومية عربية ضيقة أيضاً تهم العرب وحدهم.

إن فلسطين قضية إسلامية عالمية تهم كل مسلم أينما كان، ويعتبرها قضيته الأولى وشغله الشاغل، لأنها مرتبطة بالعقيدة الإسلامية التى هى واحدة عند كل مسلم أينما كان.

هذه ست دلالات ولطائف من الآيات الست، التى تحدثت عن البركة الربانية فى هذه الأرض المباركة، وهناك دلالات ولطائف وإيحاءات أخرى تشملها هذه الآيات، نترك للقراء المتدبرين الكرام تدبرها وملاحظتها ليتدبروا معنا آيات كتاب الله الكريم.

الفصل الثانى

الأرض المقدسة فى القرآن

آيات التقديس فى القرآن

وردت مادة «قدّس» فى القرآن عشر مرات:

١- الفعل المضارع «نقدّس» ورد مرة واحدة، فى اعتراف الملائكة بأنهم دائماً مشغولون بتسبيح الله وتقديسه: ﴿**قالوا: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء، ونحن نسبح بحمدك، ونقدّس لك**﴾ (سورة البقرة: ٣٠)

جبريل هو روح القدس

٢- «روح القُدُس» ورد أربع مرات، وصفاً لجبريل عليه السلام.

ثلاث مرات منها، فى بيان إنزال الله سبحانه للروح القُدُس جبريل عليه السلام، على عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام، تأييداً له:

أ- قوله تعالى: ﴿**وآتينا عيسى بن مريم البينات، وأيدناه بروح القُدُس**﴾ (سورة البقرة: ٨٧)

ب- قوله تعالى: ﴿**وآتينا عيسى بن مريم البينات، وأيدناه بروح القُدُس**﴾ (سورة البقرة:٢٥٣)

جـ- قوله تعالى لعيسى عليه السلام: ﴿**اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك: إذ أيدتك بروح القُدُس، تكلم الناس فى المهد وكهلاً**﴾ (سورة المائدة: ١١٠)

د-والمرة الرابعة: أشارت إلى حمل الروح القُدُس عليه السلام للقرآن الكريم، وإنزاله على قلب محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿قل نزله روح القدس من ربك بالحق، ليثبت الذين آمنوا، وهدى وبشرى للمسلمين﴾ (سورة النحل: ١٠٢)

ونلاحظ أن الكلام عن جبريل عليه السلام بوصف «الروح القدس» لم يرد إلا فى إنزاله لكتابين من كتب الله: «الإنجيل» و«القرآن»، على نبيين من أنبياء الله: «عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام».

مع أن جبريل الروح القدس، هو الذى أبلغ النبوة إلى كل أنبياء الله السابقين، وأنزل عليهم كلام الله، فلماذا وُصف بالروح القدس فى الكلام عن النبيين عيسى ومحمد عليهما السلام، وإنزال الكتابين: الإنجيل والقرآن؟

أرى أن هذا رد على اليهود الكافرين، فاليهود كفروا بالنبيين الكريمين: عيسى ومحمد عليهما السلام، وآمنوا بمن سبقهم من الأنبياء وكفروا بالكتابين الربانيين: القرآن والإنجيل، وآمنوا بما سبقهما من كتب الله.

وكأن هذه الآيات الأربع فى «الروح القدس» تنزع القداسة والطهارة عن هؤلاء اليهود، لكفرهم بالنبيين والكتابين، وتثبت لهم بسبب ذلك الكفر الدنس والرجس النجس، وتجردهم من الطهر والخير والبركة.

فجبريل عليه السلام، هو الروح القدس، نزل بكتابين مقدسين: من عند الله: الإنجيل والقرآن، كلهما طهارة وقداسة، على نبيين طاهرين مقدسين: عيسى ومحمد عليهما السلام، وذلك ليقدس نفوسنا بهما ويطهرها ويباركها.

فمن آمن بهذين النبيين والكتابين معاً فهو طاهر مقدس، ومن كفر بالنبيين والكتابين فهو رجس دنس نجس، فاليهود الكفار مجردون من الطهارة والقداسة.

٣- «القدوس» ورد مرتين باعتباره اسماً من أسماء الله سبحانه وتعالى، وردا فى سورتين مـــدنيتين، كل منهما تتكلم عــن اليهـــود، وعن الصراع بين المسلمين واليهود.

أ- قال تعـالى فى سورة الحشر: **﴿هو اللــه الذى لا إله إلا هــو، الملك القدوس السـلام المؤمـــن المهيمـــن العــــزيز الجبـار المتكبـــر، سبحـان اللـه عمـــا يشركون﴾** (سورة الحشر: ٢٣)

ب- قال تعالى فى سورة الجمعة: **﴿يسبح لله ما فى السموات وما فى الأرض، الملك القدوس العزيز الحكيم﴾** (سورة الجمعة: ١)

وسورة الحشر تتحدث عن أول الحشر، أى أول المراحل الزمنية للصراع الدائم الطويل بين المسلمين واليهـود، وهى التى بدأت فى عهد رسول اللـه صلى الله عليه وسلم، حيث أشارت السورة إلى إخراج يهود بنى النضير من المدينة.

فالله القدوس هـو الذى نصر هذه الأمة الطيبة الطاهـرة على أعدائها، من يهود بنى النضير.

وسورة الجمعة تتحدث عن صلاة الجمعـة، الواجبة على المسلمين، والتى تقود إلى طهارتهم وخيرهم، كما تتحدث عن «نجـاسة» اليهود، عندمـا رفضوا الالتزام بـالتوراة كتـاب الله، فتشبههم بـالحمار: **﴿مثل الـذين حملـوا التـوراة ثم لم يحملوها، كمثل الحمار يحمل أسفاراً﴾** (سورة الجمعة: ٥)

فليس مصـادفـة أن يُذكـر اسم اللــه «القـدوس» فى هاتين الســورتين، اللتين تتحـدثان عن المواجهـة بين أمـة محمـد المباركـة، التى طهرهـا الله، واليهـــود الأنجاس.

و«القدوس» صيغة مبـالغة، من القداسة والطهارة، فاللـه القدوس، المنزه عن

كل نقص، وهو وحده مانح الطهارة والقداسة لما شاء من الأراضى والبقاع، ولمن شاء من الخلق والناس.

طُوى هو الوادى المقدس

٤- «المقـدّس» اسم المفعول من القـداسـة، ورد مرتين فى قصـة موسى عليه السلام، عندما ناداه الله وهو عائد من مَدْيَن إلى مصر، وكلفه بالذهاب إلى فرعون:

أ- قال تعالى: ﴿**فلما أتاها نودى يـاموسى. إنى أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى**﴾ (سورة طه: ١١-١٢)

ب- قال تعالى: ﴿**هل أتاك حديث موسى، إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى، إذهب إلى فرعون إنه طغى**﴾ (سورة النازعات: ١٥-١٧)

وهـذا الوادى المقـدس، الذى نـادى اللـه موسى فيـه، فى سيناء، اسمـه وادى طوى.. لأن طوى في الآيتين بَدَلٌ من الواد.

وهو الـذى قال اللـه عنه: ﴿**فلما أتـاها نـودى من شاطىء الـواد الأيمن، فى البقعـة المباركـة من الشجـرة أن يـاموسـى إنى أنـا الله رب العـالمين**﴾ (سورة القصص: ٣٠).

ونلاحظ أن القرآن وصف الوادى والبقعة بصفتى القداسة والبركة، فالواد هو «الواد المقدس»، والبقعة التى فيه، هى البقعة المباركة.

والمقدّس صفة الوادى وهو اسم مفعول، وهـو مأخوذ من القداسة والطهارة، والذى قدسه وطهـره هو الله سبحانه. و«المباركـة» صفة البقعة التى فى الوادى، وهى اسم مفعـول من البركة والنماء، والـذى باركهـا وأقرّ الخير فيهـا هو اللـه سبحانه.

وهذا معنـاه أن أرض سيناء أرض مباركـة ومقدسة بنص هـذه الآيات، وهى

جزء من الأرض المباركة المقدسة، الواقعة مابين النهرين الإسلاميين: الفرات والنيل.

الأرض المقدسة مابين النيل والفرات

٥- الأرض المقدسة: اسم مفعول من القداسة، صفة للأرض المباركة، وردت مرة واحدة، فى قصة موسى عليه السلام، عندما خرج ببنى إسرائيل من مصر، وأقاموا فترة فى سيناء، فأمرهم بدخول فلسطين، فرفضوا وجبنوا عن الجهاد، فكتب الله عليهم «التيه» فى الصحراء أربعين سنة، حتى نشأ جيل جديد على الجهاد، فقادهم موسى عليه السلام، ودخل بهم خليفته «يوشع بن نون» الأرض المقدسة.

ورد هذا الكلام فى آيات سورة المائدة، قصة «تيه» بنى إسرائيل فى الآيات من سورة المائدة (١٩-٢٦).

والذى يستوقفنا منها الآن قوله تعالى: **﴿ياقوم ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم، ولاترتدوا على أدباركم، فتنقلبوا خاسرين﴾** (المائدة: ٢١).

والأرض المقدسة التى أمرهم موسى عليه السلام بدخولها، هى فلسطين، حيث كانوا مقيمين فى صحراء سيناء وقتها.

ومعنى قوله: **﴿ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم﴾** أن الله كتبها وجعلها لذلك الجيل المؤمن من بنى إسرائيل، كتبها الله له لإيمانه وطاعته لله، وليس لأنه من نسل إبراهيم عليه السلام، فكتابة الله الأرض المقدسة لبنى إسرائيل زمن موسى عليه السلام، كتابة خاصة، فى زمن خاص، لجيل خاص، لعلة خاصة، وليست كتابة أبدية عامة «جنسية» لليهود باعتبارهم يهوداً، حتى قيام الساعة، كما يزعم يهود هذا الزمان.

لقد كتب الله الأرض المقدسة فلسطين لذلك الجيل المؤمن من بنى إسرائيل، لإيمانهم وفضلهم على الكافرين الذين كانوا فى زمانهم، ومكنهم من دخولها على يد «يوشع بن نون»، ونصرهم على أعدائهم الكافرين، وأقاموا فى فلسطين معززين مكرمين، إلى حين.

فلما جاءت أجيال جديدة منهم، وخالفت شرط الاستخلاف، ونقضت عهد الله، وكفرت وبغت، أوقع الله بها لعنته وسخطه، ونزع الأرض المقدسة منهم وكتب عليهم الشتات والضياع فى بقاع الأرض، بمفهومها العام، كما قال الله: **﴿وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب، إن ربك لشديد العقاب، وإنه لغفور رحيم، وقطعناهم فى الأرض أمماً﴾** (سورة الأعراف: ١٦٧– ١٦٨).

و«المقدسة» اسم مفعول، يدل على أن الله سبحانه هو الذى قدس هذه الأرض وطهرها.

دلالات من آيات التقديس

من أهم الدلالات واللطائف التى نلحظها من المرات العشر لورود مادة «قدس» فى القرآن:

١– «روح القدس» هو جبريل عليه السلام، وهو حامل كتب الله، التى تحقق القداسة والطهارة للإنسان، ومبلغها إلى رسل الله.

٢– وردت «روح القدس» أربع مرات، إشارة إلى نبيين طاهرين: عيسى ومحمد عليهما السلام، وكتابين مقدسين: الإنجيل والقرآن، وهذا يعنى أن من كفر بالنبيين والكتابين فهو نجس ورجس.

٣– الله هو القدوس، المنزه عن كل نقص، الذى يمنح الطهارة لمن شاء من عباده الطاهرين، ويضفى القداسة على ما شاء من البقاع المقدسة.

وورود «القدوس» فى ســورتين تتحدثان عن الصراع بين المسلمين الطـاهرين، واليهود الأنجاس، يـوحى بأن الله قد طهر وربى وزكـى المؤمنين، وهو ناصرهم على أعدائهم اليهود الأنجاس.

٤- ورد اسم المفعول «المقدس» صفة لوادى «طوى» فى سيناء، والتعبير باسم المفعول، يوحى بأن الله هو الذى قـدس وطهر هذا الوادى، وهذا الوادى يجب أن يبقى مطهراً من نجاسة الشرك والكفر.

٥- وردت الصفـة المؤنثـة «المقدسـة» بصيغـة اسم المفعـول المؤنث «الأرض المقـدسة» وأطلقت على فلسطين، وهـذا يـوحى بأن الله هـو الـذى «قدس» هـذه الأرض وطهرها، بأن جعلها أرض توحيد وإيمان، وأوجب على المسلمين تطهيرها من نجاسة الكفر، ودنس الشرك.

٦- وصف الواد المقـدس والأرض المقدسة بـالقداسة، بصيغـة اسم المفعول، يوحى بأن «قداسة» وطهارة المكان، إنما هى بأمـر الله، فالله هو الذى شاء وأراد سبحانه جعل هذا المكان مقدسًـا، وهذه الأرض مقدسة، وهى الأرض الواقعة بين النهرين الإسلاميين: النيل والفرات.

٧- ليس المراد بتقـديس الأرض المقـدسـة، طهارتها مـن النجاســات الماديـة المعروفة فى الفقه الإسلامى -كالبول والغائط والدم- لأنها لابد أن تنتج عن حياة البشر، الـذين يعيشون فى هـذه الأرض، عندمـا يأكلون ويشربـون، وتزول هـذه النجاســات المادية بـالماء، وتطهر الأرض منهـا بالماء.. ولكن المراد بتقـديس هذه الأرض، طهـارتها من النجاســات المعنـوية، المتمثلـة فى الأفكار والآراء والعقـائد الباطلة، التــى يدين بها الكفار والمشركون، لاسيما أن نجـاسة المشركين قد وردت بهذا المعنى فى القـرآن، حيث بين اللـه أن نجـاستهم هى نجـاسة عقـول وأفكـار وتصورات وآراء: ﴿**يـا أيها الذين آمنـوا إنما المشركون نجس، فـلا يقربـوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا**﴾ (سورة التوبة: ٢٨)

إن هذه الأرض المقدسة، يجب أن يطهرها المسلمون من نجاسة الكفر، التى يوقعها عليها اليهود الأنجاس، ولن يكون التطهير الإيمانى إلا بالجهاد الحق فى سبيل الله.

٨- وصف هذه الأرض بصفة القداسة دون باقى البلاد، وورود هذا الوصف فى كتاب الله، دليل على أن هذه الأرض هى عنوان القداسة والطهارة، وهى رائدة هذه القداسة والطهارة إلى سائر البلدان، باستثناء الأرض الشريفة فى مكة المكرمة والمدينة المنورة.

فالطهارة والقداسة تنطلق منها، وتشع منها، لتعم مختلف المناطق، وألحظ حكمة لطيفة من كلمة «القُدْس» حيث ترد دائماً بتسكين الدال، فتسكين حرف الدال فيها، يعنى استقرار القداسة والطهارة فى «القُدْس الشريف»، لأن حركة «السكون» توحى بالثبات والاستقرار، دون سائر الحركات كالفتحة والضمة والكسرة.

فلسطين أرض البركة والقداسة

نقف فى ختام كلامنا عن «الأرض المباركة» و«الأرض المقدسة» فى القرآن لنشير إلى هذه الخلاصة القرآنية المهمة، فى هذه النقاط:

١- الأرض المباركة فى القرآن هى أرض الرباط والجهاد والتحدى والحسم، وهى الواقعة مابين الفرات والنيل.

٢- والأرض المقدسة فى القرآن هى هذه الأرض نفسها.

٣- وقد سكن هذه الأرض المباركة المقدسة فى الماضى أجيال مؤمنة من بنى إسرائيل، وأقاموا عليها حكماً إسلامِيًا مباركًا، زمن يوشع بن نون، وطالوت، وزمن داود وسليمان عليهما السلام.

٤- أخرج الله الأحفـاد الكافرة لتلك الأجيال المؤمنة، من هـذه الأرض المباركة المقدسة، والـذين سموا باسم «اليهود»، وقطعهم فى بقـاع الأرض المختلفة بسبب كفرهم وبغيهم.

٥- جعل الله هـذه الأرض المباركـة المقدسـة، لأطهر وأقدس أمـة، التى تحمل أطهر وأقـدس رسالـة، وهى أمة محمـد صلى الله عليـه وسلم، حاملـة الإسلام للعالم، وجعل هذه الأرض لها حتى قيام الساعة.

٦- أوجب الله على أمة محمد صلى الله عليه وسلم الوقوف أمام أطماع اليهود الأنجاس فى هذه الأرض المقـدسة المباركة، وذلك بجهـادهم وقتالهم وتطهير هذه الأرض من رجسـهم ودنسـهم.

٧- إن فلسطين هى أرض البركة والقداسة، وإن ماحولها من الأرض والواقعة مـابين الفرات والنيل، هـى أرض البركة والقـداسـة، وهى أرض إسلاميـة تنشر الإسلام فى باقى الأراضى، وتقدم الطهر والخير إلى باقى البلدان.

هذه هى طبيعـة «أرضنا» وهذه هى صفتهـا التى جعلها الله لها، فهل يلـومنا أحد فى محبتنـا وعشقنا لها؟ وهل نخطىء إذا ربطنـاها بعقيـدتنا؟ وهل يمكن أن نفـرط فى شبر مبـارك مقـدس منهـا؟ وهل نستكثـر عليهـا جهـادنـا لأعـدائهـا واستشهادنا على ثراها المبارك الطهور؟

الفصل الثالث

فلسطين إسلامية منذ إبراهيم عليه السلام

يزعم اليهود أن لهم حقًا تاريخيًا ثابتًا فى فلسطين، وأن مجيئهم إلى فلسطين فى العصر الحديث مطالبة بذلك الحق، وتحقيق له.

ويزعمون أن الله قد أعطى فلسطين -وماحولها- لأبيهم إبراهيم، وأبيهم يعقوب.. عليهما السلام، أعطاها لهما ولأبنائهما، ولذريتهما، وللنسل اليهودى حتى يوم القيامة.

ويوهمون الآخرين - وبخاصة الشعوب الغربية النصرانية- أن فلسطين يهودية إسرائيلية منذ أبيهم إبراهيم -عليه السلام- وأن الفتح الإسلامى لها ماهو إلا عدوان من المسلمين عليها، وعلى أصحابها الشرعيين اليهود، وأنه فترة عرضية باطلة، وأن تملك المسلمين لها وإقامتهم فيها، احتلال واستعمار لها، وأن هؤلاء اليهود الآن يريدون تحرير فلسطين من احتلال المسلمين، وإعادة الحق إلى أهله.

ويصدق كثيرون -وبخاصة فى بلاد الغرب- هذه المزاعم والادعاءات، والأوهام والإسرائيليات، فيدعمون اليهود دعماً كبيراً فى كل شىء، فى المال والرجال والعتاد والتأييد والإعلام.

ويجب علينا نحن المسلمين أن نتزود بالعلم والمعرفة، والاطلاع والثقافة لنفند

تلك الإسرائيليات والإدعاءات، ونُزيل الغشاوة عن عيون الغربيين والشرقيين، ونقدم لهم الحقيقة بينة واضحة.

حقائق القرآن ضد أباطيل اليهود

إن القرآن الكريم الحبيب، يقدم لنا حقائق أساسية واضحة، وأسساً فكرية ثابتة، وزاداً ثقافيًا غزيراً، وحججاً بينة مقنعة، وكيف لا وهو كلام الله العزيز الحكيم، الذى لاتنقضى عجائبه، ولاتُبطل حججه، ولاتنقض حقائقه، ولاتستنفد كنوزه، ولايتوقف عطاؤه.

وقد أمرنا الله أن نواجه الكفار عمومًا -واليهود خصوصاً- بحقائق هذا القرآن، وأن نُبطل أباطيلهم ومزاعمهم بتقريراته وبياناته، وأن نجاهدهم به جهادًا شاملاً، جهاداً إعلاميًا علميًا، ثقافيًا سياسيًا دوليًا، فقال تعالى: **﴿فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادًا كبيراً﴾** (سورة الفرقان: ٥٢)

أى: جاهد الكفار بآيات وحقائق القرآن، لأن من أقبل على القرآن بهدف التزود بالعلم والمعرفة والثقافة، فسيجد فيه مايريد وزيادة، ومن استوعب حقائق القرآن، فسيكون ناجحًا موفقاً فى تفنيد أدلة الأعداء.

القرآن يأمرنا أن نجاهد الأعداء به، وقوم من جلدتنا يتكلمون بألسنتنا، يعادون هذا القرآن، ويجاهدونه هو جهاداً كبيراً، ويستعينون بأعدائه فى جهادهم له، وهم فاشلون فاشلون!!

إنه لايبطل أباطيل اليهود إلا حجج القرآن، ولايفند مزاعم وإسرائيليات اليهود إلا حقائق القرآن، ولايبدد ظلام دعايات اليهود إلا أنوار القرآن.

وياليت الفلسطينيين والعرب والمسلمين، يقبلون على التقريرات القرآنية، وياليت الإعلاميين والسياسيين والدبلوماسيين والكتاب والمؤلفين والصحفيين منهم، ينطلقون من الحقائق القرآنية، ويخاطبون العالم الغربى والضمير العام

العالمى والأسرة الدولية، بهذا المنطق القرآنى الواضح المقنع، إنهم لو فعلوا ذلك لكانوا ناجحين موفقين.

هجرة إبراهيم عليه السلام إلى فلسطين

يقرر القرآن أن إبراهيم الخليل -عليه الصلاة والسلام- قد هاجر من بلاد العراق إلى فلسطين، وذلك بعدما قدم هناك أعمالاً عظيمة فى الدعوة إلى الله، ومواجهة أعداء الله، الذين لم يستجيبوا له، وأصروا على كفرهم، وألقوه فى النار بهدف القضاء عليه، فأنجاه الله منها، ووجّهه مع أهله المؤمنين إلى فلسطين «الأرض المباركة».

قال تعالى: **﴿فآمن له لوط وقال إنى مهاجر إلى ربى، إنه هو العزيز الحكيم﴾** (سورة العنكبوت: ٢٦)

وقال تعالى: **﴿ونجيناه ولوطا إلى الأرض التى باركنا فيها للعالمين، ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة، وكلاً جعلنا صالحين﴾** (سورة الأنبياء: ٧١-٧٢)

لعل إبراهيم -عليه السلام- أول من هاجر فى سبيل الله، وقدم إلى فلسطين بأمر الله، حيث وجّهه الله إليها، ليدعو إلى الله فيها، ويقيم بيوتًا لله عليها.

ويصرح القرآن بأن فلسطين هى الأرض **﴿التى باركنا فيها للعالمين﴾**، والبركة الربانية فى فلسطين عامة، شاملة لكل مجالات البركة، إنها بركة إيمانية واقتصادية وسياسية وعالمية وحضارية وجهادية.

ويقرر القرآن أن هذه البركة الربانية الشاملة فى فلسطين، للعالمين، وفى هذا رد على أباطيل وإسرائيليات اليهود، الذين يجعلون بركة الرب فى فلسطين خاصة بهم، ومقصورة عليهم.

إنها بركة للعـالمين جميعًا، ففلسطين المسلمة المباركة، تقدم بـركتها ودروسها ودلالاتها وحقائقها وأنوارها وإشعاعاتها للعالمين كلهم.

أليست مشكلة فلسطين المعاصرة هى المشكلة الأولى فى العالم الآن؟ أليست هى أكثر مناطق العـالم خطراً وسخونة وغليانًـا؟ أليست هى التى تهدد السلام العام العـالمى، وتنـذر بنشـوب حـرب عالميـة مـدمـرة؟ بـاعتراف المحللين والمراقبين الدوليين!!

وأعتقد جازمـا أن المشكلة اليهودية هى المشكلة العالميـة، وأن اليهود هم أعداء البشريـة والإنسانيـة، وأنهم يعتبرون كل الأمم والأقـوام والشعوب -المسيحيـة والمسلمـة والوثنيـة والـلادينية- خـدمًا وعبيـداً لهم، وأن هـؤلاء اليهود عقـدة مستعصيـة على الحل، وأن العالمين عـانوا منهـا كثيراً، وسيعانـون منها أكثـر فى المستقبل.

فإذا كان الله أخبرنا - فى الآيات والأحـاديث- أنه سيأتى باليهود إلى فلسطين لفيفًـا، وسيجمعهم فيها جميعًـا، تمهيداً لقضـاء المسلمين عليهم، فإن هذا مظهـر بارز من مظاهـر بركة فلسطين العالمية للعالمين، فهى التى سـوف تُزيل عن صدر العـالمين ذلـك الكـابـوس اليهـودى الثقيل، وتحُل لهم تلك العقـدة اليهـوديـة المستعصية، وهى بحق «الأرض التى باركنا فيها».

عهد الله لإبراهيم وبنيه المؤمنين

بعد إقامة إبراهيم -عليه السـلام- فى فلسطين، ونصرته لدين الله، ونجاحه فى الدعـوة إلى الله، أخبره الله بأنه جعلـه للناس إمامًـا، فاستفسر عن نصيب أولاده وذريته، فأخبره الله بأن المؤمنين ينالـون ذلك، أما الظالمون منهم فهم محرومون منه.

قال تعالى: **﴿وإذ ابتلي إبراهيمَ ربُّه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماماً، قال ومن ذريتي، قال: لاينال عهدى الظالمين﴾** (سورة البقرة: ١٢٤)

إبراهيم عليه السلام إمام للناس، وأبناؤه الصالحون أئمة للناس، وذريته المؤمنة قائدة وهادية للناس، وهذا الموكب الكريم تشرف بحمل أمانة الله، ونصرة دين الله، وأداء واجب الدعوة إلى الله، والإقامة الميمونة فى الأرض التى باركها الله -فلسطين- والتنعم برضا الله.

هذا وعدُ الله لهم، وهذا عهدُه الذى قطعه لهم، وأخبرهم به.

وأما الكافرون الظالمون من ذرية إبرهيم -عليه السلام- فهم محرومون من هذه النعم الربانية، بسبب كفرهم وظلمهم وعدوانهم، إنهم لايستحقون وعد الله، ولايشملهم عهد الله، فلا ينالهم ذلك العهد. قال: **﴿لا ينال عهدى الظالمين﴾**.

وندعو إلى تذَوق هذه اللطيفة القرآنية فى قوله **﴿لا ينال عهدى الظالمين﴾** حيث جاء «عهدى» فاعلاً للفعل «ينال» وجاء «الظالمين» مفعولاً به، ومعنى «ينال» يصل، والمعنى: لايصل عهدى -الذى أعطيتهُ لإبراهيم وبنيه المؤمنين- إلى الظالمين من ذريته، ولاينتقل إليهم عن طريق الوراثة النسبية، ولا يدركهم، ولايشملهم!

أى أن عهد الله لايورثُ كما تـوَرَّثُ الممتلكات العينية، ولاينتقل من الآباء إلى الأولاد كما تنقل الأموال.

المرشّحون للتكريم بالاستمتاع بعهد الله هم المؤمنون الصالحون من بنى إبراهيم وذريته -عليه السلام- فهم الذين ينالون عهد الله، وينتقل إليهم، ويكون لهم.

فهل اليهود ذرية مؤمنون صالحون؟ أم هم خَلَفٌ كافرون فاسقون ظالمون؟ إنهم ليسوا مؤمنين ولاصالحين، بل كافرون ظالمون، ولذلك فهم محرومون من ذلك العهد الربانى، لأن الله أخبر جدهم إبراهيم -عليه السلام- بقوله: **﴿لا ينال عهدى الظالمين﴾**.

فلسطين إسلامية منذ عهد إبراهيم «عليه السلام»

يبدو لنا -مما سبق- أن فلسطين أرض إسلامية منذ آلاف السنين، أرض مباركة، بارك الله فيها للعالمين، أرض وجّهَ اللهُ إليها خليله إبراهيم -عليه السلام- وجعلها له، ولأبنائه المؤمنين، وذريته الصالحين.

ولذلك كتبها الله لذرية إبراهيم من بنى إسرائيل، لما كانوا مؤمنين، وجعلهم يقيمون فيها بعد وفاة موسى عليه السلام.

ولم يشكر أحفاد هؤلاء ربهم، فلم يعبدوه ولم يؤمنوا به، بل صاروا كافرين ظالمين.

فلما فعلوا ذلك صاروا يهوداً عنصريين، وجعلوا فلسطين أرضاً يهودية عنصرية، ومارسوا عليها كفرهم وبغيهم وظلمهم.

وبذلك فقدوا شرط الاستخلاف والإمامة فى هذه الأرض المباركة، فكتب الله عليهم الخروج منها، والتفرق فى أرض «الشتات».

وأعاد الله فلسطين وماحولها إلى ذرية إبراهيم المسلمين المؤمنين، وأعاد لها وجهها الإسلامى المشرق، وجعلها لهذه الأمة المسلمة، الوارثة لدين وعهد ووعد إبراهيم عليه السلام.

الفصل الرابع

إبراهيم -عليه السلام- هو بانى الكعبة والأقصى

إبراهيم -عليه السلام -أمة

أخبرنا الله فى القرآن أنه جعل إبراهيم عليه السلام «إمامًا» للناس، فقال تعالى: ﴿وإذ ابتلى إبراهيمَ ربُّه بكلمات فأتمهن قال: إنى جاعلك للناس إمامًا﴾ (سورة البقرة: ١٢٤) .

كما أخبرنا أن إبراهيم -عليه السلام- أمة وحده، فقال: ﴿إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفًا ولم يك من المشركين﴾ (سورة النحل: ١٢٠).

رجل واحد، اعتبره القرآن أمة! كيف؟

أمة: لأنه على الحق، وقد قال ابن مسعود -رضى الله عنه-: «أن تكون على الحق ولو كنت وحدك».

أمة: لأنه يدعو الناس إلى الله، وقد قال ابن مسعود أيضًا: «كان إبراهيم أمة: لأنه كان يعلم الناس الخير».

أمة: لأنه إمام للناس -بنص آية سورة البقرة السابقة- ولهذا قال قتادة: «كان إبراهيم أمة. أى كان إمامًا يُقتدى به. وتُتَّبعُ سنته».

أمة: لأن جهوده فى الدعوة إلى الله، كجهود أمة بحالها، مع أنه شخص واحد.

أمة: لأنه ترك آثاراً بارزة واضحة، فى الدعوة إلى الله، حتى قيام الساعة.

أمة: لأنه أبو الأنبياء، وأبو المسلمين، وأبو المتقين، إلى يوم الدين.

وصدق القائل:

ولم أر أمثال الرجال تفاوتًا إلى المجد، حتى عُدّ ألف بواحدِ

كان إبراهيم -عليه السلام- أمة فى الإيمان، وفى الالتزام، وفى الدعوة، وفى الجهاد، وفى الثبات، وفى العلم، وفى كل شىء.

جعل حياته كلها وقفًا على دينه ودعوته، فهو داعية إلى دين الله أينما حل.

داعية إلى الله عندما كان فى موطنه الأصلى «العراق»، وداعية إلى الله عندما هاجر بدينه إلى ربه، وتوجه إلى بلاد الشام، وداعية إلى الله عندما أقام فى الأرض المباركة «فلسطين»، وداعية إلى الله عندما توجه مع زوجته سارة إلى مصر، وداعية إلى الله عندما بنى مع ابنه إسماعيل -عليهما السلام- بيت الله الحرام، وداعية إلى الله عندما «تجوّل» فى مدن وقرى وبقاع الأرض المباركة فلسطين، وداعية إلى الله عندما أوصى بنيه -وهو على فراش الموت- بالإسلام والدعوة. وصدق الله القائل: ﴿إن إبراهيم كان أمة﴾

تنازع الطوائف فى الانتساب لإبراهيم

نظراً لهذه المنزلة العظيمة لإبراهيم عليه السلام فى عالم الإيمان، فقد تنازعت فيه مختلف الطوائف والملل والمذاهب، كل طائفة تدعى الانتساب إليه، وكل ملة تزعم أنها منه، وأنها على دينه، وتجادل غيرها فى ذلك.

وقد سجل القرآن هذا التنازع والجدال، وقرر الحق فى هذه المسألة، فقال: **﴿يا اهل الكتاب لم تحاجون فى إبراهيم وما انزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده، افلا تعقلون ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم، فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم، والله يعلم وانتم لاتعلمون. ما كان إبراهيم يهوديًا ولانصرانيًا، ولكن كان حنيفًا مسلماً، وما كان من المشركين. إن أولى الناس**

بإبـراهيم للذيـن اتبعوه، وهـذا النبى والـذين آمنوا، واللــه ولى المؤمنين﴾ (سـورة آل عمران: ٦٥-٦٨).

أهم الطوائف والملل التى تنازعت فى الانتساب لإبراهيم -عليه السلام- أربعة: اليهود والنصارى والعرب المشركون والمسلمون.

ادعى اليهود الانتساب لإبراهيم، وزعمـوا أنهم على دينه، لأنهم بنوه وأحفاده وذريته. أى أنهم لاحظوا النسب والوراثة، وكأن الابن يرث عن أبيه دينه، ولو لم يكن -عمليـاً -على دينه.. لقـد جعلوا «الـدين» ميراثاً، يـرثونـه كما يرثـون المال والمتاع، يرثونــه ولو لم يلتزموا به ويجعلوا حياتهم على أساس تـوجيهاته! ومنذ متى كـان الدين والهدى «سلعـة» تنتقل من الآبـاء للأبنـاء، وتورث كما تـورث الماديات والمنقولات؟!

لقد ألغى القرآن الوراثة النسبية للإيمان والدين، عندما جرد اليهود من صلتهم الدينية والإيمانية بأبيهم إبراهيم عليه السلام.

كما نفى القـرآن أن يكون إبـراهيم عليه الســلام يهوديًا أو نصرانيًـا، ورفض جـدال اليهود والنصــارى فى الانتساب إليـه، وجردهم من الصلـة به، وقـرر أن إبراهيم كان موجوداً قبل وجـود اليهود، وقبل وجود النصارى، فكيف يعتبر من إحدى الطائفتين وقد وجدتـا بعده؟ ودينهما جاء بعد دينه؟ **﴿يا أهـل الكتاب لم تحاجـون فى إبـراهيـم، ومـا أنـزلت التـوارة والإنجيل إلا مـن بعـده، أفـلا تعقلون﴾.**

وبما أنه وجد قبل اليهود والنصــارى فلن يكون يهوديًا ولانصرانيًا: **﴿ما كان إبراهيم يهوديًا ولانصرانياً﴾**

وفى هذه التقـريرات والحقـائق القرآنيـة، نرى أن اليهـود والنصارى ليســوا وارثين لإبراهيم -عليه السلام- ولا لدينه.

وصرح القـرآن بحرمـانهم من عهـد الله لأبيهم إبـراهيم: ﴿**قال إنى جـاعلك للناس إمامًا، قال ومن ذريتى، قال لاينال عهدى الظالمين**﴾.

الوراثة النسبية والوراثة الإيمانية

عندما نفى القرآن انتساب اليهود والنصارى لإبراهيم، ما أراد الصلة النَّسبية وإنما أراد الصلة الإيمانية.

يتصل الأبناء بالآباء، والأحفاد بالأجداد، عن طريقين:

الطريق النَّسبى: عن طريق التزاوج والتوالد والتناسل.

الطـريق الإيمانى: عن طـريق الالتـزام بدين الآبـاء، والاقتـداء بهم فى الإيمان والإسلام والدعوة.

فاليهود والنصارى قد يتصلـون بإبراهيم -عليه السلام- عن الطريق الأول، إذ إن منهم من أبناء وأحفاد وذرية إبراهيم عليه السلام، وهذا ليس هو الموضـوع. إن كون اليهـود -السابقين- مـن ذرية إبراهيـم حقيقة تـاريخية، لانقـاش فيها، ولانفى لها.

إنما نفى القرآن اتصـال اليهود -والنصـارى- بإبراهيم عن الطـريق الثانى، الطريق الإيمانى الدينى، إنهم ليسوا على دينه.

والمعتبر فى عالم الـدين والإيمان، هـو الصلة الدينيـة وليست الصلـة النسبية والوراثة الإيمانية وليست الوراثة النسبية.

فها هو نبى الله نوح -عليه السـلام- يقطع صلته الإيمانية مع ابنه الكافر، مع إبقائه صلته النسبيـة به، ولهذا لما غرق بسبب كفره، واستفسر أبـوه نوح عن سر ذلك، جاءه الجواب من الله، بانقطاع صلته الـدينية به، وزوال وراثته الإيمانية له ﴿**ونـادى نوح ربـه، فقال رب إن ابنى من أهلى، وإن وعدك الحق، وأنت أحكم الحـاكمـين. قـال يـا نوح إنـه ليس مـن أهـلك، إنه عمل غير صـالح**﴾ (سورة هود ٤٥-٤٦).

إن اليهود والنصارى قد يكونـون من ذرية ونسل إبراهيم عليه السلام، نعم، لكن لايلـزم من هـذه الحقيقة التـاريخيـة «النسلية»، كـونهم على دين إبـراهيم، وارتباطهم به ارتباطاً دينيًا إيمانيًا.

وبعبارة أخرى: عندما جرد القـرآن اليهود والنصارى من اتصالهم بإبراهيم، لم يطعن فى أنسابهم، ولم يُلغِ كونهم «ذرية» له، وإنما نفى صلتهم الإيمانية به.

المسلمون هم «الوارثون» لإبراهيم

إنطلاقـاً من المنطق القرآنى، فى إلغاء الصلـة النسبية فى الوراثة الإيمانيـة، فقد اعتبر القرآن المسلمين هم الوارثين لإبراهيم عليه السلام.. المسلمون وارثون لدين إبراهيم، فهم على دينه وإيمانه، هو حنيف مسلم، وهم حنفاء مسلمون: **﴿ما كان إبراهيم يهوديًا ولانصرانيًا، ولكن كان حنيفًا مسلماً وما كان من المشركين﴾**

إبراهيم –عليـه السلام– هو أبـو المسلمين، لأنه أبو الأنبياء، فهـو أبو المؤمنين المسلمين الموحدين، وهذه الأبوة قد لاتكون «أبوة نَسَبية»، ولكنها أبوة إيمانية إذا جاز التعبير.

قال تعالى: **﴿هـو اجتباكم ومـاجعل عليكم فى الـدين من حرج ملـة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل﴾** (سورة الحج: ٧٨).

إن أولى الناس بإبراهيـم هم المؤمنون، إن الذين يتصلون بـه، وينتسبون إليه ويرثونه، هم الذين على دينه، وليسوا من تناسلوا منه، وكانوا ذريته، وخالفوه فى دينه!

وهؤلاء المتصلون بإبراهيم المقـرّبون منه، الوارثون له، هم الـذين كانوا معه، والنبى محمد صلى الله عليه وسلم، والمسلمـون أمة محمد عليه السلام **﴿إن أولى النـاس بإبـراهيم، للـذين اتبعـوه، وهذا النبى، والـذين آمنـوا، واللـه ولى المؤمنين﴾**.

هذه الحقائق القرآنية التى تقدمها لنا النصـوص القرآنية، أبلغ إبطال لدعايات وإشاعات و«إسرائيليـات» اليهود، فى استغلالهم صلة بعضـهم النسبيـة بإبراهيم عليه السـلام، وتعميمها لتشمل وراثتهم كل شىء لإبراهيم عليه السـلام، ومنها «الأراضى المباركة»، التـى جعلها الله لإبراهيم، وللعالمين مـن بعده، والعالمون فى الحقيقة هم «ورثتـه» المؤمنون، الـذين ورثوه فى عـالم الدين والإيمان والـدعوة والإسلام.

إبراهيم بانى الكعبة والأقصى

أخبرنا الله فى القرآن أن «الكعبة» هى أول بيت بنى لله ولعبادته، وأول مسجد فى الأرض، قال تعالى **﴿إن أول بيت وضع للناس للـذى ببكة، مباركًـا وهدىً للعالمين﴾** (سورة آل عمران: ٩٦).

وأخبرنا اللـه أن إبراهيم وإسماعيل –عليهما السـلام– هما اللذان بنيـا الكعبة بيت الله الحرام، قال تعالى: **﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم﴾** (سورة البقرة: ١٢٧).

وأمرنا الله أن نتخذ من مقام إبراهيم مصلى **﴿وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنًا، واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾** (سورة البقرة: ١٢٥).

ويوضح هذه الحقيقـة القرآنية رسول اللـه صلى الله عليه وسلم، حيث روى البخارى عن ابن عباس –رضى الله عنهما– عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من حـديث طويل: «... قال إبراهيم يا إسماعيل: إن الله أمـرنى بأمر، قال اصنع ما أمرك ربك. قال: وتعيننى؟ قال: وأعينك. قال: فإن الله أمرنى أن أبنى ها هنا بيتـاً – وأشار إلى أكمـة مرتفعة على مـاحولها– فعنـد ذلك رفعا القـواعد من البيت، فجعل إسماعيل يأتى بالحجارة، وإبراهيم يبنى، حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر، فوضعه له، فقام عليه، وهو يبنى، وإسماعيل يناوله الحجارة.»

إبراهيم عليه السلام هو بانى الكعبة، أول مسجد فى الأرض.

لكن ماهو ثانى مسجد بنى بعد الكعبة؟

إنه المسجد الأقصى فى بيت المقدس.

روى الإمام مسلم فى صحيحه، عن أبى ذر الغفارى- رضى الله عنه- قال: قلت: يارسول الله: أى مسجد وضع فى الأرض أول؟ قال: المسجد الحرام. قلت: ثم أى؟ قال المسجد الأقصى. قلت: كم بينهما؟ قال: أربعون سنة، وأينما أدركتك الصلاة فصل، فهو مسجد».

يقرر رسول الله صلى الله عليه وسلم -وهو الصادق المصدوق- فى هذا الحديث الصحيح، أن «المسجد الأقصى» فى بيت المقدس هو ثانى مسجد بنى للصلاة، ويقرر المدة الزمنية بين بناء الكعبة وبناء الأقصى بأنها أربعون سنة.

ما معنى هذا؟

إن إبراهيم عليه السلام هو بانى الكعبة - بنص القرآن- ولذلك فهو بانى المسجد الأقصى فى بيت المقدس.

بنى إبراهيم الكعبة، ثم عاد إلى موطنه فى «بيت المقدس»، وهناك أمره الله ببناء ثانى بيت لله، وهو المسجد الأقصى، وكون إبراهيم عليه السلام هو بانى أول مسجدين فى الأرض، يوضح المعنى الذى افتتحنا به هذه الكلمة، وهو أنه إمام هدى، وأمة دعوة.

ليس غريباً إذن، ولامستبعداً أن يبنى إبراهيم المسجد الأقصى بعد بنائه الكعبة بأربعين سنة!.

الأقصى بُنى قبل الهيكل بمئات السنين

نرى أن هذه الحقيقة القرآنية إبطالاً قويًا لحجج ومزاعم وإسرائيليات اليهود حول القدس، وحقهم فيها، وحرصهم على إعادة بناء «هيكل سليمان» على أنقاض المسجدالأقصى.

يزعمون أن هيكل سليمان بناه سليمان -عليه السلام- قبل المسجد الأقصى،

وأن المسلمين هم المعتدون، لأنهم بنوا المسجد الأقصى مكان الهيكل، وأن اليهود الآن يريدون إعادة الحق إلى نصابه!!

هذه خرافات وإشاعات وأكاذيب يهودية باطلة، فقد أخبرنا الله أن الأقصى بنى قبل الهيكل، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، باعتباره ثانى مسجد بنى فى الأرض.

ومعلوم أن بين إبراهيم بانى الأقصى، وسليمان بانى الهيكل -عليهما السلام- مئات السنين، وهذه حقيقة تاريخية معروفة.

تخبرنا هذه التقريرات الصادقة أن الوجود الإسلامى على أرض فلسطين أسبق زمنياً من الوجود اليهودى، وأن الإسلام أسبق من اليهودية فيها، وأن المسجد أسبقُ من الهيكل فيها.

أين المسلمون -وبخاصة الإعلاميون والدبلوماسيون والصحفيون والكاتبون منهم -من هذه الحقائق القرآنية الهادية؟ ولماذا لايستخدمونها فى مواجهة الباطل اليهودى الخادع؟ بدل أن يخاطبوا الآخرين بمنطق العاجز ولسان الضعيف!!

المسلمون جددوا بناء الأقصى

بقيت مسألة نناقشها فى موضوع بناء الأقصى قبل الهيكل.

فقد يعترض معترضون، ويقولون إن كلامنا يتعارض مع التاريخ، فمعلوم تاريخيًا أن المسلمين هم الذين بنوا المسجد الأقصى فى القرن الأول، وأنه لما فتح المسلمون فلسطين، ودخل عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- القدس، لم يكن المسجد الأقصى قائماً.

والذى بنى المسجد الأقصى هو الخليفة الأموى «الوليد بن عبد الملك» عام ٩٧هـ ولانرى تعارضاً ولاتناقضاً بين التقريرات القرآنية والحديثية السابقة، وبين هذه الوقائع التاريخية.

فإبراهيم هو أول من بنى الأقصى فى بيت المقدس، ثم حدثت للأقصى أحداث،

هدم بناؤه فيهـا، والله أعلم متى هُدم، ومن قام بهدمه، ولماذا هدمـه، فليس لدينا أخبار يقينيـة فى ذلك. ولما جاء الإسلام كان الأقصـى مهدومًا، وبناؤه منقـوضًا، فجاء الخليفة الوليد بن عبد الملك وجدد بناء الأقصى.

إذن ليس الأقصى بعـد الهيكل، ولم يكن المسلمون هم الـذين أنشأوا الأقصى وأوجدوه، وإنما كانوا مجددين له، ومظهرين لـه، ومعيدين له أصالته وأسبقيته وبركته!

ويخبرنـا القرآن أن الفترة التى هـدم فيهـا الأقصى ونقضت حجارتـه وأزيل بناؤه لم يلغ فيها دوره ولاسبقـه، ولاريادته ولا أصالتـه، فهو «مسجد أقصى» معروف مكانه، وإن هدم بنيانه!

ففى رحلة الإسراء، جمع الله الأنبياء للـرسول صلى الله عليه وسلم على أرض الأقصى، وعلى أنقاض الأقصى، وصلى بهم إماماً، وقال الله تعالى **﴿سبحان الذى أسرى بعبـده ليـلاً، من المسجـد الحرام إلى المسجد الأقصى، الـذى بـاركنـا حولـه﴾** (سورة الإسراء: ١)

فكان الإسراء من أول مسجـد بنى فى الأرض، إلى ثانى مسجـد بنى فيها.. من المسجـد الحرام إلى المسجد الأقصى، فـالإسراء إلى المسجـد الأقصى، وإن لم يكن مبنيًّـا وقت الإسراء، وإن لم يكن مسْجـداً قـائماً على الأرض وقت الإسراء، لأن المعتبر ليس إقامة البنيان بالدرجة الأولى، بل الحقيقة العملية اليقينية القاطعة.

بانى أول وثـانى مسجدين فى الأرض هو إبـراهيم عليه السلام، أبـو الأنبياء. والإسراء بين أول وثـانى مســجدين فى الأرض، بمحمـد علـيه السـلام خـاتم الأنبياء.

ووارثة أول وثانى مسجديـن فى الأرض، خير أمم الأرض، أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وارثة دين إبـراهيم عليه السلام، وأولى الناس به وبـدينه وبأرضه، وبمسجديه: المسجد الحرام والمسجد الأقصى!!.

الفصل الخامس

داود وسليمان يقيمان حكما إسلاميا لا يهوديا

يعتز يهود هذا الزمان بالفترة التى حكم فيها داود وسليمان عليهما السلام فى فلسطين، ويعتبرون حكمهما حكماً يهودياً، ويعتبرون أنفسهم ورثة لهما، ويعتبرون دولتهم المعاصرة فى فلسطين امتداداً لدولتهما السابقة ، ويريدون إعادة بناء الهيكل، الذى بناه سليمان ـ عليه السلام ـ فى بيت المقدس، باعتباره هيكلاً يهوديًا، وينشرون هذه المزاعم والخرافات والإسرائيليات على الآخرين، وتصدقها شعوب مخدوعة فى العالم الغربى.

وأقام يهود هذا الزمان دولة وكيانًا لهم فى فلسطين، على أساس هذه الإسرائيليات والمزاعم، وجعلوا من أهدافهم تحقيق هذه المزاعم على أرض الواقع. وعندما نعود إلى القرآن الكريم، فإننا نجده يبطل هذه المزاعم ويفند هذه الخرافات والإسرائيليات.

يعتبر القرآن أنبياء بنى إسرائيل مسلمين، ويعتبر رسالتهم هى الإسلام، ويعتبر أتباعهم مسلمين، لذلك كان داود وسليمان ـ عليهما السلام ـ مسلمين، وكان حكمهما إسلامياً، وكانت دولتهما إسلامية!!

يقصر بعض الناس الإسلام على رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وهذا خطأ وتضييق لمفهوم الإسلام. لقد أطلق القرآن الكريم الإسلام على ثلاثة معان:

الإسلام خضوع الكون لله

المعنى الأول : الإسلام بالمعنى العام : وهو الاستسلام لله سبحانه، والخضوع والانقياد له. وهو بهذا المعنى يشمل كل المخلوقات في هذا الكون، في السماوات وفي الأرض.

فالشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب، كلها مخلوقات مسلمة لله، والملائكة كلهم مسلمون لله، قال تعالى : ﴿ **ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض، والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب، وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب، ومن يهن الله فما له من مكرم، إن الله يفعل ما يشاء** ﴾ (سورة الحج : ١٨)

الإسلام دين كل الأنبياء

المعنى الثاني : الإسلام رسالة الأنبياء والمرسلين جميعًا، الإسلام بهذا المعنى هو كل رسالة أرسل الله بها رسولا من رسله، وكل وحي أوحاه الله إلى نبي من أنبيائه.

كل نبي من السابقين مسلم، وجاء بالإسلام، ودينه هو الإسلام، ورسالته هي الإسلام، وأتباعه الذين آمنوا به هم المسلمون.

أتباع نوح مسلمون، وأتباع إبراهيم مسلمون، وأتباع موسى وهارون وأتباع داود وسليمان مسلمون، وأتباع عيسى مسلمون، وأتباع محمد مسلمون.

وهذا المعنى للإسلام يلاحظ الحركة التاريخية للإسلام، منذ آدم إلى محمد صلى الله عليه وسلم. وقد اعتبر القرآن الإسلام دينا لكل نبي من السابقين، واعتبر القرآن الإسلام هو أن يُسلم الناس لرب العالمين، وأن يخضعوا وينقادوا له.

نوح عليه السلام مسلم، ورسالته هي الإسلام وأتباعه هم المسلمون، قال

تعالى مخبراً عن قــول نوح عليه السلام لقــومه : ﴿ **فإن تــوليتم فما سألتكم من أجــر، إن أجــرى إلا على اللــه، وأمــرت أن أكــون من المسلمين** ﴾ (سورة يونس:٧٢).

وإبراهيم عليه السلام مسلم، ودينــه هو الإسلام، قال تعالى : ﴿ **ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه، ولقـد اصطفيناه فى الدنيا، وإنه فى الآخرة لمن الصــالحين ، إذ قال لــه ربه أسلم قــال : أسلمت لرب العــالمين**﴾ (سورة البقرة: ١٣٠ ـ ١٣١).

والإسلام هو دين موسى عليه السلام، ولذلك كان أتباعه مسلمين، وطلبوا من ربهم أن يميتهــم علــى الإسلام، فقالــوا : ﴿ **ربــنا أفــرغ علينا صبــرا، وتوفــنا مسلمين**﴾ (سورة الأعراف : ١٢٦).

والإسلام هو دين عيسى عليه السلام، ولذلك كان الحواريون مسلمين، أعلنوا إسلامهم، وقدموا بذلك شهادتهم . قال تعالى : ﴿ **فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصــارى إلى الله قال الحواريــون: نحـن أنصــار الله، آمنــا بــالله، واشهد بأنا مسلمــون، ربنا آمــنا بمــا أنزلــت ، واتبعــنا الــرسول، فاكــتبنا مع الشــاهــدين**﴾ (سورة آل عمران : ٥٢ ـ ٥٣)

الإسلام دين هذه الأمة

المعنى الثالث : الإسلام هــو رسالة محمــد صلى الله عليــه وسلم : الإسلام يطلق بالمعنى الثالث على رســالة محمد صلى الله عليه وسلم، فدينــه هو الإسلام، وأتباعه هم المسلمون، وهذا هــو المعنى المعروف عند الناس، وإليه ينصرف معنى الإسلام عند استعماله.

ولا تناقــض بين استعمال الإسلام بهذا المعنى الخاص، واستعمالــه بالمعنيين السابقين، لأن الإسلام هــو دين الوجود كله، فهو دين البشر جميعًــا ، جاء به كل

نبى من السابقين، وبه جاء خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم، وبه ختمت جميع الرسالات، وبه نُسخت جميع الشرائع.. الإسلام رضيه الله لنا ديناً، قال تعالى : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى، ورضيت لكم الإسلام ديناً** ﴾ (سورة المائدة :٣)

والإسلام بهذ المعنى الخاص، هو الدين المقبول عند الله، قال تعالى ﴿ **إن الدين عند الله الإسلام**﴾ (سورة آل عمران : ١٩).

وأى دين غير الإسلام لا يقبل عند الله ، قال تعالى :﴿ **ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه، وهو فى الآخرة من الخاسرين**﴾ (سورة آل عمران : ٨٥)

وقد أكد رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الحقائق القرآنية حول معانى الإسلام.

بين عليه الصلاة والسلام أن دين المرسلين جميعاً واحد، هو الإسلام، فروى البخارى ومسلم عنه عليه الصلاة والسلام قوله : «الأنبياء إخوة أبناء علاّت، أمهاتهم شتى، ودينهم واحد»

وبين أن رسالته هى المتممة للرسالات السابقة، والمكملة لها. فروى عنه البخارى ومسلم قوله : « مَثَلى ومَثَل الأنبياء قبلى، كمثل رجل بنى بيتًا، فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ، فأنا تلك اللبنة ، وأنا خاتم النبيين»

أنبياء بنى إسرائيل مسلمون

نعود إلى مسألة إسلام أنبياء بنى إسرائيل، باعتبارها حقيقة قرآنية قاطعة، لنزيدها وضوحًا وبيانًا، ونبطل بها إسرائيليات وخرافات اليهود.

يرفض اليهود اعتبار أنبيائهم مسلمين، واعتبار دينهم هو الإسلام، ويصرون على أنهم يهود ، وأن ديانتهم هى اليهودية.

إنهم يعتبرون إبراهيم ويعقوب ويوسف وموسى وهارون وداود وسليمان يهوداً، ويعتبرون رسالاتهم يهودية، ويعتبرون أتباعهم يهودا.

وإن القرآن يعتبر أولئك الأنبياء الكرام - عليهم الصلاة والسلام - مسلمين، ويعتبر أتباعهم مسلمين، ويعتبر رسالتهم هى الإسلام.. الإسلام بمعناه التاريخى!

إبراهيم حنيف مسلم

وقد تضافرت آيات القرآن على تقرير هذه الحقيقة القاطعة: إبراهيم عليه السلام ــ الذى يدّعى اليهود أنهم على دينه ــ يرفض القرآن اعتباره يهودياً أو نصرانياً، ويجرد اليهود والنصارى من الانتساب الدينى إليه، ويقرر أنه حنيف مسلم، وأن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم المسلمين أولى الناس به، قال تعالى **﴿ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً، ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين، إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه، وهذا النبى، والذين آمنوا، والله ولى المؤمنين﴾** (سورة آل عمران: ٦٧ ـ ٦٨)

ولما طلب الله منه أن يسلم، استجاب لأمر الله، وأعلن إسلامه لله **﴿ ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه، ولقد اصطفيناه فى الدنيا، وإنه فى الآخرة لمن الصالحين، إذ قال له ربه أسلم قال: أسلمت لرب العالمين﴾** (سورة البقرة: ١٣٠ ـ ١٣١)

واعتبر القرآن أن أحسن الناس دينا هو المسلم المتبع لملة إبراهيم خليل الله.

قال تعالى **﴿ ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن، واتبع ملة إبراهيم حنيفا، واتخذ الله إبراهيم خليلا﴾** (سورة النساء: ١٢٥).

ولما توجه إبراهيم لذبح ولده إسماعيل - عليهما السلام - استسلم هو وولده

لأمر الله وخضعا له، قال تعالى عنهما: ﴿ **فلما أسلما وتله للجبين، وناديناه : أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا** ﴾ (سورة الصافات : ١٠٣ ـ ١٠٥)

ولما قام إبراهيم وابنه إسماعيل ـ عليهما السلام ـ ببناء الكعبة ، أعلنا إسلامهما لله وطلبا من الله أن يجعل ذريتهما مسلمة له ، وأن يجعل فيها نبيًا يقودها إلى الإيمان والجنة. قال تعالى ﴿ **وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل، ربنا تقبل منا، إنك أنت السميع العليم، ربنا واجعلنا مسلمين لك، ومن ذريتنا أمة مسلمة لك** ﴾ (سورة البقرة : ١٢٧ ـ ١٢٨)

وقد سمانا إبراهيم عليه السلام بهذا الاسم «مسلمين» كما قال تعالى : ﴿ **ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل** ﴾ (سورة الحج : ٧٨).

يعقوب يوصى بنيه بالإسلام

يعقوب عليه السلام هو «إسرائيل» وهو جد بنى إسرائيل، واليهود يدّعون انتسابهم إليه، ويزعمون أنهم على دينه.

يقرر القرآن صراحة ، أن يعقوب عليه السلام كان مسلماً، وأن جده إبراهيم أوصاه بالإسلام. قال تعالى: ﴿ **ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب ، يا بنى إن الله اصطفى لكم الدين، فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون** ﴾ (سورة البقرة : ١٣٢)

إبراهيم يوصى إسماعيل وإسحاق بالإسلام، وإسحاق يوصى ابنه يعقوب بالإسلام، ويعقوب يوصى بنيه بالإسلام، وكل يطالب الآخرين بأن يعيشوا مسلمين، وأن لا يموتوا إلا وهم مسلمون، لأن الإسلام هو الدين الذى اصطفاه الله لهم: ﴿ **إن الله اصطفى لكم الدين، فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون** ﴾.

وعندما كان يعقوب النبى المسلم ـ عليه السلام ـ على فراش الموت، دعا أولاده

وسألهم : ما تعبدون من بعدى؟ وأى دين تختارون من بعدى؟ وكانت دعوته لأولاده الاثنى عشر فى مصر، لأن العائلة الطيبة انتقلت من فلسطين ، للإقامة فى مصر، عند النبى الكريم يوسف عليه السلام.

وقد أجاب الأبناء جميعًا أباهم قائلين: ﴿**نعبد إلهك وإله آبائك : إبراهيم وإسماعيل وإسحاق، إلهاً واحداً، ونحن له مسلمون**﴾.

وقد سجل القرآن هذه الحقيقة التاريخية قائلاً :﴿ **أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت، إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا : نعبد إلهك وإله آبائك، إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهًا واحداً ونحن له مسلمون**﴾ (سورة البقرة : ١٣٣)

ويوسف ــ ابن يعقوب ـ عليهما السلام يختار الإسلام ، ويطلب من الله أن يميته مسلما، وسجل القرآن دعاءه ، حيث قال ﴿ **رب قد آتيتنى من الملك، وعلمتنى من تأويل الأحاديث، فاطر السماوات والأرض أنت وليى فى الدنيا والآخرة، توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين**﴾ (سورة يوسف :١٠١).

موسى يدعو إلى الإسلام

ننتقل من تقرير القرآن إسلام أصول وأجداد بنى إسرائيل، إلى تقريره فى نصوصه وحقائقه القاطعة، إسلام أنبيائهم، الذين جاءوا بعد ذلك.

موسى عليه السلام مسلم مؤمن وهو أول المسلمين المؤمنين من قومه ﴿**فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين**﴾ (سورة الأعراف : ١٤٣).

وقد طلب موسى من قومه أن يسلموا لله، ويؤمنوا به ويتوكلوا عليه، قال تعالى : ﴿**وقال موسى: يا قوم إن كنتم آمنتم بالله، فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين فقالوا على الله توكلنا**﴾ (سورة يونس: ٨٤–٨٥).

استجاب قوم موسى المؤمنون به لدعوته، وأعلنوا أنهم مسلمون، ودعوا الله أن يتوفاهم مسلمين. وقرر القرآن هذه الحقيقة فى قوله : ﴿ **ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين** ﴾ (سورة الأعراف : ١٢٦)

وهذه النصوص القرآنية تقرر أن موسى وهارون مسلمان، وأن دينهما هو الإسلام ، وأن أتباعهما كانوا مسلمين.

داود خليفة مسلم

بدأ داود عليه السلام حياته الجهادية جنديا فى جيش ملك اليهود المسلم «طالوت» ، واشترك فى المعركة الفاصلة ضد أعداء بنى إسرائيل الكفار، وقتل بيده ملكهم الكافر «جالوت».

وتوجه الجيش المسلم المجاهد إلى الله بالدعاء: ﴿ **ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا : ربنا أفرغ علينا صبراً، وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين. فهزموهم بإذن الله، وقتل داود جالوت، وآتاه الله الملك والحكمة، وعلمه مما يشاء** ﴾ (سورة البقرة : ٢٥٠ ـ ٢٥١).

وأنشأ داود عليه السلام فى فلسطين حكماً إسلاميًا ، وأوجد لبنى إسرائيل دولة إسلامية إيمانية ربانية هادية.

وكان داود فى تلك الدولة المسلمة النبى الرسول، والملك الصالح، والخليفة العادل، والداعية العابد المجاهد ، حكم قومه بالإسلام، ونظم حياتهم على أساس الإسلام.

وقد ذكّره الله بخلافته فى الأرض ، وبالحكم بالحق ، فقال له : ﴿ **يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض ، فاحكم بين الناس بالحق، ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله، إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب** ﴾ (سورة ص : ٢٦).

حكم داود إسلامى وليس يهودياً ، وحروبه جهادية إسلامية لنشر الإسلام، وليست حروبا يهودية عنصرية لسيادة الجنس اليهودى ، ولقد قرب الناس ووالاهم على أساس إسلامهم وإيمانهم، وليس على أساس جنسهم ويهوديتهم.

ولذلك تبرأ داود عليه السلام من الكفار، وإن كانوا من قومه بنى إسرائيل، ولعن أولئك الكافرين من بنى إسرائيل.

وقرر القرآن هذه الحقيقة الإسلامية لداود عليه السلام بقوله : ﴿ **ولعن الذين كفروا من بنى إسرائيل ، على لسان داود وعيسى بن مريم، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون**﴾ (سورة المائدة: ٧٨).

لهذا كله، لا حق لليهود الكافرين المعاصرين فى فترة حكم داود عليه السلام فى فلسطين، حيث لعنهم بنص القرآن، وهذا معناه أنه برىء من كل يهودى كافر، ولو كان من نسله وذريته!!

سليمان حاكم مسلم وداعية للإسلام

سليمان ابن لداود ــ عليهما السلام ــ وورث سليمان داود فى كل شىء ، اختاره الله نبيًا مثل أبيه، وورثه فى الخلافة والملك والحكم، وحكم بنى إسرائيل من بعد أبيه، ووطد الدولة التى أنشأها أبوه.

ولقد كان سليمان حاكماً مسلماً، ونبياً رسولاً، وملكاً عادلاً، وعابداً داعية مجاهداً ، أى أنه أقام لبنى إسرائيل فى فلسطين حكماً إسلامياً إيمانياً، وأتباعه من بنى إسرائيل الذين معه، كانوا مثله مسلمين مؤمنين، عاملهم على أساس إسلامهم وإيمانهم وليس على أساس جنسهم ويهوديتهم.

وكل أعماله التى عملها فى فترة حكمه أعمال إسلامية وليست يهودية، ويجب أن تجعل للإسلام لا لليهودية، وأن «تجُير» للمسلمين لا لليهود، وجهاده لنشر

الإسلام، وحروبه وفتوحاته لإدخال الناس فى الإسلام، وحركاته دعوة منه للإسلام، وقد قرر القرآن هذه الحقيقة الإسلامية لأعمال وحكم سليمان، عندما أشار إلى قصته مع ملكة سبأ . فقد دعا سبأ وقومها للإسلام وليس لليهودية، وكان نص كتابه إليهم - الذى حمله الهدهد - **﴿بسم الله الرحمن الرحيم: ألا تعلوا على، وأتونى مسلمين﴾** (سورة النمل: ٣٠ - ٣١) ولما أوشك قوم سبأ أن يسلموا ، أراد سليمان أن يريهم آية على قوة الإسلام، فطلب إحضار عرش ملكة سبأ، بعد خروجها مع وفد قومها من اليمن: **﴿ قال يا أيها الملأ : أيكم يأتينى بعرشها، قبل أن يأتونى مسلمين﴾** (سورة النمل : ٣٨)

ولما حضرت ملكة سبأ عند سليمان ، ورأت العرش، فوجئت به، ولم تجزم أنه عرشها، سجل القرآن تفوق سليمان عليها، لأنه مسلم وهى كافرة ، أى أن الإسلام يقود إلى القوة والفطنة والذكاء، والكفر يوقع فى الغفلة والسذاجة : **﴿فلما جاءت قيل : أهكذا عرشك قالت كأنه هو، وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين. وصدها ما كانت تعبد من دون الله، إنها كانت من قوم كافرين﴾** (سورة النمل : ٤٢ - ٤٣)

وانتهت قصة سليمان الداعية المسلم مع ملكة سبأ، باستجابتها لدعوته، ودخولها فى دينه، واتباعها الإسلام ، ولقد سجل القرآن إسلامها : **﴿ قالت: رب إنى ظلمت نفسى ، وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين﴾** (سورة النمل: ٤٤)

إن قول ملكة سبأ : **﴿ وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين﴾** هو أصدق وصف لفترة حكم سليمان - عليه السلام - فى فلسطين.

كان سليمان عليه السلام فى فترة حكمه لبنى إسرائيل مسلماً لله رب العالمين، وكان هدفه أن يسلم معه الناس لله رب العالمين، وعمل على أن يسلم بنو إسرائيل معه لله رب العالمين، وكان حكمه هو الإسلام لله رب العالمين.

وهذا معنى قولنا : أن سليمان عليه السلام أقام فى فلسطين حكماً إسلامياً، يسلم فيه الناس مع سليمان لله رب العالمين، ولم يكن حكمه حكماً يهودياً عنصرياً طائفياً.

هيكل سليمان: ليسلم فيه الناس لله

الهيكل الذى بناه سليمان فى بيت المقدس ـ كما يقول اليهود ـ لم يكن لليهود باعتبارهم يهوداً ، ولم يبنه سليمان لهدف عنصرى أو طائفى أو قومى، لم يبنه ليخلد مجد اليهود، لأنهم شعب الله المختار كما يزعمون.

لقد بنى سليمان هيكله لعبادة الله، بناه ليسلم فيه الناس لله رب العالمين ، أى كان هيكله بيتاً للإيمان والإسلام، ولعبادة الله وطاعته وتقواه ، لأن هدف سليمان من كل أعماله فى حكمه : أن يسلم معه الناس لله رب العالمين.

وهذا معناه أن الإسلام ـ بمعناه الخاص ـ الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ، هو الوارث لحكم سليمان عليه السلام، لأن هدف محمد صلى الله عليه وسلم أن يسلم معه الناس لله رب العالمين.

ورثَ المسلمون فلسطين وحققوا هدف سليمان السابق، فى إسلام الناس معهم لله رب العالمين، وشيدوا المساجد وبيوت الله لتحقيق هذا الهدف، وبنوا المسجد الأقصى فى بيت المقدس لتحقيق ذلك، فكان المسجد بيتاً لله، يسلم فيه الناس لله، كما كان هيكل سليمان بيتاً إسلامياً لله، يسلم فيه الناس لله.

فلا حق لليهود فى سليمان ، ولا فى فترة حكم سليمان ، ولا فى هيكل سليمان، ونحن المسلمون الوارثون لسليمان ، فى كل هذه المعانى الإسلامية لحكمه الإسلامى!!!.

الفصل السادس

موقفنا من تاريخ بنى إسرائيل

رفض النظرة القومية إلى تاريخهم

من العرب المعاصرين من يذم ويكره كل بنى إسرائيل السابقين، ولا يستثنى منهم أحداً، أى أنه ينظر لهم باعتبارهم جنسًا أو قومًا، فيكره كل فرد من أفرادهم، وهو بالتالى يسقط ويلغى كل تاريخهم السابق، ويعتبره تاريخًا مظلماً يقوم على البغى والظلم والعدوان، ولا يستثنى من ذلك التاريخ حقبة أو دورة أو فترة . وهذه النظرة لبنى إسرائيل مرفوضة إسلاميًا، وهذا الموقف من تاريخهم مرفوض إسلامًيا كذلك.

بنو إسرائيل السابقون لا ينظر لهم القرآن باعتبار الجنس أو النسل أو القوم، ولذلك هو لا يقبل كل أفرادهم، كما أنه لا يرفض كل أفرادهم ، القرآن يلغى النظرة القومية لبنى إسرائيل ، ويلغى الموقف القومى من تاريخهم.

إن اليهود ينظرون إلى أجدادهم نظرة قومية مغالية، ويفهمون تاريخهم فهماً قوميًا مغاليًا، ومن ثم يتعاملون مع بعضهم فى هذا الزمان تعاملاً قوميًا عنصريًا.

كل يهودى عندهم معزز مكرم، منذ يعقوب ـ إسرائيل ـ عليه السلام، وإلى الآن، مهما كان مستواه وتصوره وسلوكه ، أليس فردا من أفراد شعب الله المختار كما يزعمون؟ وكل فترة وحقبة من تاريخهم مقبولة عندهم، لأنها تمثل تاريخًا لذلك الجنس اليهودى القومى العنصرى المتعصب.

ونظراً لهذه النظرة القومية العنصريـة.اليهودية لليهود وتاريخهم ، فإن بعض العرب المعاصرين يـردون عليها بنظرة قومية عنصرية عـربية مغالية ، فيعتبرون كل فرد من أفراد بنى إسرائيل السـابقين عدواً لهم، ويعتبرون كل فترات تاريخهم فترات بغيضة، لأنها تاريخ لأعدائهم.

والمسلم الذى ينظر فى تاريخ الناس بمنظار القرآن، ويتعامل مع الآخرين وفق حقائق وتـوجيهات القـرآن، يرفض كلتـى النظرتين المغـاليتين ، النظرة القـومية اليهودية المغالية، ونقيضها النظرة العربية القومية الرافضة.

النظرة القرآنية الإيمانية

ينظر القرآن فى تـاريخ بنى إسرائيل نظرة إيمانية، ويقّوم أشخـاصـهم تقويًما إيمانيًا.

لا يتعـامل القـرآن مع بنى إسرائيل بـاعتبـارهم جنسًـا أو قومًـا ، مقبـولاً أو مرفوضًا، بل يتعامل معهم باعتبارهم أفراداً، مؤمنين أو كافرين.

منهم من هو مؤمن ، فهذا عزيز كريم، ومنهم من هو كافر ، فذلك خبيث لئيم.

وهذه النظرة القـرآنية لهم علمية منهجية مـوضوعية، وتدعـو المسلمين الذين يصدرون عن القرآن، وينطلقـون من حقائقه، إلى أن يكونـوا موضوعيين علميين منهجيين فى الحديث عن بنى إسرائيل السـابقين، وتقويم أفرادهم.

إن القرآن ينظـر هذه النظـرة الموضوعية إلى جميـع الأقوام والأمم ، وليس إلى بنى إسرائيل فقط، إنه يفسر تاريخ الأفـراد والجماعات والأمم والشعوب تفسيراً إسلامياً، ويقوّم الأشخاص تقويماً إيمانياً.

كـل شـخص مسـلم فالقرآن يثنى عليـه، مهمـا كـان أصله أو جنسه أو لونه أو أرضه أو لغته، وكل أمـة مسلمة فـالقرآن يمدحـها، مهما كان أصلها أو لونها أو موطنها.

تـاريخ المؤمنين تاريـخ محمود فى القـرآن، وهـو مشرق خيِّر مبارك، وتـاريخ العصـاة والظالمين والكـافرين تاريـخ مرفـوض فى القرآن، وهـو مظلم فاسـد شرير.

وهذه دعوة منـا إلى الذين يكتبون التاريخ، والذين يدرسـونه إلى الالتزام بهذا المقياس القرآنى ، والميزان الإيمانى، والتقويم الموضوعى الإسلامى.

بنو إسرائيل السابقون صنفان

يخبرنا القرآن أن بنى إسرائيل السـابقين صنفان : مؤمنون صالحون مكرمون عند الله، وكافرون ظالمون ، عصاة مجرمـون، ملعونون عند الله. ويعترف القرآن أن غالبية بنى إسرائيل كانوا من الصنف الثانى.

وقد وردت آيات كثيرة تذم بنى إسرائيل الكـافرين العصاة الظالمين، وتسجل عليهم تكذيبهم لأنبيائهم، وكفرهم بالحق الذى معهم، ونقضهم لعهود الله.

قال تعالى : ﴿ **ولقد آتينا موسى الكتاب ، وقفينـا من بعده بالرسل، وآتينا عيسى ابن مريم البينات، وأيدنـاه بروح القدس، أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم، استكبرتم، ففريقـا كذبتم، وفـريقا تقتلون ، وقـالوا قلـوبنا غلف، بل لعنهم الله بكفرهم، فقليلاً ما يؤمنون** ﴾ (سورة البقرة : ٨٧ ـ ٨٨)

وقال تعالى: ﴿ **وقالت اليهـود يد الله مغلـولة ، غلت أيـديهم، ولعنوا بما قالوا، بل يـداه مبسوطتان ، ينفق كيف يشاء ، وليزيـدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً** ﴾ (سورة المائدة : ٦٤).

معظم بنى إسرائيل السـابقين ، الذين كانـوا قبل مجىء الإسلام، ظالمون عصاة مجرمون، ناقضون للعهود والمواثيق ، متبعون للباطل والهوى، ومحاربون للحق والرسل والأنبيـاء. وعلى هذا الصنف البـاغى ، تنطبق آيات القـرآن التى تذم بنى إسرائيل ، وتسجل عليهم مخالفاتهم، وتقرر لعنتهم وعذابهم وغضب الله عليهم.

القرآن ينصف القلة المؤمنة منهم

هناك صنف مؤمن فاضل كريم، من بنى إسرائيل السابقين، ولكن أفراد هذا الصنف قلائل أو نادرون.

إن القرآن ينصف القلة المؤمنة منهم، ويثنى على صالحيهم ومؤمنيهم، ويشيد بهم وبمواقفهم، ويعتبرهم أحبابًا لله، ويدعونا أن نحبهم، وأن نقتدى بهم، فى الصلاح والفضيلة والالتزام والدعوة.

وفى طليعة ذلك الموكب المؤمن الكريم من بنى إسرائيل ، أنبياؤهم ورسلهم، مثل يعقوب ويوسف وموسى وهارون ، وداود وسليمان ، وزكريا ويحيى وعيسى ، عليهم الصلاة والسلام ، وفى مقدمة ذلك الموكب أيضًا أشخاص عرفنا القرآن بهم مثل طالوت.

لقد سجل القرآن الموقف الإيمانى العظيم للسحرة الذين جاءوا إلى موسى مرتزقة تابعين لفرعون، فلما عرفوا الحق آمنوا به وواجهوا فرعون بموقف إيمانى رجولى عظيم.

﴿ قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى، وألق ما فى يمينك تلقف ما صنعوا ، إنما صنعوا كيد ساحر ، ولا يفلح الساحر حيث أتى، فألقى السحرة سجداً ، قالوا : آمنا برب هارون وموسى قال : ءامنتم له، قبل أن ءاذن لكم، إنه لكبيركم الذى علمكم السحر ، فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف، ولأصلبنكم فى جذوع النخل، ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى، قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات، والذى فطرنا، فاقض ما أنت قاض، إنما تقضى هذه الحياة الدنيا، إنا ءامنا بربنا ليغفر لنا خطايانا، وما أكرهتنا عليه من السحر، والله خير وأبقى﴾ (سورة طه: ٦٨ ـ ٧٣)

وقد جعل القرآن أولئك المؤمنين الصالحين من بنى إسرائيل أئمة هدى . قال

تعالى : ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب ، فلا تكن فى مرية من لقائه ، وجعلناه هدى لبنى إسرائيل ، وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا، لما صبروا وكانو بآياتنا يوقنون﴾ (سورة السجدة : ٢٣ ـ ٢٤).

وقد اعتد القرآن بشهادة أولئك المؤمنين منهم، على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى : ﴿ قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به، وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله ، فآمن واستكبرتم إن الله لا يهدى القوم الظالمين﴾ (سورة الأحقاف: ١٠)

آيات تجمع بين الصنفين

يعلمنا القرآن الموضوعية والمنهجية فى الحديث عن بنى إسرائيل، فلا نقبلهم كلهم، ولا نرفضهم كلهم، وإنما نزنهم بميزان الإيمان، وننظر لهم على أساسه.

ولذلك وردت آيات قرآنية فيها ذكر الصنفين: المؤمنين مع الثناء عليهم، والكافرين مع ذمهم.

قال تعالى : ﴿ ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ، منهم أمة مقتصدة ، وكثير منهم ساء ما يعملون﴾ (المائدة:٦٦).

وقال تعالى: ﴿ فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم، وبصدهم عن سبيل الله كثيرا ، وأخذهم الربا، وقد نهوا عنه، وأكلهم أموال الناس بالباطل، وأعتدنا للكافرين منهم عذابًا أليمًا، لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون ، يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك ﴾ (سورة النساء : ١٦٠ ـ ١٦٢).

ونقرأ هذه الآيات الموضوعية، التى تصنف بنى إسرائيل تصنيفا منهجيا فتجعلهم فريقين : مؤمنين وكافرين.

قال تعالى: ﴿ كنتم خير أمة أخـرجت للناس، تأمرون بالمعـروف وتنهون عن المنكـر ، وتؤمنـون بـاللـه، ولو آمن أهل الكتـاب لكـان خيراً لهم، منهم المؤمنون وأكثرهم الفـاسقون، لن يضروكم إلا أذى ، وإن يقاتلوكـم يولوكم الأدبار ثـم لا يُنصرون، ضربـت عليهم الذلـة أينمـا ثقفـوا إلا بحـبل مـن الله وحبل من الناس، وباءوا بغضب من الله، وضربت عليهم المسكنة، ذلك بأنهم كـانوا يكفـرون بآيـات اللـه، ويقتلـون الأنبيـاء بغير حق، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون. ليسوا سواء، من أهل الكتاب أمة قائمة، يتلون آيات اللـه آنـاء الليـل، وهـم يسجـدون ، يؤمنـون بـاللـه واليـوم الآخـر، ويـأمـرون بـالمعروف، وينهَـون عن المنكـر، ويسـارعـون فى الخيرات ، وأولئك من الصالحين، وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين﴾ (سورة آل عمران : ١١٠ ـ ١١٥).

هـؤلاء المؤمنون الصـالحون منهم، نحبهم، ونحترمهم ، ونقتـدى بهم، لأنهم إخوان لنـا، مسلمون مثلنـا، ومصيرهم الجنة، ونرجـو أن يجمعنا اللـه بهم يوم القيامة .

الفرد المؤمن من بنى إسرائيل السابقين فى الجنـة ، والفرد المسلم من العرب فى الجنـة ، لأن أهل الجنة لا يصنفـون تصنيفًـا قوميًـا ولا عنصريًـا ، بل تصنيفهم إيمانى إسلامى.

تاريخ بنى إسرائيل الإيمانى تاريخ لنا

الكـلام عن صنفى بنى إسرائيل السابقين : المؤمنين والكـافـرين ، يقودنـا إلى الحديث عن تاريخهم السابق ، وهو نوعان:

تاريخ مشرق منير محمود ، وهو تاريخ مـؤمنيهم وصالحيهم، أو هو التاريخ الذى حكمهم فيه مـؤمنوهـم وصالحوهـم ، وقادهم فيه أنبيـاؤهم ، وهذا التاريخ

نتبناه نحن، ونشيد بـه، ونعتبره تاريخا لنا، تاريـخا إسلاميا إيمانيـا. وفى مقدمة ذلك التاريخ الإسلامى المشرق لبنى إسرائيل السـابقين، تاريخ أنبيائهم ورسلهم، مثل تاريخ مـوسى وهارون ، وتاريخ داود وسليمان ، وتاريخ زكـريا ويحيى، وتاريخ عيسى ، عليهم الصلاة والسلام.

لـذلك اعتبرنـا حكم داود وسليمان عليهما الصـلاة والسـلام ـ وهى الفترة الذهبيـة الزاهية لحكم بنى إسرائيل ـ حكما إسلاميا ، لا حكما يهوديـا عنصريا ، واعتبرنـا ذلك التـاريخ إسـلاميا ، واعتبرنـا أعمال داود وسليمان وانجـازاتهما مظاهر إسـلامية لا يهودية، واعتبرنا هيكل سليمان فى بيت المقدس بيتـا إسلاميا لعبادة الله بناه سليمان، وليس معلما يهوديا ، واعتبرنا المسجد الأقصى وارثًا له، ومؤديا لمهمته الإيمانية فى عبادة الله.

نحن مع موسى وهـارون والسحرة المؤمنين فى مصر، ضد فرعـون وجنوده، نتبنى مواقفهم ضد فرعون ، ونشيد بثباتهم أمام فرعون.

نحن مع فتى مـوسى «يوشع بن نـون» ، ذلك الرجل المؤمن والعبـد الصالح، ونؤيده فى فتوحـاته فى الأرض المقدسة، وحروبه ضـد الكفار فى الأرض المقدسة، ونشيد بـانتصاراتـه عليهم، لأن معاركه وحـروبه كـانت لنشر الإيمان وإحقاق الحق، وضد البغى والكفـر، ولم تكن معاركـه عنصرية قوميـة ، لمصلحة الشعب اليهودى ضد غيره.

نحن مع طالوت فى حـربه ضد جالوت، لأنها حـرب الإيمان أمام الكفر، ونحن مع جيش طالوت المؤمن الصـابر، فى قتاله لجيش جالوت البـاغى الكافر.. ونحن مع داود المؤمن الكريم، فى قتلـه لجالوت الظالم الأثيم ، لأن أعمال طـالوت وداود وجيشهما لنصرة الإيمان، وخذلان الكفر والعدوان.

نحن مع نبى اللـه سليمان عليه السلام، النبى الحكيم والملـك العادل، والحاكم

الصالح، فحكمه حكم إسلامى، لا يهوديًا، وتاريخه تاريخ إسلامى مشرق منير، لا تاريخًا يهوديًا عنصريًا باغيًا.

لا حق لليهود المعاصرين فى تاريخ أسلافهم المشرق، لا يجوز لهم أن يفخروا بتاريخ أنبيائهم وصالحيهم، لأنه تاريخ الإسلام والإيمان، وهم ليسوا مسلمين ولا مؤمنين.

تاريخ يعقوب ويوسف وموسى وهارون وطالوت وسليمان وداود ، تاريخ لنا نحن، وليس تاريخًا لهم.

ونعترف بأن فترات التاريخ الإيمانى المشرق والإسلامى المنير عندهم كانت فترات قصيرة من حيث الزمان، لا تكاد تذكر أمام تاريخهم الآخر الذى هو ألصق بهم، وأظهر فى الدلالة على نفسيتهم وطبيعتهم.

تاريخ بنى إسرائيل الأسود نحن ضده

النوع الثانى من تاريخ بنى إسرائيل : هو تاريخ أسود مظلم قاتم، تاريخ يقوم على الكفر بالله، ومحاربة الحق، وتكذيب الرسل، ونقض العهود، وارتكاب المعاصى، وممارسة الظلم، والسعى فى الفساد ، ونشر الرذائل والمنكرات.

هذا التاريخ هو التاريخ اليهودى الحقيقى، باعتبار أصلهم وقومهم وعنصرهم وجنسهم ، وهو ألصق بهم، وأصدق فى الدلالة على نفسيتهم وطبيعتهم.

هذا التاريخ نتبرأ نحن منه، وننكره ونكره أصحابه ، ونحكم عليهم بالكفر والظلم والفسوق والعصيان

هذا تاريخهم نتركه لهم، فليسجلوه وليأخذوه، وليطأطئوا رؤوسهم خجلا عندما يذكرونه ، أو يتذكرونه ، أو يذكر لهم.

تاريخ اليهود البغيض هو تاريخ طلبهم من موسى رؤية الله جهرة ،

ورفضهم إعطاء العهد عن بنى إسرائيل، وتخليهم عن المن والسلوى، وطلبهم البقل والقثاء والفوم والعدس والبصل.

تاريخهم هو الكفر بالله ، وعبادة العجل من دون الله وعبادتهم المال والذهب.

تاريخهم هو الذل والجبن ، ورفضهم الجهاد والقتال ودخول الأرض المقدسة فاتحين.

تاريخهم هو التيه الذى ضربه الله عليهم فى سيناء أربعين سنة ، وهو الاعتداء على أحكام الله، وصيدهم الحيتان يوم السبت فى تلك القرية، ومسخهم قردة وخنازير.

تاريخهم هو الكفر والكذب، ونقض العهود، ونشر الفجور ، والتمرد على الأنبياء وقتل الصالحين.

تاريخهم هو لعنة الله وغضبه عليهم، تاريخ المسخ والقذف ، تاريخ الضياع والتيه والتشريد ، تاريخ الذلة والمسكنة التى ضربها الله عليهم، والتسليط والتعذيب ، الذى جعله الله عليهم.

هذا هو تاريخ اليهود الحقيقى فليباهوا به إن استطاعوا، وليفاخروا به إن قدروا.

وما لهم وللأطهار الأبرار من أنبيائهم وصالحيهم ، الذين تبرأوا منهم ولعنوهم.!!

دع المكارم لا ترحل لبغيتها   واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسى

نحن وأنبياء بنى إسرائيل

إن تفريقنا ـ كما فرق القرآن ـ بين نوعين من تاريخ بنى إسرائيل ، وتبنينا لتاريخ أنبيائهم وصالحيهم ، وحصر تاريخهم بالظلم والكفر والعدوان، يقودنا

إلى كلمة عن مـوقفنا من أنبيائهم، وهـدفنا من ذلك أن نرد على أصحـاب« النظرة القومية العربية» الباطلة فى صراعنا مع اليهود.

القـوميـون العـرب لا يعـرفون هـذه الحقـائق القـرآنيـة عـن بنى إسرائيل وتـاريخهم، ولهذا يتعـاملـون معهم تعـامـلاً قوميـا عنصريـا ، وينظـرون لهم باعتبارهم قوماً وعنصراً يهوديًا ، ولهذا يكـرهون كل من كان أصله يهوديًا، ولو كان صـالحاً تقياً، أو نبياً رسولاً ، ويمـدحون كل من وقف أمام اليهود ولـو كان كافراً ظالماً.

قرأنا لقوميين عرب كلامـاً ، يكرهون فيه أنبياء بنى إسرائيل، لأنهم يعتبرونهم يهوداً، يكـرهـون مـوسى وهـارون ، ويحقـدون على داود الإسرائيلى، لأنـه قتل «جالـوت» الفلسطينى، ويذمون سليمان لأنه ملك يهودى مستبـد، أقام الهيكل فى بيت المقدس، واستعمر بلاد العرب حتى اليمن ، وهذا كفر من هؤلاء، وخروج من دين الله، لأن من أنكـر نبيًا فقد كفـر، ومن كره نبيًـا أو ذمه أو شتمه فقـد كفر ، وموسى وهارون وداود وسليمان أنبياء كرام عليهم السلام.

إيماننا بأنبيائهم

إننا نـؤمن بأنبياء بنى إسرائيل المذكـورين فى القرآن، ونحبهم ونصلى عليهم، ونتبنى تاريخهم، ونقتـدى بهم فى مواقفهم، ونعتبر تاريخهم إسـلاميًا وأعمالهم إيمانية ، والقرآن يأمرنا بذلك:

قال تعالى: **﴿آمن الرسول بما أنـزل إليه من ربه، والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبـه ورسله، لا نفـرق بين أحد من رسلـه ، وقالـوا : سمعنـا وأطعنا﴾**(سورة البقرة : ٢٨٥)

وقال تعالى : **﴿وقـالوا : كونـوا هوداً أو نصـارى تهتدوا ، قل : بل ملـة إبراهيم حنيفًا، ومـا كـان مـن المشركين، قولوا : آمنا باللـه، وما أنزل إلينا**

وما أنــزل إلى إبراهيــم وإسمــاعيل وإســحاق ويعقــوب والأسباط ، ومــا أوتي موسى وعيسى، ومــا أوتــى النبيون مـــن ربهــم ، لا نفــرق بيــن أحد منهم ونحن له مسلمون﴾ (سورة البقرة ١٣٥:١٣٦)

وقال تعالى : ﴿إن الذين يكفرون بــالله ورسله، ويريــدون أن يفرقوا بين الله ورسله، ويقــولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ، ويــريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً . أولئك هم الكــافرون حقــا، وأعتدنا للكــافرين عذابــا مهينا، والذين آمنوا بــالله ورسله ولم يفرقوا بين أحــد منهم، أولئك سوف يؤتيهم أجورهم ، وكان الله غفوراً رحيماً﴾ (سورة النساء : ١٥٠ ـ ١٥٢).

نحن أحق بموسى منهم

ويعلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلــم هذه النظرة الموضوعية الإيمانية إلى صالحى وأنبيــاء بنى إسرائيل، ويدعونا إلى الإيمان بأنبيــائهم، ومحبتهم والثناء عليهم، والاقتــداء بهم، وأن نعتبرهـم منا ولنــا ، وأن نجــرد اليهود من الانتســاب إليهم، أو زعم السير على طــريقهم ، وأن نعتبر أننــا نحن الأولى بأولئـك الأنبيــاء الكرام عليهم السلام .

فقد روى البخــارى ومسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قــدم رسول الله صلى الله عليــه وسلم المدينة، فرأى اليهــود تصوم عاشوراء، فقــال : ما هذا؟ قالــوا : يوم صـــالح، نجى الله فيــه موسى وبنى إسرائيــل من عدوهــم ، فصـــامه موسى.فقال رسول الله صلى الله عليــه وسلم: « أنا أحق بموسى منكم ، فصامه، وأمر بصيامه».

محمد أحق بموسى ـ عليهما الصلاة والســلام ـ من اليهود، لأن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم امتداد لرسالة مــوسى عليه السلام، أما اليهود فلا حق لهم

فـــى الانتـــساب الديـــنى والإيمانى إلى موســـى عليه الســـلام ، لأنهـــم كفـــروا وطـــغوا وبـغوا.

أمـة محمد صلى اللـه عليـه وسلم أحق بموســـى من اليهود، لأنها هى المظهـر العملى الواقعى لرسالة موسى عليـه السلام، واليهود الكافرون البغاة لا يمثلون رسالة موسى عليه السلام.

إذن نـرفـع هذا الشعـار الذى عملنـاه إيـاه رسول اللـه صلى الله عليـه وسلم ونقول: نحن أحق بموسى عليه السلام.

فموسى عليه السلام لنا، وتاريخه تاريخنا، وحياته وسيرته عز لنا وقدوة لنا، هو منا ونحن منه، وهكذا كل أنبياء بنى إسرائيل

نحن أحق بهارون منهم، نحن أولى بـداود وسليمان منهم، نحن أحق بزكـريا ويحيى منهم، نحن أولى بعيسى منهم ومن النصارى ، نحن أمة الـوراثة الإيمانية لجميع رسل وأنبياء الله.

أنبياؤهم يتبرأون منهم

ثم ما لليهود وأنبيائهم؟ ولماذا يزعمون أنهم منهم؟ أو أنهم على طريقهم؟ وهم كفار بغاة ظالمون!

لقد أخبرنا القرآن أن أنبياءهـم تبرأوا منهم ولعنوهـم، وغضبوا عليهم.

موسى عليه الســلام يخاطبهم قائلا: **﴿يا قوم لم تـؤذوننى ، وقد تعلمون أنى رسول الله إليكـم فلما زاغـوا أزاغ الله قلوبهـم ، والله لا يهـدى القـوم الفاسـقين﴾** (سورة الصف : ٥)

ولما طلب منهم مـوسى نفسه عليـه السلام دخـول الأرض المقدسـة فاتحين، جبنوا عن ذلك، ورفضوا وتمردوا، وقالوا : **﴿ إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها، فاذهب أنت وربك فقاتلا، إنا ههنا قاعدون﴾** (سورة المائدة : ٢٤)

عندهــا تبرأ موسى منهم، ولجأ إلى اللــه، وطـلب منه أن يفـرق بينه وبينهم ﴿قال: رب إنــى لا أملك إلا نفسي وأخي، فافـرق بيننا وبين القـوم الفاسقين﴾ (سورة المائدة : ٢٥)

وداود عليـه السـلام ـــ نبيهم ورســولهم وملكهم ـ يتبرأ منهم ويلعنهم ، قـال تعالى: ﴿لعن الـذيـن كفـروا من بنى إسرائيل، على لســـان داود وعيسى بن مريم، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾ (سورة المائدة : ٧٨)

كل اليهود الآن كفار

نـختم كلامنا عن موقفنا من تاريخ وأنبياء بنى إسرائيل بالقول:

إن تقسيمنا بنى إسرائيل إلى صنفين ، وتقسيمنا تاريخهم إلى قسمين ، إنما هو فى الكلام على بنى إسرائيل السابقين، الذين كانوا قبل محمد صلى الله عليه وسلم، فمؤمنهم منا، وكافرهم عدونا.

أما بعد بعثــة محمد صلى الله عليه وسلم، فإنهم مطالبـون بتصديقه والإيمان به واتباعه، والدخول فى دينــه، فمن فعل ذلك فهو مؤمن مسلم، أخ لنا وواحد منا، ومن رفض ذلك وأصر على يهوديتــه فهـو كــافر، مخلــد فى نــار جهنم، أى أن كل اليهود بعد البعثة كفار، وموقفنا من تاريخهم البراءة والإنكار.

الفصل السابع

لا نقــول «دولــة إســرائيــل»

اليهود يستغلون اسم «إسرائيل»

يستغل اليهــود اسم إسرائيل، فى مــرحلة قــوتهم المعـاصرة فى هــذا الزمــان، ويعنون بذلك أنهم مرتبطون بنبي الله «إسرائيل» عليه السلام، وأنهم على دينه، وأنهم ورثته وأبناؤه، ومن ثم فإن الله راض عنهم، ومؤيد لهم.

فلما أقاموا دولتهم فى فلسطين، أطلقــوا عليها اسم «دولة إسرائيل»، وكثير من مــؤسســاتهم ووزاراتهم ومــرافقهم أخــذت اسم إسرائيل:فبنك إسرائيل، وعَلَم إسرائيل، وأرض إسرائيل، وصوت إسرائيل، وجيش الدفاع الإسرائيلى، ووزارة الخارجية الإسرائيلية .. وهكذا.

إنهم يهدفــون الى إضفــاء البعــد الــدينى على كيــانهم ووجــودهم على أرض فلسطين، وبذلك يستجيشون المشــاعر والعواطف الدينية عنـد اليهود فى العالم، ليهاجروا ويدعموا كيانهم، ويستثمــرون كل طاقات وقدرات ومواهب اليهود فى العالم، لتصب فى مصلحة كيانهم.

يفعلون ذلك، لأنهم يعرفون أثر الـدين فى مخاطبة الشعوب، والنهوض بها، واستثمار طاقاتها، فخــاطبوا أفرادهم خطــاباً دينياً توراتيــاً، ونجحوا فى تجنيد هؤلاء الأفراد لمصلحة كيانهم.

وهم باستغلالهم اسم «إسرائيل» ذى الأبعاد الدينية ، يريدون التأثير على شعوب العالم النصرانية ، وكسب تأييدها لأعمالهم وكيانهم ، لأن هذه الشعوب تدّعى إيمانها بالإنجيل وبالتوراة أيضا ، فالتوارة هى العهد القديم ، والإنجيل هو العهد الجديد، والاثنان يكوّنان الكتاب المقدس ، الذى يؤمن به النصارى.

يقدّم اليهود كيانهم على أرض فلسطين للشعوب والدول والحكومات الغربية باعتباره تحقيقًا لنبوءات العهد القديم فى الكتاب المقدس، ومظهرًا عمليًا لوعود الله لإبراهيم وإسرائيل عليهما السلام ، ويفهمونهم أن دعم وتأييد كيان اليهود على أرض فلسطين ، من لوازم ومقتضيات إيمان النصارى بالإنجيل.

وصدّق النصارى الغربيون –أفراداً وحكومات– هذه الادعاءات اليهودية ، وانطلت عليهم هذه الحيلة اليهودية ، وسارعوا إلى تأييد اليهود ودعمهم ، وتسابقوا فى تقديم كل عون ممكن لهم . ويعتبر أولئك النصارى أنفسهم فى حلف واحد مع اليهود ، ضد الخصم المشترك للفريقين: الإسلام والمسلمين.

ترديد بعضنا اسم «إسرائيل»

تغيب تلك الحقائق عن بعضنا ، عند كلامهم عن اليهود على أرض فلسطين، ولا يفطنون لذلك الاستغلال اليهودى لاسم إسرائيل ، فيتكلمون بدون انتباه وحيطة ، ويرددون كلام اليهود ، فتسمع لمتكلمين وخطباء عرب ، وتقرأ لكاتبين وباحثين عرب ، وتطلع على كلام صحفيين ومذيعين عرب ، يقولون هذا الكلام : دولة إسرائيل، وجيش إسرائيل ، وصوت إسرائيل ، وبنك إسرائيل ...

يطلقون اسم «إسرائيل» على وزارات ومؤسسات ومرافق كيان اليهود ، وينسبون ما عندهم إلى إسرائيل .

ونرى أن فعل هؤلاء المتكلمين والكاتبين العرب ، مظهر من مظاهر تأثرنا نحن

بما يردده ويقوله اليهـود ، وغفلتنا فى كلامنا وعباراتنا ، وعـدم انتباهنا لأهداف ووسائل أعدائنا .

إننـا نـدعو المتكلمين والكـاتبين والصحفيين والمذيعين، إلى عـدم إطـلاق اسـم «إسرائيل» على كيان اليهـود ، وعدم نسبة ما عندهم إلى إسرائيـل ، وإنما يقولون «يهود »بدل «إسرائيل».

من هو «إسرائيل»؟

من هو إسرائيل الـذى ينتسب اليهود له؟ ويتمسحـون به ؟ وما مـوقفنا نحن منه؟

«إسرائيل» نبى كريم حبيب ، من أنبياء الله تعالى ، إنه «يعقوب» بن إسحاق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام ، قال تعالى:**﴿أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين : من ذريـــة آدم ، وممن حملنـا مع نـــوح ، ومن ذريـــة إبراهيـــم وإسرائيـل وممـن هدينا واجتبينا﴾** (سورة مريم:٥٨).

إبراهيم أبو الأنبياء عليه السلام ، وشجـرة النبوة منه لها فرعان أو غصنان : الفرع الإسماعيلى ، والفرع الإسرائيلى.

إسماعيل ابن إبراهيم عليهما السلام ، وقـد ختمت النبوة بالفرع الإسماعيلى ، لأن محمدًا صلى الله عليه وسلم –رسـول الله وخاتم النبيين– من ذرية إسماعيل عليه السلام.

والفرع الإسرائيلى يتمثل فى أنبياء بنى إسرائيل ، فإسحاق ويعقوب «إسرائيل» ويوسف ـ عليهم الصـلاة والسلام– كلهم أنبياء فى هذه السلسلـة المباركة : الجد والأب والابن ، ولهذا كان يوسف عليه السلام هـو الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم.

وأنبياء بنى إسرائيل كلهم من نسل إسرائيل «يعقوب» مثل : موسى وهارون ، وداود وسليمان ، وإلياس واليسع وذو الكفل ، ويحيى وزكريا وعيسى، عليهم الصلاة والسلام.

وقال تعالى عن «إسرائيل» الذى عاش قبل بنى إسرائيل ، وقبل إنزال التوراة **﴿كل الطعام كان حلاً لبنى إسرائيل، إلا ما حرم إسرائيل على نفسه، من قبل أن تنزل التوراة، قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين﴾** (سورة آل عمران :٩٣).

أى أن الله أحل لبنى إسرائيل الطعام ، إلا طعامًا كان قد حرمه أبوهم «إسرائيل» ـ أى يعقوب – على نفسه ، بأن امتنع عنه تقربا الى الله ، فالتزم أبناؤه بالامتناع عنه اقتداء بأبيهم ، فحرمه الله عليهم ، وهذا كان قبل التوراة ، لأن يعقوب عاش قبل نزول التوراة ، فالتوراة أنزلها الله على موسى ، وبين يعقوب وموسى عليهما السلام قرون عديدة.

لماذا سمى يعقوب «إسرائيل»؟

يعقوب وإسرائيل اسمان أعجميان عبريان ، جامدان غير مشتقين، فلا نبحث عن سبب تسمية نبى الله يعقوب بهما.

ونرفض الخرافات والإسرائيليات الواردة فى العهد القديم عن ذلك ، فقد قالوا: إن أمه كانت حاملة بتوأم ،فلما وضعت ، نزل أخوه «عيسو» أولاً ، ثم نزل «يعقوب» إثره ، وهو ممسك بعقب «عيسو» فسماه أبوه يعقوب من العقب ، لأنه أمسك بعقب عيسو ، وهذا هراء سخيف وباطل .

وقد ورد فى العهد القديم المحرف ، كلام فاجر كافر ، عن سر تسميته «إسرائيل»، فقال اليهود الكافرون المحرفون للتوراة: إن يعقوب كان يسير ف

الطريق فجر يوم ، فتجلى له «الرب»، فتكلما ، وتصارعا ، فصرع يعقوب «الرب» ، ثم تصارعا ، فصرع يعقوب الـرب ثانية ، ثم صرعه ثالثة ، فقـال له «الرب» وهو مصروع تحت يعقـوب:قم عنى وأطلقنى ، قبل أن يظهـر الصبـاح ، فيرانى أحـد الناس مصروعًـا ، فأفتضح ، فقال يعقوب للـرب : لن أطلقك إلا إذا باركت نسلى ، وأعطيته الأرض المقـدسة، ففعل الـرب ، وباركـه وبارك نسلـه ، وأعطاهـم أرض الميعاد!!.

أوردنا هذا الكلام المذكور فى العهد القـديم ، من باب «ناقل الكفر ليس بكافر»، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

قالوا :وسمى الله يعقوب من وقتها«إسرائيل»، أى :الذى صـارع الرب.

إننا لا نعرف الحكمة من تسمية الله ليعقوب «إسرائيل» ، وكل ما نعرفه – من خلال آيات القرآن – أن الله أطلق عليه اسمين : يعقوب وإسرائيل .

من هم «بنو إسرائيل»؟

بنو إسرائيل هم أولاد يعقـوب عليه السلام ، فقد رزق اللـه يعقوب اثنى عشر ولداً ، يوسف وإخـوانه. ومن هؤلاء الأبناء الاثنى عشر ، تفـرعت أسباط وأفخاذ وقبائل بنى إسرائيل. وقـد أقام الأخوة فى مصر عند أخيهم يوسـف عليه السلام ، وهناك تكاثر أولادهـم وتناسلوا.

فلما جاءهم موسى عليـه السلام نبيًا، خرجـوا معه من مصر إلى الصـحراء فى سيناء ، فلما عطشـوا وطلبوا الماء ، أمـر الله مـوسى أن يضرب الحجـر بعصاه ، فخرج من الحجر اثنتا عشرة عينا ، على عدد أسباطهم وقبائلهم.

قال تعالى:﴿وإذ اسـتسقى موسـى لقومـه ، فقلنـا اضـرب بعصـاك الحجـر ، فانفجـرت منـه اثنتا عشرة عينـا ، قـد علـم كل أنـاس مشربهم﴾ (سورة البقرة: ٦٠).

وبقى اسم بنى إسرائيل يطلق عليهم حتى بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ، وآيات القرآن صريحة عندما كانت تخبر عنهم ، وعن تاريخهم ، وعن أعمالهم ، وعن خطاب أنبيائهم لهم ، وعن تكليف الله لهم ، وعن مخالفاتهم وأخطائهم ، فقد كانت تطلق عليهم اسم «بنى إسرائيل».

متى سماهم القرآن «يهوداً»؟

أطلق القرآن اسم «اليهود» عليهم بعد البعثة ، وبعد كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم، وقد جعل بعض العلماء كلمة «اليهود» مشتقة من «الهود» ، والهود هو الرجوع برفق ، والتوبة الى الله تعالى .

قال موسى عليه السلام ومعه قومه التائبون:﴿ **أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا، وأنت خير الغافرين ، واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة ، وفى الآخرة إنا هدنا إليك** ﴾(سورة الأعراف ١٥٥-١٥٦)

أى :إنا هدنا وتبنا وعدنا ورجعنا إليك.

وليست كلمة «اليهود» مشتقة من «الهود» وهو الرجوع والتوبة ، فهم كفار ، وليسوا تائبين وراجعين إلى الله ، وإن زعموا ذلك.

كلمة «يهود» اسم علم أجنبى جامد غير مشتق ، خاص بذلك الشعب الكافر الملعون . والملاحظ أن كلمة «اليهود» لم ترد إلا فى القرآن المدنى ،حيث وردت ثمانى مرات فى سور: البقرة والمائدة والتوبة . وعندما أورد القرآن المدنى اسم «اليهود» أورده فى سياق الذم وليس المدح.

إن عدول القرآن المدنى عن اسم بنى إسرائيل إلى اسم اليهود، وإطلاقه اسم اليهود، ليوحى لنا ببعض الحكم منها: وجوب اتباعنا لأسلوب القرآن فى التفرقة بين الاسمين : اليهود وبنى إسرائيل.

عنـدمـا ألغى القـرآن عنهم اسـم بنى إسرائيل ، أراد أن يجردهم من الـوراثـة الحقيقية لإبـراهيم وإسرائيل عليهما السلام ، فـرغم أنهم قد يكـونون من نسل إسرائيل ، إلا أنهم ليسوا وارثين له ، لأنهم ليسوا على دينه.

كذلك أراد القرآن أن يجردهم من الظلال والمعانى الدينية، فهم ليسوا على دين الله، ولامقربون عند الله.

أمـا اسم اليهود الـذى أطلقـه عليهم فهـو يحمل الظلال والمعـانى العنصريـة والقومية والطائفية فقط .

لما كـانوا مـؤمنين سماهم الله «بنى إسرائيل » ، فلما كفـروا بمحمد صلى اللـه عليه وسلم ، جردهم من ذلك الاسم الإيمانى، وأعطاهم الاسم الكافر «اليهود».

هم «يهود» وليسوا إسرائيليين

الشعب الكافر الملعون المحتل الغاصب لفلسطين ، اسمه «اليهود» ، وهم ليسوا على دين ، وليسـوا على شىء ، وليسـوا على حق ، وليسـوا مع اللـه ، وأنبيـاؤهم بريئون منهم ، وإسرائيل النبى الحبيب المبارك برىء منهم .

وندعـو الكاتبين والمتكلمين والصحفيين إلى إطـلاق الاسم الجديـر بهم ، الذى أطلقه الله عليهم ، فيقولون : دولة اليهود ، وجيش اليهود ، وصوت اليهود.

نـدعوهم إلى إبقـاء ذلك الاسم الجميل «إسرائيل» على نظافتـه ونقائه ، وعـدم تلويثـه بإطلاقه على هـذا الشعب الحاقد الكـافر الملعون ، وبـذلك نردّ على بعض مزاعم اليهود ، ونبطل بعض أهدافهم من استغلال اسم «إسرائيل».

الفصل الثامن

الرسول يتسلم مفاتيح الأرض المقدسة عند إمامته بالأنبياء ليلة الإسراء

شاء الله الحكيم سبحانه أن يكون الإسراء برسول الله محمد صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام فى مكة، إلى المسجد الأقصى فى القدس، وأن يريه هناك فى المسجد الأقصى مايريه من آياته، وأن يكون معراجه من المسجد الأقصى إلى السموات العلى، وأن يريه هناك ما يريه من آياته.

وهذه الآيات الربانية التى أراها الله رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم، ليست له وحده، ولا خاصة به، وإنما هى للأمة المسلمة من بعده، على اختلاف أجيالها.

لقد رأى رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم آيات، وهو فى طريقه من مكة إلى بيت المقدس، ورأى آيات وهو متوقف فى المسجد الأقصى، ورأى آيات عندما عرج به إلى السموات العلى.

وقدم هذه الآيات لأمته، وأخبرها بها، لتقف أمامها وتأخذ منها العبر والدروس والعظات.

من آيات الإسراء المتعلقة بالأرض المقدسة

ولن نتكلم عن هذه الآيات المختلفة كلها، لأنها تحتاج إلى كلام مطول، وإنما

سنقف هنا مع بعض تلك الآيـات المتعلقة بالأرض المقدســة، ونظرة الإسـلام لها، والامة التى ترثها وتستحقها.

وسنأخذ هذه الآيات من الأحاديث الصحيحة التى أخبر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بعض ماحدث فى رحلة الإسراء والمعراج.

روى الإمام مسلم فى صحيحه (حديث رقم ٢٥٩) عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رســول الله قال: «أتيت بـالبراق– وهو دابة أبيض، طـويل، فوق الحمار، ودون البغل، يضـع حافــره عند منتهى طرفــه– فركبتــه، حتى أتيت بيت المقدس، فربطته بالحلقة التى تربط بها الأنبياء، ثم دخلت المسجد، فصليت ركعتين....»

سرعة دابة البراق الفائقة

قــدّم جبريل عليه الســلام ليلــة الإسراء البراق إلى رسول اللــه صلى الله عليــه وسلم، ليركبه.

وهذا البراق دابة خاصة، ليست كـدواب الأرض أو مخلوقاتها، فقد خلقها الله خلقاً خاصــاً، بسرعة وقدرة خاصة تفوق سرعــة دواب الأرض، واسمها يدل على ذلك، فالبراق مشتق من البرق، وسرعة البرق أو الضوء معروفة.

يكفى أن نعرف أن هــذا البراق، يضـع حافــره عند نهايــة طرفــه ونظره، أى أن المســافة البعيـدة مــابين مكة إلى بيت المقـدس، قطعهــا هذا البراق وعليهــا جبريل ومحمـد –عليهما الصـلاة والســلام– فى خطـــوات يسيرة، قــد لا تتجــاوز عشر خطوات، وهذا يعنى أن قطع هذه المسافة استغرق أقل من دقيقة.

هــذا معنى إخبار رســول الله صلى اللــه عليــه وسلم عن البراق: «وهو دابــة، أبيض، طويل، فوق الحمار، ودون البغل، يضـع حافره عند منتهى طرفه...»

ولا يستغربــن أحد من سرعــة البراق، ولا ينكرن ذلك، فــالله الذى علـم الناس اختراع وصنع الطائرات، التى تفوق سرعتها سرعــة الصوت، والصواريخ عابرة القارات، وسفن الفضـاء، هو الذى خلق «البراق» بهذه القدرات والطاقات!

حلقة باب الأقصى مربط دواب الأنبياء

وصل رسول اللـه صلى الله عليه وسلم بيت المقـدس، وأتى المسجد الأقصـى، وربط البراق الدابـة بالحلقة، التى على بـاب المسجد الأقصى، والتى كـان الأنبياء السـابقـون -عليهم الصلاة والسـلام- يربطـون بها دوابهم التى يركبـونها عند قدومهم المسجد الأقصى، للصلاة فيه.

وهـذا الفعل من رسـول الله صلى الله عليـه وسلم، والإخبـار عن فعل الأنبيـاء السـابقين، دليل على الأصالة التاريخية للمسجد الأقصى، وأنه كان مبنياً على هذه البقعة المباركة من بيت المقدس قبل آلاف السنين.

وقد سبق أن ذكرنا فى مـوضـع سـابق، أن المسجد الأقصى بنى فى بيت المقدس قبل أن يخلق الله بنى إسرائيل، وقبـل أن يأتى أبوهـم إسرائيل وهو يعقـوب عليه السلام، واعتمـدنا حديث رسـول الله صلى اللـه عليه وسلم الصحيح، فى أن أول المساجد بنى أولاً هو المسجد الحرام فى مكـة، والثانى هو المسجد الأقصى فى بيت المقدس، والمدة الزمنية بينهما هى أربعون سنة، فإذا كان إبراهيم عليه السلام هو بـانى المسجد الحرام فى مكـة، فيكون هـو الـذى بنى المسجد الأقصى، بعـد ذلك بأربعين سنة.

ونعلم -تـاريخيـاً- أن المسجـد الأقصى قـد عـدت عليـه العـوادى، وتأثـر بالمتغيرات، وهدم بناؤه فيما بعد، ولم يكن ليلة الإسراء مسجداً قائماً متكاملاً.

هو مسجد أقصى باعتبار ماكان وماسيكون

كانت أسـاسات المسجـد الأقصى موجـودة، وبعض أعمدته وأطـلاله بـاقية، ومنهـا تلك الحلقـة التى ربط بها رسـول الله صلى اللـه عليـه وسلم البراق ليلـة الإسراء، وقد سمّى الله هذه الأطلال والأعمـدة والأسـاسات مسجداً، وإن لم يكن

بناء المسجد قائماً، حيث قال: ﴿سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى﴾ على اعتبار ماكان، واعتبار ماسيكون.

فقد كان مسجداً قائماً من قبل، واستمر مسجداً قائماً آلاف السنين، وكان يأتيه الأنبياء السابقون على دوابهم للصلاة فيه، حيث أتاه إبراهيم وإسحاق ويعقوب وداود وسليمان وزكريا ويحيى وعيسى، وغيرهم، عليهم الصلاة والسلام.

وسيعود فى المستقبل مسجداً قائماً، عندما ترثه أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وتطهره من استعمار الرومان، ورجس اليهود.

وهذا ماحصل فى الفتوحات الإسلامية، ثم جدد بناءه الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك.

ولقد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم الأقصى، بعد أن ربط البراق على حلقة الباب، فصلى فيه ركعتين، وهذا دليل على أصالة هذا المسجد، وعلى تخصيصه للصلاة ولعبادة الله سبحانه.

إمامة الرسول بالأنبياء فى الأقصى

ثم جمع الله الأنبياء والرسل السابقين لمحمد صلى الله عليه وسلم، فى تلك الليلة، فى المسجد الأقصى، ومنهم أنبياء ورسل بنى إسرائيل، فأمّهم فى الصلاة، أى صلى هو بهم إماماً، وصلوا هم خلفه مأمومين!!

وجمعهم هذا جمع غيبى، لا نعرف كيف جرى، وهو غير خاضع للقوانين والأسباب المادية، لأن الرسل غادروا هذه الحياة الدنيا، والتحقوا بالرفيق الأعلى، فهم فى حساب البشر أموات.

ولكنهم عند الله أحياء، حياة خاصة غيبية، كما أراد الله سبحانه وتعالى، ثم إن صلاتهم فى المسجد الأقصى مأمومين، خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقدم لنا بعض الدلالات.

اعتراف الأنبياء بأن محمداً هو أفضلهم وخاتمهم

منها: اعتراف هؤلاء الرسل بفضل ومنزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومكانته عند الله، وتسليم منهم بأنه أفضل الخلق وأكرمهم، وأقربهم إلى الله سبحانه، فهو إمام الخلق أجمعين، وإمام الأنبياء والمرسلين، فى السير فى طريق الله، وفى القرب من الله.

ومنها: اعتراف هؤلاء الأنبياء والمرسلين بختم النبوة والرسالة بنبوة ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم، فلا وحى بعده، ولا نبى يأتى بعده، ولا رسالة بعد رسالته.

وهو اعتراف منهم أيضاً بنسخ رسالاتهم برسالته، ونسخ كتبهم بكتابه، فلا عمل بالتوراة أو الزبور أو الإنجيل، بعد إنزال الله للقرآن.

ومنها: دعوة هؤلاء الأنبياء والمرسلين -وبخاصة أنبياء بنى إسرائيل- لأقوامهم وأتباعهم للدخول فى الإسلام، والإيمان بالقرآن، واتباع محمد صلى الله عليه وسلم، والتخلى عما كانوا عليه.

تسليمهم مفاتيح الأرض المقدسة لمحمد وأمته

ومنها: تسليم هؤلاء الأنبياء والمرسلين «مفاتيح» الأرض المقدسة إلى محمد صلى الله عليه وسلم وأمته.

فمعظم هؤلاء عاش على الأرض المقدسة، وكان هو المسئول عنها، الراعى لها، والخليفة عليها، وأنوار رسالته ونبوته انتشرت عليها، وبقيت حلقات النبوة والرسالة والخلافة تتابع على الأرض المقدسة...

إلى أن ختمت هذه الحلقات بنبوة ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم الدائمة حتى قيام الساعة.

وفى ليلة الإسراء جاء الأنبياء وسلّموا محمداً -صلى الله عليه وسلم- المسئولية

والخلافة، والأمانة و«العهدة» وأوكلوا له -ولأمته من بعده- مهمة الأرض المقدسة، ورعايتها وحمايتها، والخلافة عن الله فيها، واستمرار الإيمان عليها، حتى قيام الساعة.

لقد سلم الأنبياء السابقون -ومنهم أنبياء بنى إسرائيل- مفاتيح الأرض المقدسة لمحمد صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء، وأعلنوا بذلك عن انتهاء استخلاف أقوامهم من اليهود والنصارى، وانتهاء مسئولية هؤلاء الأقوام على الأرض المقدسة، وتحويل هذه الخلافة والمسئولية لأمة محمد صلى الله عليه وسلم، وانتقال الإشراف على الأرض المقدسة إلى هذه الأمة، واستمرار هذه المسئولية فيها حتى قيام الساعة!

التسلم والتسليم فى المسجد أثناء الصلاة

وجعل الصلاة ميداناً ومجالاً لهذا الانتقال، وجواً مناسباً للتسلم والتسليم، حيث محمد صلى الله عليه وسلم هو الإمام والأنبياء خلفه مأمومون مسلّمون له، يعطى دلالة واضحة على أهمية الصلاة والعبادة، ووجوب تعمقها فى أمة الإمامة والخلافة، التى تناط بها مسئولية الإشراف على الأرض المقدسة.

الأقوام السابقون ليسوا مصلين لله صدقاً، ولا عابدين له حقاً، ولذلك انتزع الله منهم هذه الخلافة والإمامة، وجعلها فى أمة العبادة والصلاة، وتسلم رسولها محمد صلى الله عليه وسلم هذه المهمة والمسئولية، من إخوانه الأنبياء فى الصلاة.

الرسول هو الفاتح للأرض المقدسة نظرياً

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أول فاتح للأرض المقدسة ليلة الإسراء، وهذا منه عهد لأمته من بعده، بأن تفتح هذه الأرض المقدسة عملياً، بعد أن فتحها هو نظرياً، وتسلّم مفاتيحها من إخوانه الأنبياء، وهذه بشرى منه لأمته،

بأنها ستفتح هذه الأرض المقدسة، وتنشر فيها الإسلام، وتحقق فيها الخلافة الربانية الراشدة.

ولقد حققت هذه الأمة هذا الأمر بعد محمد صلى الله عليه وسلم، وفهمت منه هذا الإيحاء، وأخذت عنه هذه الإشارة.

وصف الرسول لبعض الأنبياء ليلة الإسراء

وقد تعرّف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فى ليلة الإسراء العظيمة، وفى تلك الحفلة الإيمانية المباركة فى المسجد الأقصى -التى جرى فيها التسلم والتسليم- على إخوانه الأنبياء وذكر لنا صفات بعضهم.

روى الإمام مسلم فى صحيحه (حديث رقم: ٢٧١) عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «عرض على الأنبياء، فإذا موسى: ضرب من الرجال، كأنه من رجال شنوءة، ورأيت عيسى بن مريم عليه السلام: فإذا أقرب من رأيت به شبهاً عروة بن مسعود، ورأيت إبراهيم صلوات الله عليه: فإذا أقرب من رأيت به شبهاً صاحبكم -يعنى نفسه- ورأيت جبريل عليه السلام: فإذا أقرب من رأيت به شبهاً، دحية بن خليفة».

موسى عليه السلام: ضرب فى جسمه، أى متوسط معتدل، لا هو بالطويل ولا بالقصير ولا بالنحيف ولا بالسمين.

وعيسى عليه السلام: يشبه عروة بن مسعود الثقفى رضى الله عنه، وفى رواية أخرى (مسلم رقم: ٢٧٢) أن عيسى عليه السلام: «ربعة أحمر، كأنما خرج من ديماس».

أى: عيسى عليه السلام مربوع الجسم، لا هو بالطويل ولا بالقصير، وهو أحمر اللون، جميل المنظر، كأنما خرج من حمام، لأن الديماس هو الحمام.

وأشبه الناس بإبراهيم عليه السلام هو محمد صلى الله عليه وسلم.

أما جبريل عليه السلام، فأشبه الناس به هو «دحية بن خليفة الكلبى» رضى الله عنه، وكان من أجمل الصحابة.

لقد شاء الله الحكيم سبحانه أن يجعل الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم، واجتماعه بالأنبياء فى بيت المقدس، وإمامته لهم فى المسجد الأقصى، إيذاناً وإعلاناً بانتقال المسئولية والإشراف على الأرض المقدسة إلى هذه الأمة، وتسليم مفاتيح هذه الأرض المقدسة إلى إمام هذه الأمة، محمد صلى الله عليه وسلم، ثم إلى خلفائه من بعده.

الفصل التاسع

الفرات والنيل نهران إسلاميان ومابينهما أرض مقدسة إسلامية

روى الإمام مسلم فى صحيحه، عن أنس بن مالك رضى الله عنه، من حديث الإسراء والمعراج الطويل، أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، حدث عما رآه فى ليلة المعراج، فقال: «إنه رأى أربعة أنهار، يخرج من أصلها نهران ظاهران، ونهران باطنان، فقلت: ياجبريل: ماهذه الأنهار؟ قال: أما النهران الباطنان، فنهران فى الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات، ثم رفع لى البيت المعمور، فقلت ياجبريل: ماهذا؟ قال: هذا البيت المعمور، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، إذا أخرجوا منه لم يعودوا فيه، آخر ما عليهم! ثم أتيت بإناءين أحدهما خمر والآخر لبن، فعرضا علىّ، فاخترت اللبن، فقيل: أصبت، أصاب الله بك، أمتك على الفطرة...» (رواه مسلم فى كتاب الإيمان، حديث رقم: ٢٦٤).

وندعو القراء الكرام إلى تخيل -مجرد تخيل- كثرة عدد الملائكة، الذين لا يحصى عددهم إلا الله، فإذا كان يدخل البيت المعمور منهم فى الجنة كل يوم سبعون ألف ملك، لا يعودون إليه، فمعنى هذا أنهم يزيدون فى كل يوم سبعين ألفاً، على الأقل! فكم هو عدد الملائكة ياترى؟؟

الفطرة ترفض شرب الخمر

كما ندعو القراء الكرام إلى استخراج دلالة مهمة، من توفيق الله لرسوله، صلى الله عليه وسلم، أن يختار إناء اللبن على إناء الخمر، وتعليق جبريل على ذلك، بأنه قد أصاب الفطرة، وأن أمته على الفطرة، ليخرجوا من هذا بحقيقة قاطعة، وهى أن الإسلام هو دين الفطرة السليمة، وأن المسلمين هم الذين على الفطرة الصافية، وأن أحكام الشريعة الإسلامية -فى التحليل والتحريم- تناسب الفطرة وتتفق معها، وتراعيها.

فالإسلام يراعى الفطرة، ويحافظ عليها، عندما حرم شرب الخمر، وحرم باقى الخبائث، وأحل الاستمتاع بالطيبات.

أما الذين يشربون الخمر فهم ضد الفطرة، بل هم فى حرب وصراع معها، وشرب الخمر ليس مظهراً حضارياً، أو ممارسة سلوكية تقدمية، أو دليل ارتفاع مستوى الذوق الإنسانى، كما تزعم الجاهلية الأرضية، ويدعى أصحابها الجاهليون الجاهلون!

إن شرب الخمر مخالفة للفطرة الإنسانية السوية، وتصرف بدائى متخلف، ونزول بالذوق الإنسانى للحضيض، وهذا دليل على انحراف نفسية صاحبه، وإعوجاجه وتمزقه وضياعه.

وإذا خيرّ كثير من الناس، فى هذا العالم بين كأس اللبن وكأس الخمر، فكم منهم من ينسجم مع الفطرة، ويختار كأس اللبن؟ كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ وكم منهم من يتصادم مع الفطرة، ويختار كأس الخمر؟ كما يفعل الجاهليون المعاصرون!!

جمال أنهار الجنة الباطنة

ووقفتنا المهمة هنا مع دلالة الأنهار الأربعة، التى رآها رسول الله صلى الله

عليه وسلم فى الجنة، أما النهران الباطنان فهما نهران خاصان، فى الجنة، من أنهار الجنة الكثيرة، التى تجرى من تحت أشجارهـا، منها -على سبيل المثال- قوله تعالى ﴿وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات، أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار، كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً، قالوا: هذا الذى رزقنا من قبل، وأتوا به متشابهاً، ولهم فيها أزواج مطهرة، وهم فيها خالدون﴾ (سورة البقرة:٢٥).

ومنظر عيون الماء تجرى تحت الأشجار منظر بهيج، يسر النفس ويسعدها، وهذا أمر ملحوظ فى هذه الدنيا.

فما بالك بمنظر الأنهار تجرى من تحت أشجار الجنة، وتسير فى جناتها وبساتينها، وتمر من أمام قصورها وبيوتها، وتنبت على جوانبها أشجار الجنة المختلفة؟ وكم تسعد نفوس المؤمنين، وهى تنعم بهذه المناظر، وهم يستمتعون بذلك النعيم المقيم؟

من أين ينبع الفرات والنيل؟

الأمر الذى يحتاج إلى بيان وتوضيح هو «النهران الظاهران» اللذان رآهما الرسول صلى الله عليه وسلم فى الجنة، وهما النيل والفرات!

لا ينبع النيل والفرات من الجنة حقيقة، كما قد يذهب إلى ذلك بعض من لا يفقه هذا الحديث، وماء هذين النهرين لم ينزل من الجنة، كما قال بعض من لا يفقهون الحديث.

كل ذى علم وثقافة يعلم أن نهر النيل ينبع من جبال وهضاب إثيوبيا فى شرق أفريقيا، ويسير فى أراضى إثيوبيا والسودان ومصر، ويصب فى البحر الأبيض المتوسط.

وكل ذى علم وثقافة يعلم أن نهر الفرات ينبع من جبال وهضاب تركيا، ويجرى فى أراضى تركيا وسوريا والعراق، ويصب مع نهر دجلة فى الخليج العربى.

كيف هما من أنهار الجنة؟

فكيف رآهما الرسول صلى الله عليه وسلم وهو فى الجنة ليلة المعراج؟ وما دلالة ذلك، ولماذا هذان النهران دون باقى الأنهار التى تجرى فى بلاد المسلمين؟ كنهر الأردن، ونهر العاصى، ونهر السند؟

إن رؤية هذين النهرين -دون ماسواهما من أنهار بلاد المسلمين- ليلة المعراج فى الجنة، يقدم آية باهرة للمسلمين، ويعطى أهمية خاصة لهذين النهرين، وللأرض الواقعة بينهما، ويشير إلى حقيقة الصراع على هذين النهرين، وعلى الأرض الواقعة بينهما!

إن هذا الحديث الصحيح يدل على أن النيل والفرات نهران إسلاميان، وأنهما للمسلمين، الذين سيملكونهما، وسيملكون مابينهما، وسيملكون ما حولهما.

كما يدل على أن الأرض الواقعة بين الفرات والنيل أرض إسلامية، وهى أرض مباركة مقدسة، وليست أرض «ميعاد» لليهود، ولا أرضاً لأى أقوام آخرين من غير المسلمين!

طبيعة النهرين والأرض بينهما

إن هذا الحديث يشير إلى أطماع الأمم فى الفرات والنيل، وأطماعهم فى الأرض الواقعة بينهما!

والتاريخ القديم والوسيط والمعاصر، يدل على أهمية الفرات والنيل وأهمية الأرض بينهما، ويخبر عن أطماع الأمم والدول والشعوب فى أرض المنطقة، وفى مياه النهرين.

وهذا التاريخ، يخبر عن كون الأرض المباركة المقدسة، بين هذين النهرين، هى أرض الحسم لكثير من الأحداث والحركات والمعارك، وهى أرض المواجهة بين كثير من الجيوش والأقوام.

إنها أرض حية، أرض الأحداث الساخنة، وأرض المواجهة الحادة. إنها أرض المعارك وأرض الجولات، وأرض التضحيات، وأرض الآلام والآمال، وأرض الدماء والأشلاء، وأرض الجهاد والرباط، وأرض الحشد والاستشهاد!!

هما إسلاميان وبينهما أرض إسلامية

الأرض المباركة المقدسة، الواقعة بين النهرين الإسلاميين: النيل والفرات، هى أرض الإيمان والإسلام، منذ بداية التاريخ الإنسانى، وحتى قيام الساعة.

عاش على هذه الأرض الإسلامية المباركة أنبياء كرام كثيرون، منهم: إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، وموسى، وهارون، ولوط، ويونس، وشعيب، وداود، وسليمان، وزكريا، ويحيى، وإلياس، واليسع، وعيسى، عليهم الصلاة والسلام.

هى أرض مهبط الوحى، على رسل الله المقيمين عليها، وهى أرض كتب الله المقدسة النازلة على أنبياء الله كصحف إبراهيم وموسى، وكالتوراة والزبور والإنجيل.

كم أقام على هذه الأرض الإسلامية المقدسة من الأقوام السابقين، وكم طمع فيها من الأقوام السابقين، وحاولوا استعمارها والسيطرة عليها، فزالت أطماعهم وانتهت سيطرتهم مثل: الفراعنة، والبابليون، والأشوريون، والفرس، واليونان، والرومان.

وبعد الفتح الإسلامى طمع فيها الصليبيون، واستعمروها عشرات السنين، فتحررت الأرض منهم وزالت أطماعهم، واجتاحها التتار فهزمهم الله على ثراها.

بين النظرة الإسلامية والنظرة اليهودية

وفى العصر الحديث طمع فيها اليهود، وبنوا مخططاتهم على السيطرة عليها، ونجحوا فى ذلك إلى حين، وسيحل بهم ماحل بالأقوام السابقين.

الإيمان والإسلام ثابت مستقر، على هذه الأرض، وهو ممتد فى التاريخ السحيق منذ عهد إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وهو مستمر عليها منذ الفتح الإسلامى لها، وحتى قيام الساعة.

والكفر على هذه الأرض طارىء شاذ غريب، قصير العمر، سريع الزوال.

النيل والفرات نهران إسلاميان، رآهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج، وهذا يدل على أن الأرض التى بينهما أرض إسلامية إيمانية، مباركة مقدسة.

ونحن بحاجة ماسة إلى تأكيد هذه الحقيقة الإيمانية، وترسيخها فى أذهان وعقول مسلمى هذا الزمان، لتكون بدهية لاشك فيها، ولا نقاش حولها.

إن هذا العصر يشهد صراعاً حاداً عنيفاً بين أمتين، على النهرين والأرض الواقعة بينهما.

النظرة اليهودية للنهرين ومابينهما

الأمة اليهودية: التى نجحت فى إقامة كيان لها على أرض فلسطين، والتى بدأت عصر الهيمنة اليهودية، التى تحقق الإفساد الثانى لليهود، هذه الهيمنة التى قد تستمر عشرات السنين، لكن هذا كله موقوت، وسيزول ذلك الكيان اليهودى، وينتهى ذلك العصر اليهودى.

النظرة اليهودية تقول: النيل والفرات نهران يهوديان إسرائيليان، وتقول: الأرض الواقعة بين النيل والفرات أرض يهودية، لأنها «أرض الميعاد» التى جعلها الله لإبراهيم، وبنيه وأحفاده من بنى إسرائيل اليهود، حتى قيام الساعة!!

ويريد اليهـود السيطرة على كل الأرض الواقعة بين الفـرات والنيل، ويرفعون شعارهم المعروف: حدودك يا إسرائيل، من الفرات إلى النيل.

تخطيطهم لإنشاء إسرائيل الكبرى

إن اليهود جـادون فى إنشاء «إسرائيل الكبرى»، التى تأخـذ كل «أرض الميعاد»، الواقعة بين الفرات والنيل، وقد حددوا عام ١٩٩٧ موعداً لإنشائها.

ونـرى أن الأحـداث تسـارعت فى الأعــوام الأخيرة، بل فى الأسـابيع والأيـام الأخيرة، لتحقيق اليهــود لهدفهم، وإقـامتهـم لإسرائيل الكبرى، وهيمنتهم على الأرض، وتحكمهم فى الأقطار والدول العربية الواقعة بين الفرات والنيل.

ونرى أن الأمـور تسير وفق مايخطـط له اليهود، ولهذا لا نستبعـد أن يتمكن اليهـود مـن السيطـرة المؤقتـة على هــذه الأرض، ووصــول أطــراف هيمنتهم وسلطانهم إلى الفرات والنيل.

لكن هذا كله إلى حين، قد يستمر جيلاً أو جيلين، بل قد يستمر عشرات السنين، لكنه إلى زوال واندحار وانتهاء.

النظرة الإسلامية للنهرين ومابينهما

الأمة الإسلاميـة لها نظرة أخرى إلى النيل والفـرات، والأرض الواقعة بينهما، هذه النظـرة تمثل الحق الأصيل، وهى نظرة صائبـة صادقة، نـاتجة عن حقائق الإسلام، وبصائر الكتاب والسنة.

لقد بنى المسلمـون نظرتهم على أساس هذا الحديث الصحيح، الـذى أخبر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بعض الآيات التى رآها ليلة المعراج.

الفـرات والنيل نهران من الجنـة، أى أنهما نهران إسـلاميـان، وليسـا نهرين يهوديين، يمثلان حدود دولة إسرائيل الكبرى، كما يزعم اليهود.

والأرض الواقعة بينهما -بأقطارهـا السياسية: فلسطين، والأردن، وسوريا، ولبنان، وشرق مصر، وغرب العـراق، وجنوب تركيا- هـى أرض إسـلامية، وهى الأرض المباركـة المقدسة، المذكـورة فى القرآن، وليست «أرض الميعاد» اليهـودية، التى يعتبرها اليهود أرضاً إسرائيلية، منذ إبراهيم عليه السلام، وإلى قيام الساعة!

إن هذا الحديث الصحيح يدعو المسلمين إلى تصويب نظرتهم إلى هذين النهرين الإسلاميين، والأرض الواقعة بينهما.

إنها ليست أرضاً فلسطينيـة، ولا أرضاً أردنية، ولا أرضاً سـورية، ولا أرضاً لبنانيـة، إنها ليست أرضًا إقليمية، ولا أرضًا قـومية عربية، إنها أرض إسـلامية إيمانية، واقعة بين نهرين إسلاميين، وهى أرض القداسة والبركة والطهر والخير.

هى أرض الجهاد والربـاط، وهى أرض الحشد والحسم، وهى أرض المواجهة والصراع، وهى أرض التحدى والتصدى.

العاقبة للنظرة الإسلامية بإذن الله

هذه الأرض الإسـلامية المباركـة، ستشـهد الصراع العنيف بين المسلمين وبين اليهود، وهـذا النهران الإسـلاميان -الفـرات والنيل- سيشـهـدان على ضفافهما المعارك الفاصلة بين المسلمين واليهود.

وسينتهى الصراع بين المسلمين واليهـود على النهرين والأرض بينهما بـزوال الوجود اليهودى الزائف، وانتصار الحق الإسلامى الأصيل.

هذه هى أرضكم الإسـلامية، وهذه هى قيمتهـا ومنزلتها عند اللـه، وهذه هى حقيقة رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج.

النيل والفرات نهران إسلاميان، وليسا نهرين يهوديين.

ومـا بينهما أرض إسلاميـة إيمانيـة مباركـة مقـدسة، وليست أرض الميعـاد اليهودية الزائفة.

الفصل العاشر

مستقبل الكيان اليهودى فى فلسطين كما تقرره سورة آل عمران

وجود اليهود موقوت

يزعم اليهود أن وجودهم فى فلسطين دائم، وأن كيانهم عليها باق، لأن الله أعطاها لهم إلى يوم القيامة، ولهذا أطلقوا شعارهم: «إسرائيل وجدت لتبقى».

أوهموا الناس فى الغرب والشرق بصحة هذه المزاعم، فصدقوهم وأيدوهم وساعدوهم، وسرت المزاعم الإسرائيلية إلى عقول بعض العرب المسلمين فصدقوها، وأيقنوا أن وجود اليهود على فلسطين باق دائم، فتصرفوا وتحركوا وفق هذه القناعة.

ورفض الإسلاميون هذه المزاعم والإشاعات والإسرائيليات، وأيقنوا أن وجود اليهود على أرض فلسطين موقوت، وأن كيانهم اليهودى لا مستقبل له، بل هو إلى زوال واندحار، ونظروا فى الأحداث على ضوء هذه الحقيقة، واستشرفوا المستقبل وفق مقرراتها، وحددوا نظرتهم على أساسها.

وقد أوجد الإسلاميون قناعتهم هذه من خلال إسلامهم العظيم، حيث تدبروا نصوص القرآن الكريم، التى تقرر أن وجود اليهود على فلسطين موقوت، وأن

كيانهم عليها لا مستقبل له، وأن دولتهم زائلة، فـرفعوا شعارهم الداحض لشعار اليهود، وقالوا: دولة اليهود وجدت لتفنى.

وهم يـوقنـون بأن إزالـة هـذا الكيـان اليهودى وعـودة فلسطين لـلإسـلام والمسلمين، تحتاج إلى جهود وجهاد، وتضحيات وآلام، وأن الطـريق لذلك طويلة صعبة شاقة مريرة، لكنها هى الطريق الوحيدة، وهى الطريق الموصلة إلى تحقيق الغاية، ولهذا يتواصون على ذلـك، ويستنهضون همم الشعوب لسلوكها والسير فيها.

سورة آل عمران تحدد مستقبلهم

وردت آيات كريمة فى عدة سور، تقرر هذه الحقيقة الجازمة، وأهم السور التى تحدثت عن ذلك هى ثـلاث سور: آل عمـران، والأعراف، والإسراء. وسنقف الآن مع آيات سورة آل عمران، متدبرين لها، مسجلين هذه الحقيقة منها:

قال تعالى: ﴿**كنتم خير أمة أخـرجت للناس، تأمرون بالمعـروف، وتنهون عن المنكـر، وتؤمنـون بـالـلـه، ولو آمن أهل الكتـاب لكـان خيراً لهم ، منهم المؤمنون وأكثرهم الفـاسقون، لن يضروكم إلا أذى، وإن يقاتلوكـم يولوكم الأدبار، ثم لا ينصرون. ضربت عليهم الـذلة أينما ثقفـوا، إلا بحبل من الله، وحبل من النـاس، وبـاءوا بغضب من اللـه، وضربت عليهم المسكنـة، ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيـات الله، ويقتلون الأنبياء بغير حق، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون**﴾ (سورة آل عمران: ١١٠-١١٢).

«لن يضروكم....»

سيحاربنا اليهود حرباً عنيفة شرسة، وسيحرصون على تحقيق أهدافهم فينا، والقضاء علينا.

إنهم يريدون ردتنا عن ديننا، وتحويلنا عنه إلى الكفر، وذلك لحسدهم لنا: ﴿**ود**

كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً، حسداً من عند أنفسهم، من بعد ماتبين لهم الحق﴾ (سورة البقرة: ١٠٩).

وإنهم لن يرضوا عنا، إلا إذا حققنا مرادهم فينا، وتخلينا عن ديننا، واتبعنا ملتهم.. قال تعالى: **﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم، قل إن هدى الله هو الهدى، ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم، ما لك من الله من ولى ولا نصير﴾** (سورة البقرة: ١٢٠).

فإذا لم نستجب لهم، وإذا تمسكنا بإسلامنا، وحافظنا على قرآننا، الذى فيه هويتنا وكياننا ووجودنا، فإنهم سيحاربوننا، وسيبقون يحاربوننا. قال تعالى: **﴿ولا يزالون يقاتلونكم، حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا، ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر، فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة، وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾** (سورة البقرة: ٢١٧).

ونلاحظ التعبير القرآنى «ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم»، فإنه يقرر استمرار حرب اليهود ضدنا، وقتالهم لنا، وعدوانهم علينا، وعندما ننظر فى مخططات اليهود الماضية ومكائدهم الحاضرة، ومشاريعهم المقبلة، فإننا نقف على مصداقية هذه الحقيقة القرآنية: إن الحرب بيننا وبينهم مستمرة، والقتال بيننا وبينهم دائم، وحتى لو أراد قوم من المسئولين والمتزعمين منا إيقاف القتال وإنهاء الحرب، فإن اليهود لا يوافقون، وإذا كانت الحرب معهم مستمرة شئنا أم أبينا، فلماذا لا نخوضها رجالاً شرفاء؟ ولماذا لا نخطط لها تخطيط الرجال الشرفاء؟ ولماذا نبقى نتلقى الحرب منهم؟ ولماذا نستقبل خططهم؟ ولماذا نرضى أن ينفذوا فينا مشاريعهم؟

بماذا يوحى لنا قوله تعالى «لن يضروكم»؟ إنه وعد قرآنى جازم، وحقيقة قرآنية قاطعة، صيغ بهذه الجملة المنفية بحرف «لن» الذى يدل على «التأبيد» أى:

لن ينجح اليهود فى إيقاع الضرر بكم، ولن ينجحوا فى «تفريغ» فلسطين منكم، ولن تكون فلسطين لهم ولن تستقر لهم ويستريحوا فيها ويتمكنوا منها.

فشل اليهود فى هدفهم منا

وهاهو الواقع يشهد بصدق هذه الحقيقة القرآنية، فها هم بعد ما يزيد على أربعين سنة من إقامة كيانهم وحرصهم على «تهويد» فلسطين التى احتلوها عام ١٩٤٨م، لم ينجحوا فى أهدافهم، ولم يلغوا الهوية «الإسلامية» لمسلمى فلسطين، وهاهى الحركة الإسلامية فى «الجليل» و«المثلث» و«النقب»، توجه الناس وتقودهم، وتعلن عن وجودها الإسلامى المتميز، وتثير قلق مخططى اليهود ومفكريهم.

وها هم بعد أكثر من عشرين سنة من احتلال الضفة والقطاع، يفشلون فى القضاء على «وجود» أهل فلسطين، وفى تحقيق أهدافهم ضدهم، رغم حرصهم الشديد على ذلك.

فقد انبثقت «انتفاضة» الشعب المجاهد هناك، من ضمير الغيب، وأمضت ستة أعوام من عمرها المديد -إن شاء الله- وهاهى تدخل عامها السابع بتصعيد العمليات الجهادية ضد اليهود.

إن تنامى قوة الحركة الإسلامية عند مسلمى فلسطين عام ٤٨، وإن تنامى الانتفاضة الجهادية عند مسلمى الضفة والقطاع، لهما أكبر دليل «واقعى» على صدق الحقيقة القرآنية «لن يضروكم»، التى تقرر فشل اليهود فى تحقيق أهدافهم فى شعبنا الفلسطينى المؤمن المجاهد.

«.... إلا أذى»

«لن يضروكم إلا أذى» مكوّنة من جملتين: الجملة الأولى «لن يضروكم» قررت فشلهم فى إيقاع الضرر بنا، والقضاء علينا -كما بينا- والجملة الثانية «إلا أذى»

استثناء مـن الجملة الأولى، تقـرر حقيقة قاطعـة جديـدة، وهى نجـاح اليهود فى إيذائنا.

أى أن ما سيكسبـونه من حربهم لنـا هو إيقاع الأذى بنا، فما هـو هذا الأذى؟ ومامدى تأثيره علينا؟

هذا الأذى ظاهـرى سطحى خارجى، يصيب القشرة السطحية الظـاهرة فينا، لكنه لا ينفذ إلى أعماقنا.

هذا الأذى يقع على الأجساد والأبدان، ويصيب الحواس والأطراف، وينتج عنه آلام ومشقات، وتنـزف منه دمـاء.. هذا الأذى يصيـب الأفراد والجماعـات، لكنه يبقى خارجياً سطحياً.

والواقع المعاصر فى معركتنا مع اليهـود يشـهد بهذه الحقيقة أيضاً، فإن اليهود أرادوا النفاذ إلى أعماقنا، واختراق «خطـوط» هجومنا وجهادنا، وإزالـة صمودنا وتحدينا وتصـدينا، أرادوا إماتة أرواحنـا، والسيطرة على نفوسنـا، وقتل هممنا وامتصاص ثوابتنا، واجتثـاث وجودنا، وتركنا نفوساً مشوهـة، وكيانات بشرية معوقة، وأفراداً قانطين يائسين محبطين!

هل نجحوا فى ذلك؟ الواقع فى فلسطين يقول: لا. صحيح أنهم تمكنوا من النفاذ إلى أعماق وقلـوب وأرواح بعض منـا، فأصبحـوا قـانطين يـائسين، وصـاروا محطمين مستسلمين، لكنهم أفراد قلائل، إذا ماقيسوا بمجموع شعبنا المجاهد.

إن شعبنا المجاهد يزداد كل يوم صمـوداً أمام اليهود، وتحدياً لهم، وثباتاً على إسلامه وجهاده، ورفضـاً للوجود اليهودى، وتزداد نفوس شعبنـا كل يوم قوة وحيويـة وجهاداً، وكلما صعّـد اليهود من بطشـهم وتنكيلهم وقتلهـم لإرادة هذا الشعب، كلما زاد هذا الشعب استعلاء وتصميماً وجهاداً.

نجاح اليهود فى إيذائنا

لم ينجح اليهود إلا فى إيقاع الأذى بنا، وهذا الأذى لابد منه، ولا نجاة منه، فكل من دخل التحدى والمواجهة، فلابد أن يصاب به، وقد أشار القرآن إلى أن الأذى والألم ضريبة الجهاد والمواجهة فقال تعالى: ﴿**ولا تهنوا فى ابتغاء القوم، إن تكونوا تألمون، فإنهم يألمون كما تألمون، وترجون من الله ما لا يرجون**﴾ (سورة النساء: ١٠٤).

لقد آذى اليهود فى فلسطين الشعب «المنتفض» المجاهد، لكنه أذى خارجى سطحى، أصاب الأبدان والأطراف، أذى تمثل فى الشهداء الأبرار، والجرحى المجاهدين، والموقوفين والمسجونين، والمحكومين والممنوعين والمطرودين، أذى تمثل فى الدماء التى نزفت، والأطراف التى حُطمت، والأبدان التى شُوهت، والبيوت التى هُدمت، لكنه يبقى أذى خارجياً سطحياً، لأنه لم يمتد لينفذ إلى القلوب والأرواح والنفوس والهمم والعزائم.

وقد تقرب المجاهدون بذلك «الأذى» الذى أصاب «ظواهرهم» إلى الله، وجعلوه عبادة منهم لله، وطلبوا الأجر عليه من الله، وآمنوا بتحقيق وعد الله لهم، فى قوله تعالى: ﴿**ماكان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله، ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه، ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة فى سبيل الله، ولا يطأون موطئاً يغيظ الكفار، ولا ينالون من عدو نيلاً، إلا كتب لهم به عمل صالح، إن الله لا يضيع أجر المحسنين، ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة، ولا يقطعون وادياً، إلا كتب لهم، ليجزيهم الله أحسن ماكانوا يعملون**﴾ (سورة التوبة: ١٢٠-١٢١).

فشل اليهود فى هزيمة وتحطيم نفسية المجاهدين، من خلال الأذى الذى صبوه عليهم، ولم ينجحوا فى القضاء على انتفاضة هؤلاء المجاهدين، ووفّقَ الله هؤلاء فى

جهادهم، فجعلوا هذا الأذى الحتمى عاملاً من عوامل الجهاد، يساعد عليه ويزيده تقدماً واستمراراً. وهناك عشرات -بل ومئات وآلاف- النماذج والشواهد والأمثلة، من حياة شعبنا المجاهد فى انتفاضته، يتجلى فيها استعلاؤه على الآلام والجراح والدماء والأذى. وصدق الله ﴿**لن يضروكم إلا أذى**﴾.. فليزيدوا من أذاهم لنا، ولنوظفه جهادياً لانتفاضتنا.

اليهود لم يقاتلوا الربانيين

تتابع سورة آل عمران كشفها لحقيقة معركتنا مع اليهود، وتلميحها إلى المستقبل، «المظلم» لكيانهم على أرض فلسطين، فتقول: ﴿**وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون**﴾.

وتقدم هذه الآية حقيقة قرآنية، إذا ما قاتلونا فى معركة متكافئة، فإنهم سينهزمون ويولون الأدبار، لأن الله سينصرنا عليهم، وهم لا ينتصرون علينا.

لكن هذه الحقيقة قد تلتبس على بعض الناس فى هذه الأيام، ويراها متخلفة غير محققة، فيتشكك فى هذه الآية، ويراها غير منطبقة على الواقع، وقد يشتط بعض الناس فيكذبون مضمونها، لأنهم يرون الواقع يناقضها.

يقولون: لقد قاتلنا اليهود أكثر من ثلاثة حروب فى هذا القرن العشرين، فمن هم الذين ولوا الأدبار وانهزموا؟ ومن هم الذين انتصروا؟ ألم ننهزم أمام اليهود فى أعوام ٤٨ و٥٦ و٦٧ وما بعدها؟ ألم ينتصروا علينا؟ فكيف نفهم هذه الآية؟

نقول لهم: نعم لقد قاتلونا فى هذه الحروب وهزمونا وانتصروا هم علينا، وأخذوا فلسطين وغيرها منا؟

لكن قاتلوا من؟ ما صفات من وقفوا أمام اليهود؟ ماشعاراتهم وراياتهم؟ ما «طروحاتهم» وتصوراتهم؟ ومن ثم نعرف من هم الذين قاتلوا اليهود وانهزموا أمامهم!

لم نحارب اليهود حرباً إسلامية حتى الآن، ولم يواجه اليهود الجنود الربانيين المجاهدين حتى الآن، ومن ثم لم يدخل الإسلام المعركة حتى الآن، ولم يقل «كلمته» إلى الآن.

إن قومنا أصروا على إقصاء الإسلام عن الواقع والمجتمع، ومن ثم إقصائه وإبعاده عن ميدان المواجهة. ولقد حارب قومنا «دعاة الإسلام وجنوده» لما دخلوا المعركة مع اليهود، وطعنوهم من الخلف، وغدروا بهم، واعتقلوهم بدمائهم وجراحهم.

حارب قومنا اليهود بقوميتهم واشتراكيتهم ويساريتهم ويمينيتهم، فانهزمت هذه الرايات والدعوات أمام اليهود.

لقد تغلب اليهود على القومية والقوميين، والاشتراكية والاشتراكيين، والثورية والثوريين، والرجعية والرجعيين، واليسارية واليساريين، واليمينية واليمينيين، والرأسمالية والرأسماليين. قاتل قومنا اليهود بغير السلاح الربانى فانهزموا، وأخذ اليهود منهم فلسطين!

لا ينصرون أمام الربانيين

وهذه الآية التى قدمت هذا الوعد الربانى **﴿وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون﴾** لا تخاطب القوميين ولا تعِدُهم، إنما تخاطب المؤمنين بها، تخاطب الناس المسلمين الملتزمين المجاهدين الربانيين، وتَعِدُهم هذا الوعد النافذ.

وعندما «يُسلم» قومنا حقاً، ويلتزمون بدين الله حقاً، ويتخلون عن كل ما يناقضه حقاً، ويجاهدون فى سبيل الله حقاً، ويواجهون اليهود بالإسلام والقوة حقاً، عندها سيرون مصداق هذا الوعد، ويقطفون هم ثمرته فى عالم الواقع.

إذا قـال الإسـلام كلمته، وإذا دخـل المجاهـدون المعـركـة بثقلهم وأسلحتهم وقوتهم، وإذا خـاضوا مع اليهـود معركة «متكـافئة» تلاحظ العـوامل الربـانية والأسباب المادية، فإن اليهود سيولون الأدبار ثم لا ينصرون.

ونحن على يقين قـاطع بأن الإسلام سيقـول كلمته الجهـادية بإذن اللـه، وأن المعركة الكبرى بين المجاهدين واليهود قادمة بإذن الله، وأن نصر هؤلاء سيتحقق بإذن الله، وأن اليهود سيولون أمامهم الأدبار، ثم لا ينصرون إن شاء الله.

ضرب الذلة والمسكنة عليهم

قال تعالى **﴿ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا، إلا بحبـل من الله وحـبل مـن النـــاس، وبـــاءوا بغضب من اللــه، وضربت عليهم المســكنة، ذلك بأنهم كـانوا يكفـرون بـآيات اللـه، ويقتلـون الأنبياء بغير حق، ذلك بما عصـوا وكانوا يعتدون﴾** (سورة آل عمران: ١١٢).

الذلة ملازمة لليهـود أينما حلوا، لا تفارقهم فى أى زمان ومكان «ضربت عليهم الذلـة أينما ثقفوا» وكلمة «ضربت» تقـدم لنا هـذا المعنى، فالذلـة مضروبة عليهم ضربًا، تـلازمهم ملازمـة تحيط بهم ولا تفارقهم، والـذى ضربها عليهم وأوقعها بهم هو الله الحكيم، الذى هو فعـال لما يريد، وكذلك المسكنة هى الهوان والضعف والجبن والإذلال، فهم فى ذلة ومسكنـة، أينما ثقفوا، وحيثما حلوا وأقـاموا، هم فى ذلة ومسكنة، سواء كانوا مضطهـدين مستضعفين مطاردين أو كانوا مسيطرين متمكنين حاكمين، وسواء عاشوا مشتتين فى بقاع الأرض، أو كانوا فى عز وسلطان وكيان على أرض فلسطين، ومعنى «ثقِفوا» أُمسك بهم وقبض عليهم، لأن «الثَّقف» هو التمكن من الأمر والإمساك به.

وتوحى لنا كلمة ثُقفوا المبنية للمجهول، بأن تاريخ اليهود كله يقوم على المطاردة والملاحقة، فهم دائما مطاردون من قبل الأمم والشعوب، التى تحرص على أن «تثقفهم» وتدركهم وتمسك بهم، فإذا ما «ثقفوا» فهم فى ذلة ومسكنة، وجبن وضعف وهوان.. إنهم قد ينجون من الذلة فترة، وقد تُرفع عنهم مدة، ولكن ذلك موقوت محدد قصير، ثم يعودون إلى الذلة المضروبة عليهم، المحيطة بهم، والملازمة لهم.

«إلا بحبل من الله»

إن الآية تقدم لنا معنى عظيما، بالنسبة لمستقبل اليهود فى فلسطين، وهو مستقبل بائس حالك، بدون شك: «ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس» ولنتأمل دقة معنى الاستثناء هنا.

إن الاستثناء يتمثل فى حبل الله وحبل الناس، وهما الحبلان الممتدان إلى اليهود، لرفع الذلة والمسكنة المضروبة عليهم.

وهو استثناء من عموم الحكم فى أول الآية، وعندما نطيل النظر فى تركيب الآية نخرج بهذه الحقيقة: الذلة ملازمة لليهود، مضروبة عليهم، فى أى زمان ومكان حيثما أقاموا، وأينما ثقفوا، هذا هو الأصل فى تاريخهم وحياتهم، وهذه هى القاعدة لوجودهم.

لكن هناك استثناء خاص من هذه القاعدة المطردة، استثناء يتمثل فى زمن ترفع به عنهم الذلة، هذا الزمن قصير قصير، ولهذا سماه الله حبلاً، وماذا يساوى الحبل وكم يساوى فى تاريخ أمة؟ إنه لا يكاد يذكر لقصره، إذن الفترة التى يرفع الله عنهم فيها الذلة قصيرة، ولقصرها أطلق عليها اسم الحبل.

«إلا بحبل من الله» وحبل الله الممتد لليهود، والذى يرفع عنهم الذلة فى فترته

القصيرة، ليس من باب حبه لهم ورضاه عنهم، فهم أعداء الله الكافرون، وقد أوقع الله بهم لعنته وغضبه كما تقرر آيات أخرى من القرآن.

حبل الله هو إرادته الحكيمة

إن حبل الله الممتد لهم هو إرادته النافذة، ومشيئته المطلقة، حيث شاء الله الحكيم أن يرفع عنهم الذلة زمنًا قصيراً وأن يجعل لهم كيانًا وسلطانًا على أرض فلسطين يعيثون فيه فساداً ويعلون فيه علواً كبيراً، وذلك لحكم كثيرة ربانية باهرة، تقدم عبراً ودروسًا ودلالات لنا.

إن الله الذى شاء لليهود المجىء إلى فلسطين وأراد أن يكون لهم دولة فيها، ومد لهم حبلاً قصيراً يتنفسون من خلاله، هو الله نفسه العلى الحكيم، الذى أوقع بهم الذلة والمسكنة، وأحل بهم لعنته ونقمته وسخطه.

فإذا عشنا فى فترة حبل الله الممتد لهم، فلابد أن نستشرف المستقبل، وننظر فيه بفراسة المؤمن، المستنيرة بأنوار آيات القرآن، لنرى أن الله سبحانه سيقطع هذا الحبل، وينهى هذه «اللحظة اليهودية» القصيرة، التى ينتعشون فيها وينتفشون، ونرى الذلة والمسكنة، تنتظرهم على بعد خطوات من سيرهم الحثيث إليها.

حبال الناس الممتدة لليهود

تشير الآية إلى حبلين ممدودين لليهود، ونراهما واضحين للعيان على أرض فلسطين المباركة. الأول حبل الله وإرادته ومشيئته، الذى تكلمنا عنه قبل قليل، والثانى حبل الناس، وهو حبل عجيب.

لقد اعتمد اليهود على حبال الناس فى إنشاء دولتهم على أرض فلسطين، لأنهم لا يملكون القوة والقدرة الذاتية لايجاد ودعم وتقوية هذه الدولة، ولذا فحبال

الآخـرين ومســاعدتهم هى السبب فى حيــاة واستمــرار كيــانهم، وأبرز الحبــال البشرية الممتدة لكيان اليهود هى:

الحبـــل الأوربـــى

وأقوى فرعيه هما: الفرع الإنجليزى والفرع الفرنسى، فقد كان لأوربا الفضل الكبير فى تمكين اليهود على أرض فلسطين منـذ نهاية القـرن التاسع عشر وبـداية القـرن العشرين، حيث قضوا على الخلافـة الإســلامية فى تـركيـا، واحتلوا بــلاد المسلمين والعرب احتلالاً مبـاشراً، وتقاسم الإنجليز والفـرنسيون استعمار بلاد الشــام، وقّسم «سايكـس» و«بيكو» البــلاد إلى دول وأقطــار مستعمرة، وجعــلا فلسطين تحت الانتـداب الإنجليـزى وتعهـدت إنجلترا بإقــامــة وطن يهودى على أرض فلسطين.

أصدر «بلفـور» وعده لليهود، واشتـد وامتد الحبل الإنجليزى المقـدم لليهود، حتى أقــام اليهـود دولتهم عام ١٩٤٨، ومــا زال الحبل الأوربى ممتـدا لهم بكل فروعه وألوانه، الفرع الإنجليزى والفرنسى والألمانى والبلجيكى، وغير ذلك.

الحبل الأمريكى..

وقبل أن يضعف الحبل الأوربى، صـار اليهود يعملون على تأمين حبال أخرى، لأنهم يخشــون الموت إن وهى وتقطع الحبل الأوربى، فهم يعلمون أن كيــانهم لا يعيش إلا بتلك الحبال البشرية.

لقد قام اليهـود بتأمين الحبل الأمريكى، الذى هو أقــوى وأغنى الحبال الممتدة إليهم الآن. ومنـذ وراثة أمـريكا لبريطانيــا فى منطقة الشرق الأوســط بعد الحرب العالميــة الثانية، والحبل الأمــريكى يقدم لليهود كل مــا يطلبونه وزيــادة، فالحبل الأمريكى الآن يقدم لليهود المال والسلاح والتأييد السياسـى.

الحبل السوفيتي..

ولا ننسى الحبل الروسى بخاصة، والشيوعى بعامة، الممتد لليهود، لأننا نعلم أن الشيوعية صناعة يهودية، وأن يد اليهود فى الاتحاد السوفيتي ودول أوربا الشرقية الشيوعية -أو التى كانت شيوعية- واضحة منذ قيام النظام الشيوعى وحتى الآن.

والحبل السوفيتى بقى ممتداً لليهود، لم ينقطع أو يتوقف، وإن بدا لنا أنه مقطوع فى الخمسينيات والستينيات والسبعينيات من هذا القرن، وهذا الحبل يتمثل فى قدوم اليهود من روسيا ودول أوربا الشرقية، إلى دولة اليهود على أرض فلسطين، وقوى هذا الحبل واشتد فى هذه السنوات، عندما تسارعت هجرة مئات الألوف من اليهود السوفييت إلى فلسطين*.

الحبل العربى..

ولابد أن نشير إلى حبل بشرى آخر ممتد لليهود، له أثر مباشر فى وجودهم على أرض فلسطين، قد لا ينتبه له الكثيرون، إنه الحبل العربى! نعم! حبل عربى ممتد من دول عربية تزعم أنها تعادى اليهود، وتدعى الحرص على تحرير فلسطين من اليهود!.

وستتقطع الحبال كلها..

لقد عبر القرآن عن العون لليهود بكلمة «حبل» فقال: «وحبل من الناس» وهى كلمة دقيقة ذات دلالة مهمة.

لا يملك اليهود قوة ذاتية، ولا يتمتعون فى الحقيقة بقدرات ذاتية، ولذلك لا

* كتب هذا الكلام فى إبريل ١٩٩١، قبل أن يزول الاتحاد السوفيتى وتتحطم الشيوعية، ولكن الحبل مازال ممتداً لليهود من روسيا وأوربا الشرقية.

يقوم كيـانهم فى فلسطين على أسس وقواعـد ذاتية ثـابتة، إنما يقـوم على الحبال الممتدة إليه.

إن كيـانهم على أرض فلسطين مصطنع مختلق، وليس أصيلاً فطـرياً منطقيـاً موضوعياً. إن وجوده مرهون باستمرار وامتداد الحبال إليه، وإن حياته مرهونة باستمرار المســاعدات عبر هذه الحبال الممتدة، وإذا مــا انقطعت هذه الحبال، فإن هـذا الكيان سيفقـد أسبـاب الحيـاة، وسينهار كما ينـــهار أى بنيـــان أقيم على الباطل.

إن الحبل العربى -بمظاهره التى أشرنـا لها- سيتقطع عما قريب إن شاء الله، يوم تهتدى هذه الأمة إلى رسالتهـا وتتمسك بإسلامها، وتعتصـم بربها، وتجاهد أعداءها، وعنـدها يمن الله عليها بالنصر، وعنـدها تزول هذه «الفقاعـة» الفارغة، المسماة دولة «إسرائيل الكبرى».

إن تقطيع الحبـال الممتدة إلى اليهـود يحتـاج إلى سعى وعمل، وجهد وجهـاد، وإنها لا تتقطع بمجرد الأمنيات، وفى عالم الـرؤى والأحلام، فعلينا السعى الجاد نحـو الاعتصام بحبل اللـه المتين، ونحو تقطيــع الحبال البشريـة الممتدة للكيـان اليهودى، ويومئـذ يتحقق ما وعدت بـه هذه الآية، ويومئـذ يفرح المؤمنون بنصر الله.. وإنهم يرونه بعيداً ونراه قريبـا.. وما الانتفاضـة المباركة على أرض فلسطين إلا خطوة جريئة للسير على طريق تقطيع الحبال الممتدة لليهود.

الفصل الحادى عشر

مستقبل اليهود فى فلسطين كما تحدده سورة الأعراف

وقفنا أمام آيات سورة آل عمران ، التى تتحدث عن الحبال الممتدة للكيان اليهودى على أرض فلسطين ، وتقرر أن هذا الكيان المصطنع لا مستقبل له ، وأن وجوده مرهون بإيصال الدعم له عن طريق تلك الحبال ، وأنه سيموت ويزول يوم تنقطع تلك الحبال بعون الله.

والآن ، نقف مع آيات من سورة الأعراف تؤكد هذه الحقيقة: إن اليهود لا مستقبل لهم على أرض فلسطين ، وإن كيانهم عليها موقوت ، وإنه إلى زوال.

سينالهم غضب وذلة

قال تعالى :﴿إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا، وكذلك نجزى المفترين﴾ (سورة الأعراف: ١٥٢).

جاءت هذه الآية بعد ذكر قصة عبادة بنى إسرائيل للعجل ، بعد ذهاب موسى عليه السلام لمناجاة ربه على جبل الطور ، ولم يستمعوا لهارون عليه السلام وهو ينهاهم عن هذا الكفر الفاجر.

وتقرر هذه الآية أن اليهود الذين عبدوا العجل من دون الله ، ستنالهم الذلة فى الحياة الدنيا، وهذا بسبب افترائهم وكذبهم على الله سبحانه.

صحيح أن الآية التى تقرر إيقاع الغضب والـذلة على اليهود ، تتكلم عن أولئك اليهود الذى عبـدوا العجل زمن موسى عليه الصلاة والســلام ، لكنها تتكلم عن اليهود عمومًا، وتنطبق عليهم أينما كانوا ، لأن اليهود مستمرون فى عبادة «العجل الـذهب »، وليس شرطـا أن يقدمـوا لـه الشعـائر التعبديـة ، كما فعل أسـلافهم السابقـون ، فهذه صورة ساذجـة للعبادة ، إن اليهود يعبـدون الذهب والمال من دون الله ،و لهم «نهم» عجيب فى هذا المجال ، ويعرف الناس مقدار تمكن هذا الكفر فى نفسية اليهـود ، ونلحظ ممارسـات «عبادية» يهوديـة شائنـة للمال والذهب ، بارزة لكل ناظر فى هذا الزمان.

ثم إن هذه الآية التى تقـرر إيقاع الذلة والغضب على اليهـود ، تأتى متناسقة مع آيات أخـرى، تبين هذه الحقيقة وتكملها وتـؤكد مضمونها، مثل قولـه تعالى **﴿ضـربـت عليهـم الذلـة أينـما ثقفـوا﴾** (سورة آل عمـران:١١٢) وقولـه تعالى: **﴿وضـربـت عليهـم الذلـة والمسـكنة وبـاءوا بـغضب من اللـه﴾** (سورة البقرة:٦١).

هل يوفق المغضوب عليه؟

إن قولـه تعالى : **﴿سينـالهم غضب من ربهم﴾** يقـرر أن اليهود خـاسرون فـاشلـون ، يسيرون الى نهايتهم البـائسـة التى تنتظـرهم ، وهى تصيب كل من غضب الله عليه.

وتؤكد هذه الآيـة مضامين آيات أخرى ، تبين عقوبة اللـه لليهود على جرائمهم الكثيرة ، بإيقاع غضبه عليهم.

قال تعالى : **﴿وضربت عليهم الذلة والمسكنة ، وباءوا بغضب من الله ، ذلك بانهم كـانوا يكفـرون بـآيـات الله ، ويقتلـون النبيين بغير الحق ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾** (سورة البقرة: ٦١).

وقال تعالى : ﴿ ولما جاءهم كتاب من عند اللـــه مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الـذين كفروا ، فلما جاءهم مـا عرفوا كفروا بـه ، فلعنة الله على الكافرين ، بئسما اشتروا به أنفسهم ، أن يكفروا بما أنزل الله بغيًا ، أن ينزل الله من فضله على من يشـاء من عباده ، فباءوا بغضب على غضب ، وللكافرين عذاب مهين﴾ (سورة البقرة ٨٩–٩٠).

وبما أن اليهود مغضوب عليهم من قبل الله سبحانه ، فهم خاسرون ، لأنه لن ينجح مغضوب عليه ، ولن يوفق مغضوب عليه ، ولن يسعد مغضوب عليه.

ولقد قدّم الله لليهود هذه الحقيقة ، وحذرهم عاقبة غضبه عليهم ، ونهاهم عن ارتكـاب ما يستـوجب ذلك الغضب ، وجـاء هذا البيـان والتحذيـر ، لما كانـوا فى «المحطة» الأولى من «محطات» تاريخهم الطويـل ، لما كانوا فى سيناء مع رسولهم مـوسى عليـه الســلام ، وقبل أن ينتقلـوا معه من سينـاء الى الأرض المقـدسـة: فلسطين.

قال تعالى : ﴿ يا بنى إسرائيل قد انجيناكم من عـدوكم ، وواعدناكم جانب الطور الأيمن ، ونزلنـا عليكم المن والسلوى ، كلوا من طيبات مـا رزقناكم ، ولا تطغـوا فيه فيحل عليكم غضبى ، ومن يحلل عليـه غضبى فقد هـوى﴾ (سورة طه: ٨٠–٨١).

اليهـو د مغضوب عليهم ، ولن يـوفق المغضوب عليهم ، وكيـانهم فى فلسطين قـائم على أســاس غضب اللـــه ، ولهذا هـو إلى زوال . المهم أن «نستشرف» نحن مستقبل هـذا الكيان ، على هدى آيـات القرآن، وأن نلحظ «الغضـب» الإلهى الذى يلف هـذا الكيـان ، ويغشاه ويغطيـه ، ويحشره داخلـه حشرًا ، ويعصره عصرًا ، ليذوى ويموت فى النهاية ، التى نرجو أن تكون قريبة بعون الله .

باءوا بغضب على غضب

ونقف مع الآية التسعين من سورة البقرة ﴿**فباءوا بغضب على غضب**﴾ لنرى منها نوراً قرآنياً نسلطه على الكيان اليهودى على أرض فلسطين.

إنها تقرر السمة الرئيسية لتاريخ اليهود ، تلك هى سمة الغضب ، وإنها تقرر الحالة الدائمة التى يعيش فى ظلالها اليهود ، تلك هى حالة الغضب ، وإنها تقرر «الرحلة» التى يقطعها اليهود ، تلك هى رحلة الغضب ، وإنها تقرر «الحصيلة» والثمرة والنتيجة ، التى يخرج بها اليهود من حياتهم وتاريخهم ورحلتهم ، إنها الغضب.

صدق الله العظيم : ﴿**فباءوا بغضب على غضب**﴾ باءوا : عادوا ورجعوا، أى قطعوا مراحل تاريخهم ، وأشواط حياتهم ، ورجعوا يحملون كسبهم وجناهم ، وهو الغضب ، وأضافوه إلى رصيدهم السابق ، و«إرثهم» التاريخى ، وهو الغضب ، وبذلك ﴿**باءوا بغضب على غضب**﴾ .

عصى اليهود السابقون أنبياءهم أثناء إقامتهم فى فلسطين فى العصور القديمة، ونالوا بذلك غضب الله ، وشتتهم الله وقطعهم ، ومزقهم فى الأرض ، وهو غاضب عليهم ، وأقاموا بين الدول والأمم بغضب الله ، وتنادى اليهود الى فلسطين وتجمعوا فيها ، فعادوا إليها ، وهم يحملون معهم غضب الله ، وأقاموا كيانهم على أرض فلسطين، على أساس غضب الله، فكان هذا الكيان بجهد قوم مغضوب عليهم من الله ، وكان هذا الكيان نتيجة «وثمرة» لغضب الله ، فجاءت أبرز سمة لهذا الكيان أنه كله غضب من الله.

بداية اليهود غضب ، وحياتهم غضب ، وتاريخهم غضب ، ورحلتهم غضب ، وشتاتهم غضب ، وعودتهم غضب ، وجهدهم غضب، ورصيدهم غضب، وإرثهم

غضب ، وسعيهم غضب ، وربحهم غضب ، وهم «باءوا بغضب على غضب »! ولن يوفق المغضوب عليه ، ولن يحقق أهدافه ، ولن تطول حياته ، ولن يعمر كيانُه!.

وأكاد أرى ببصيرة قرآنية نافذة غضب الله يصب على رؤوس اليهود الآن صبًا ، وأكاد أرى مظاهر عملية صارخة لهذا الغضب الإلهى ، وأكاد أرى براكين الغضب البشرى يفجرها الله ضد اليهود.

اليهود يزرعون الغضب

اليهود ماهرون فى إذلال الشعوب ، أذكياء فى التحكم فيها ، وفى امتصاص خيراتها ونهب أموالها ، وناجحون فى ذلك نجاحًا منقطع النظير ، لكن نهايتهم وحتفهم وموتهم فى ذلك، إنهم بذلك النجاح - الذى قد يخدعهم ويخدرهم ويغرهم- يزرعون «الغضب» عند تلك الشعوب ، وتنمو أشجار ذلك الغضب عندها ، وقد لا يلتفت ولا ينتبه اليهود إليها ، فى غمرة نجاحهم ، ولكن تلك الأشجار تنمو وتنمو ، وسوف تثمر وتثمر ، وتقدم ثمراً مدمرًا يقضى على اليهود.

لقد أساء اليهود للشعوب كلها ، أساءوا للعرب وللمسلمين ، وأساءوا للأوربيين والأمريكان ، وأساءوا للأفارقة والآسيويين، وسكتت تلك الشعوب وسكنت ، وخُدع اليهود بسكوت الشعوب وسكونها ، وظنوه سكوت وسكون الاستسلام والانقياد ، فزادوا فى استذلال تلك الشعوب واستعبادها ، ونهبها وامتصاصها.

إن الشعوب قد تسكن ، لكنه السكون الخطير ، الذى يسبق العاصفة ، وإنها قد تهدأ ، لكنه الهدوء المريب الذى يخفى تحته البراكين ، وإنها قد تسكت ، لكنه السكوت الذى تعقبه الصواعق.

الشعوب لا تنسى شيئًا ، ومغرور مغفل من ظن أنها تنسى ، إنها لا تسكت على هوان ، ولا تبتلع الإساءة ، ولو لم ترد على ذلك مباشرًا وسريعًا.

إن الشعوب تمتلك «ذاكرة» واعية حافظة ، وإنها تختزل فيها إساءات اليهود لها ، و«ترصد» فيها امتصاص ونهب اليهود لخيراتها ، وتجعل هذا الاختزال والرصيد «وقودًا» لبراكين الغضب الهادرة ، تحت قشرتها السطحية الهادئة!.

وعندما يجيء أمر الله ، ويأذن بتفجر هذه البراكين ، ستدمر اليهود وتقضى عليهم ، ولن ينجح ذكاء اليهود فى النجاة من تلك «الحمم» البركانية ، التى تقذفها الشعوب الغاضبة المزمجرة، ضد الكيان اليهودى على أرض فلسطين.

الغضب الساطع آتٍ

ساذج وموهوم وحالم ، من يظن أن اليهود تمكنوا من الشعوب والأمم إلى الأبد ، وساذج وموهوم وحالم ، من يظن أن الشعوب ستبقى أسيرة الاستغلال والاستعباد اليهودى المقيت.

ستصحو هذه الشعوب التى خدرها الآن اليهود ، وستفتح أعينها التى يغلقها لها الآن اليهود ، ويومها ستدرك عظم خسارتها عندما أيدت اليهود ، واستجابت لإسرائيليات اليهود ، ودعمت كيان اليهود ، ويومها ستفجر براكين الغضب ضد اليهود ، وستنتقم من اليهود.

وويل لليهود من انتقام الشعوب ، وويل لليهود من تفجير براكين الغضب لدى الشعوب.

ويل لليهود من غضب الشعب الفرنسى ، وغضب الشعب الإنجليزى ، وغضب الشعب الروسى، ويل لليهود من غضب الشعب الأمريكى، وهو غضب قادم لا محالة.

ويل لليهـود من غضب الشعب العربـى ، ومن غضب الشعوب المسلمـة ، ويل لليهـود من الأجيال العـربيـة القادمـة ، التى تواجـه اليهـود مزودة بـالإيمان ، والإسلام والقرآن والجهاد ، حيث ستُزيل كيانهم ، وتحطمه تحطيما بعون الله .

ومن يعيش ذلك الغضب العالمى ضـد اليهود ، ومن يسعـد بحمم براكين ذلك الغضب تجتاح كيان اليهود ، سيعـرف معنى قوله تعالى: ﴿فباءوا بغضب على غضب﴾ وسيعرف أنه لن يوفق المغضوب عليـه ، وأن ذكاء اليهود انقلب سلاحًا ضدهم ، وصار دمارًا لهم ، ووقودًا للغضب عليهم.

سنة الله فى تعذيب اليهود

قال الله تعالى: **﴿وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيـامة من يسومهم سـوء العـذاب ، إن ربك لسريع العقاب وإنـه لغفـور رحيم ، وقطعنـاهم فى الأرض أممًـا ، منهم الصـالحون ومنهم دون ذلك ، وبلـوناهم بـالحسنـات والسيئات لعلهم يرجعون﴾** (سوزة الأعراف :١٦٧ -١٦٨).

وسوف نعرض - بعـون الله - بعض إيحاءات هاتين الآيتين ، ونسجل بعض ما تقررانه من مستقبل مظلم لليهود.

تخبرنا هاتان الآيتان عن سنة إلهيـة فى تعذيب اليهود ، وهذه السنة الإلهية فى تعـذيب اليهود واقعـة محققـة لا محالة ، ولن يفلـت اليهود منهـا ، ولن ينجيهم ذكاؤهم منها ، وهذه السنة مستمرة «إلى يوم القيامة».. أى أن هذه السنة ستحل بكيان اليهود المعاصر على أرض فلسطين.

لقـد شاء اللـه الحكيم أن يعذب اليهـود عـذابًا دائماً مستمـراً ، وأعلمنا أنـه سيبعث عليهم رجـالا يعذبـونهم سوء العـذاب، كما أعلمنا أن هـذا البعث الإلهى عليهم مستمر إلى يوم القيامة.

كما تخبرنا الآية أن الله الحكيم شاء وقدّر أن يقطّع اليهود وأن يقسّمهم ، وأن يحولهم من أمـة واحـدة الى أمم شتى ، وأن يفـرّق هـذه الأمم فى الأرض ، وأن يشتتها فى البلـدان ، وهذه السنة الربـانية العادلـة عقوبة من الله عليهم جـزاء ما ارتكبوه ويرتكبونه من الآثـام والمعاصى، والإجرام والإفساد ، مما لا يخفى على أحد.

«وإذ تـأذن ربـك»

معنى «تأذن» أعلم وأخبر ، وهـذا الفعـل فيـه معنى «القسم» هنـا، لهذا دخلت «اللام» على فعل ليبعثن ، باعتباره جوابًا للقسم المفهوم من فعل تأذن.

فقوله ﴿**وإذ تأذن ربك**﴾ أى: أعلمكم وأخبركم ربكـم أيها المسلمـون ، بهذه السنة الإلهية النافـذة ، الواقعة باليهود لا محالة ، وجـاء إعلام الله وإخباره لكم بما يشبـه الحلف والقسم واليمين ، أنـه سيبعث على اليهود من يسـومهم سـوء العذاب ، إلى يوم القيامة.

والتلويـح بالقسم هنـا ، موجـه بالدرجـة الأولى لمسلمى هذا الـزمان ، الـذين يعيشـون فترة انتعـاش مـؤقت لليهـود على أرض فلسطين ، وسلطـان كبير - مؤقت- لليهود فى العالم كله ، فيظنون أن سنـة الله فى «تعذيب» اليهود قد توقفت ويشكّـون فى مصـداق هذه الآيـة ، فحملت هـذه الجملـة «وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم» معنى القسم ، ولوحت بالقسم حتى لا تتأثر قناعة المسلم الربانى المعاصر بتحقيق هذه السنة الإلهية النافذة!.

والذى يلفت النظر هنا، أن الفعل الماضـى «تأذن» لم يـذكر فى القرآن إلا مرتين ، والمرتان وردتا فى سياق واحد ، وهو الكلام عن اليهود ، وتحملان تهديدًا وإنذارًا لليهود ، وتقدمان سنة ربانية متحققة باليهود!.

ففى سورة الأعراف أخبرنا الله وأعلمنا ، أنه سيعذب اليهود ﴿**وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب**﴾.

وفى سورة إبـراهيم ، أمر اللـه موسى عليه السـلام بأن يخاطب بنى إسرائيل بهذه السنة الربـانية ، وأن يقدّم لهم الإنذار الربـانى الشديد :﴿**وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ، ولئن كفرتم إن عذابى لشديد**﴾ (سورة إبراهيم :٧)

وطبعًـا كفر اليهـود ولم يشكـروا ، فأوقع اللـه بهم عذابـه الشـديد الى يـوم القيامة!.

«ليبعثــن عليهــم »

العـذاب الواقع بـاليهـود مبعـوث عليهم بعثا من اللـه ، واختيـار فعل«بعث» وإسناده الى الله يقدم لنـا «ظلاً» خاصًا ، نلحظ فيه أن الذين يعـذبون اليهود هم عباد ربانيون مكـرمون عند الله ، اختارهـم الله اختيـاراً ، واصطافهم اصطفاء ، وبعثهم بعثا ، ليوقعوا العذاب باليهود ، ويُريحوا العالم من شر اليهود.

لقد فرق القرآن بين ما تعلق به الفعل «بعث» ومشتقاتـه ، وذلك حسب السياق الذى ورد فيه .

أحيانًا يقول :﴿**وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبًا**﴾ (سورة المائدة :١٢)

وأحيانًا يقول : ﴿**إن الله قد بعث لكم طالوت ملكًا**﴾ (سورة البقرة :٢٤٧)

وأحيانًا يقول : ﴿**إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم** ﴾ (سورة آل عمران :١٦٤)

وهنا يقول : ﴿**ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة**﴾.

وفرق بعيد بين التعابير القرآنية الأربعة: بعث منهم ، وبعث عليهم ، وبعث له ، وبعث فيهم . ولا أعتقد أن هذا مكـان تسجيل هذه اللطائف القرآنيـة الدقيقة، لكن أدعو القـراء الكرام الى مـلاحظة الفاعل للفعل «بعث» فى حـالاته الأربعـة ، الفاعل الذى يبعث هو «الله»، الواحد الباعث الفعال المريد سبحانه!.

تعلقُ الفعل «بعث» بشبه الجملة «عليكم» خاص بالعذاب ، أى أن العذابَ يُبعث بعثًا ، بأمر الله على القوم المعذبين ، والذين يحملون هذا العذاب الإلهى ليصبوه على اليهود ، هم قوم مكرّمون عند الله ، ناسب أن يخبر الله عنهم بالفعل الجميل «بعث» الذى يدل على هذا التكريم.

تعذيب اليهود على يد غير المسلمين

نعلم أن الله قد عذب اليهود فى مراحل عديدة طويلة من تاريخهم ، وأنه قد أوقع العذاب عليهم بأيدى أقوام كثيرين ، منهم المسلمون ، ومنهم غير المسلمين.

ونلحظ أن فعل «بعث ويبعث» خاص ببعث الله للمسلمين ، ليعذبوا اليهود ، وأن هذا الفعل لا ينطبق على الأقوام غير المسلمين الذى يعذبونهم والله أعلم.

فمعلوم أن «فرعون» وقومه قد عذبوا اليهود، ولم يسم القرآن تعذيب فرعون وجنوده لهم «بعثاً ربانياً» لأن فرعون وقومه كانوا مجرمين ظالمين جناة ، وبنو إسرائيل - يومها- كانوا مضطهدين مظلومين ! وعذب أقوام آخرون اليهود قبل الإسلام ، مثل «البابليين» و«الرومان» و«النصارى» وليس عذابهم «بعثاً ربانياً» ! وقد عذب الله اليهود فى هذا العصر على أيدى «هتلر» و«النازيين» ، وليس هذا «بعثاً ربانياً».

المسلمون «بعث» ربانى على اليهود

لما أخبر القرآن عن تعذيب المسلمين لليهود ،اختار لهم «فعلاً» تكريمياً وعبارة «تشريفية» خاصة بهم، وذلك فى موضعين:

الأول قوله :﴿**ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب**﴾ وهذا بعث مستقبلى لم يتحقق قبل نزول سورة الأعراف المكية ، وإنما تحقق بعد نزولها ، وتم على أيدى المؤمنين أتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد عرفنا هذا المعنى المستقبلى من الفعل المضارع «ليبعثن».

والثانى قوله :﴿**فإذا جاء وعد أولاهما ، بعثنا عليكم عبادًا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً**﴾ (سورة الإسراء:٥).

وهذا «بعث» مستقبلى أيضًا ، لم يتحقق قبل نزول سورة الإسراء المكية ، ولكنه تحقق فيما بعد فى المدينة على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصحابته الكرام ، وقد عرفنا هذا المعنى المستقبلى من ظرف «إذا» الذى هو :ظرف لما يستقبل من الزمان.

إذن العبارتان :«بعثنا عليكم عبادًا لنا»، «وليبعثن عليهم من يسومهم سوء العذاب» ، خاصتان بالبعث الإسلامى ، الذى يبعثه الله على أيدى العباد المؤمنين الربانيين ، الذين يعذبون اليهود.

هذا البعث مستمر إلى يوم القيامة

المسلمون الربانيون هم المرشحون «الوحيدون» للقضاء على اليهود وتعذيبهم، وإراحة شعوب العالم منهم ، وهم الذين يبعثهم الله على اليهود ويسلطهم عليهم ، ويمكنهم منهم ، وينصرهم عليهم.

وأعتقد – من خلال نفحات وأنوار هذه الآية – أن تمكين الله لليهود على أرض فلسطين فى هذا الزمان ، إنما هو تمهيد وتهيئة للبعث الإسلامى القادم ، الذى يحمل جنوده الربانيون العذاب الإلهى، ويصبونه على اليهود. وأرى كل الأحداث والأمور يسيرها الله لتحقيق هذه الغاية الربانية الحكيمة.

المسلمون الربانيون هم الذين سيعذبون اليهود، ولهذا فإن الله يجمع لهم اليهود من بقاع الأرض الى فلسطين ، ليسهل عليهم تعذيبهم والقضاء عليهم!.

يجب أن ننظر لكيان اليهود على أرض فلسطين بهذا المنظار القرآنى ، وأن نستشرف مستقبله المظلم على هذا الأساس القرآنى ، وأن نوقن بزواله وفق هذه السنة الربانية.

المسلمـون هم الوحيـدون الذين اختـارهم اللـه الحكيم ليستمروا فى «سـوم» اليهود سوء العذاب الى يوم القيامـة ، «ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب » . ونلاحظ جملة «إلى يوم القيامة» التى تقرر استمرار إيقاع العذاب على اليهود الى يـوم القيامة ، وأنـه واقع بهم على أيدى المؤمنين الـذين يبعثهم الله بعثًا.

إن الحرب فى الحقيقة هى بين اليهود – أخبث شعب – والمسلمين، لأن المسلمين هم أعـداء اليهــود الـذين يعـرفـونهم على حقيقتهـم ، ويكشفـون زيفهم ، وهم الوحيدون الذين يملكون القوة للقضـاء على اليهود لأن الله معهم ! وهذا ما قرره علماء الصحابة والتابعين ، أثناء تفسيرهم للآية التى نتكلم عنها.

قال ابن عبـاس رضى الله عنهما : الـذين يسومـون اليهود سـوء العذاب هم محمد صلى الله عليه وسلم وأمته،إلى يوم القيامة.

وقال قتادة : بعث الله على اليهود هذا الحى من العرب (وهم المسلمون) فهم فى عــذاب منهـم إلى يـــوم القيـــامـــة (انظـــر تفسير الطبرى لهذه الآيـــة ١٣ : ١٠٤–٢٠٧).وقد عقب ابن كثير على هذه الأقوال قائلاً : قلت : ثم آخر أمر اليهود أنهم يخرجون أنصـاراً للدجال ، فيقتلهم المسلمـون مع عيسى ابن مريم ، وذلك آخر الزمان (٣:٢٥٩)

الحقيقة على لسان سيد قطب

الخلاصة التى نخرج بها من هـذه الآية أن اليهود معذبـون ، وأن الله شاء أن يـوقع بهم العـذاب إلى يوم القيـامـة ، وأن المسلمين هم الـوحيدون المرشحـون لتحقيق سنة الله على اليهود ، وإيقاع العذاب بهم .

إذن لا مستقبل لكيـان اليهـود على أرض فلسطين ، فهو مـوقـوت ، وإلى زوال

واندحار. ونحن فى هذه الأيـام نرى العذاب الربانى المباشر على هـذا الكيان قادمًا إليه، فما هى إلا فترة مـوقوتة ، واستراحة قصيرة ، قـد تستمر سنة أو سنتين أو عشراً أو عشرين، أو جيـلاً أو جيلين ، ثم تحيق به سنـة اللـه، ويسلط الله عليـه عباده المؤمنين ، ويُزيلونه من على هذه الأرض المباركة ، وهو قريب إن شاء الله.

ويطيب لى أن أقرر هـذه الحقيقة ، على لسان الأستاذ الإمـام سيد قطب رحمه الله ، وأنقل بعض عباراته من تفسيره لهذه الآية:

«فهو إذن الأبد ، الذى تحقق منـذ صدوره ، فبعث الله على اليهود فى فترات من الزمـان من يسومهم سوء العذاب ، والـذى سيظل نافذاً فى عمومـه ، فيبعث الله عليهم بين آونة وأخرى من يسومهم سوء العذاب.

وكلما انتعشـوا وانتفشوا ، وطغـوا فى الأرض وبغـوا ، جاءتهم الضربـة ممن يسلطهم الله من عباده ، على هذه الفئة الباغية النكدة ، الناكثة العاصية، ولا تثوب من انحراف ، حتى تجنح إلى انحراف.

ولقد يبدو أحيانا أن اللعنة قـد توقفت، وأن يهود قد عزّت واستطالت! وإن هى إلا فترة عارضـة من فترات التاريخ ، ولا يدرى إلا الله من ذا الذى سيسلط عليهم فى الجولة القادمة، وما بعدها إلى يوم القيامة» (الظلال: ٣:١٣٨٦).

الفصل الثانى عشر

مستقبل اليهود فى فلسطين كما تقرره سورة الإسراء

صراع بين رسالتين

أشارت سورة الإسراء الى حادثة الإسراء ، وربطت المسجدين ، المسجد الحرام والمسجد الأقصى ، وتكلمت عن بنى إسرائيل ، وأشارت إلى أبرز مظاهر وملامح حكمهم ، وكشفت عن فسادهم وبغيهم، وأخبرتنا عن إفسادين كبيرين ، مقترنين بالعلو الكبير ، يقعان على أيدى اليهود ، وأطلعتنا على وضع اليهود فى كل منهما ، وحددت ملامح الرجال العباد الربانيين ، الذين يزيلون الإفسادين اليهوديين ، وكان تركيزها على الإفساد الثانى اليهودى أكبر .

ونرى أن سورة الإسراء بكلامها عن إفسادى اليهود – وبخاصة الإفساد الثانى – إنما تحدد مستقبل الكيان اليهودى على أرض فلسطين، وتقرر أنه كيان مقترن بالإفساد والعلو، وأنه لا مستقبل له ، وأنه إلى زوال ودمار ، وأن العباد الربانيين قادمون إليه ليحققوا فيه وعد الله ، ويكونوا بتدميره ستارًا لقدر الله .

سورة الإسراء وبنو إسرائيل

لسورة الإسراء اسم توقيفى آخر ، وهو سورة بنى إسرائيل ، لذكر بنى إسرائيل فيها ، بعد حادثة الإسراء مباشرة ، وهى سورة مكية ، وللحديث عن بنى

إسرائيل وإفسادهم فى سورة مكية ، إشـارة واضحة لطبيعة وحقيقة الصراع بين المسلمين واليهود.

بدأت السورة بالحديث عن الإسراء بالرسول صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام من مكة المكرمة ، الى المسجد الأقصى فى بيت المقدس، ثم أشارت إلى البركة التى جعلها فى المسجد الاقصى ، وفيما حـول المسجد الأقصى ، ثم انتقلت مباشرة انتقالاً تاريخياً من الـرسالة الإسلامية الى رسالـة موسى نبى بنى إسرائيل عليه الصلاة والسلام ، وإلى التوراة وما كلف الله بنى إسرائيل فيها.

ثم أخبرت السورة المسلمين بعض ما أعلم الله بنى إسرائيل فى التوراة نفسها ، من أحداث تـاريخية قـادمة لهم، ومن إفسـاد خطير يمارسونـه ، ومن علو كبير يقـومـون بـه ، وحـددت إفسـادين اثنين لهم ، وأعلمتهم بسمات ومـواصفـات الربانيين الذين يقضون عليهم.

المسجد الأقصى والبركة حوله

قوله تعالى ﴿سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، الذى بـاركنا حـوله لنـريه من آيـاتنا، إنـه هو السميع البصير﴾ (سورة الإسراء:١)

نقف لحظة مع قوله: **﴿إلى المسجد الأقصى الذى بـاركنا حوله﴾** فقد سماه الله المسجـد الأقصى، ولم يكن المسجد مقـاماً على الأرض وقت الإسراء، ولم يكن هناك مسلمون على أرض الأقصى وقت الإسراء!

لقد سمى المسجد الأقصى ليلة الإسراء لاعتبارين اثنين:

الاعتبار الأول: أن مكانه كان مسجداً فيما سبق، لعبادة الله عز وجل، وأن الله جعل ذلك المكان بقعة شريفة ومسجداً لعبـادته، وأنه بنى ليكون مسجداً من قبل، ونحن نعرف أن أول من بناه ليكون مسجداً لله إبراهيم الخليل عليه السلام، وأن

بناءه جدد ليكـون مسـجداً لله على أيدى أنبيـاء وملوك بنى إسرائيل، وأن سليمان عليه الصلاة والسلام بنى على أرضه هيكلـه المعروف، ليكون مسجداً لله، ليصلى فيه سليمان ومؤمنـو بنى إسرائيل لله– وفق شريعتهم الربـانية فى الصلاة– ولم يبنـه ليكون هيكـلاً يهودياً تلمـودياً عنصريـاً بغيضاً، كما يـدعى اليهود فى هـذا الزمان.

الاعتبـار الثانى: بـاعتبار مـا سيكـون فى المستقبل، حيث تقدم الآيـة البشرى لرسـول الله صلى اللـه عليه وسلم والمستضـعفين مـن المسلمين فى مكة، أن أرض المسجد الأقصى وإن كانت خراباً وأنقاضاً ليلة الإسراء، يعيث فيها جنود الرومان الفسـاد، فإنها ستتطهـر من رجسـهم وكفرهـم، على أيدى المسلمين، وستتحـرر منهم، وسيشيد عليها المسلمون المنصورون مسجداً لعبادة الله عز وجل.

مظاهر البركة حول المسجد الأقصى

وصف الله الأرض حول الأقصى بالبركة ﴿الذى باركنا حوله﴾ ولم يصف المسجد نفسـه بالبركة، فلم يقل الذى بـاركناه وباركنـا حوله، لأن بركـة المسجد باعتباره مكانـاً للعبادة والصلاة والسجود أمر مفروغ منـه، متفق عليه، مفهوم ضمناً، فلا يحتاج إلى نص عليه.

وكلمة «حوله» تشمل كل الأرض الواقعة حول المسجد الأقصى وهى المعروفة بـاسم بلاد الشـام، بأقطـارهـا السياسيـة، التى قسمهـا وأوجدهـا الاستعمار الإنجليزى والفرنسى فى مطلع هذا القرن، على يـدى سايكس وبيكو، وهى سوريا ولبنان والأردن وفلسطين.

وقد يخطىء بعض الناس فى فهم البركـة فيما حول المسجد الأقصى، فيقصرها على البركة الزراعية، أى البركة فى الطقس والمناخ، فى الرياح والأمطار، وفى الأرض

الصـــالحة للزراعـة التى تنتج مـختلف الزروع والثمار، والتى تـدر لبناً وعســلاً، وتقدم لأصحابها موارد زراعية وغذائية رفيعة.

صحيح أن هـذه البركة مـوجودة فيما حـول المسجد الأقصى بهذا الاعتبـار، لكنها بـركة من بركـات كثيرة، ومظهر من مظاهر البركـة العديدة، فـالبلاد التى حول المسجد الأقصى مباركة بركة زراعية إنتاجية غذائية اقتصادية.

وهى مباركة بركة إيمانية، لأنها بـلاد إيمان، للإيمان فيها وجود راسخ ثابت أصيل، قبل إبراهيم عليـه السلام وبعده، وهى بـلاد نبوات ورسالات، كرســالة مـوسى وعيسى، ونبوة داود وسليمان عليهم الصــلاة والســلام، وقد شـهـدت أرضـها عبـادة العابدين وصلوات المسبّحين، فكم من صلـوات أقيمت عليها، وكم من دعـوات خرجت منها، وكـم من زفرات وأنـات زفرت عليها، وكم مـن دموع وتضرعات كانت عليها، لقد مزج تـرابها بدموع العابدين المتضرعين لله، قبل حكم المسلمين لها وبعده.

وهى مباركة بركة تاريخية، قـديمة ومعاصرة ومستقبلية، فتاريخها الأصيل هـو تـاريخ للإسـلام والإيمان والعبـوديـة للـه، أما الكفـر والشرك والطغيـان والجاهلية، فلا تاريخ ثابت لها عليها، ووجـودها زائف موقوت زائل.. هى تاريخ الإســلام والايمان، الذى صــاغـه عليها: إبـراهيم وإسحـاق وموسى وهــارون ويعقـوب ويـوسف وداود وسليمان وزكـريـا ويحيى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام، وهى تاريخ الإسلام الـذى صاغه عليها المسلمون الصالحون، من الصحابة والتابعين والعلماء والمجاهدين.

وهى مباركـة بركـة جهادية حضـارية حركيـة، فعليها كـان يسجل التاريخ الإيمانى منعطفـاتـه الخطيرة، وأحداثـه العظيمـة، وعليها كـان يسجل التـاريخ الجاهلى هزائمه ونكساته وزواله واندحاره.

التاريخ عليهـا حى فاعل متحرك لا يتوقف، وتقـدم أعوامه وشهوره وأيـامه

مفاجآت عجيبـة، وأحداثاً خطيرة، ومعارك فـاصلة، وزوال دول وأنظمة، وولادة أخرى.

عليهـا قُصِم الـرومان، وقصم الفـرس، وقصم الصليبيـون، وقصم التتـار، وعليها سيقصم الله اليهـود، ويدمر كيانهم، وعليها سيقتل اللـه المسيح الدجال، وعليها سيبيد الله جحافل يأجوج ومأجوج.

وهى مبـاركة بـركة سيـاسيـة؛ فهى أرض الابتلاء والامتحـان، وهى أرض الكشف والفضح، هى التى تكشف الخونة، وتفضح العملاء، من الحكام والزعماء والقادة والأنظمة، والأحزاب والتنظيمات، والرايات والشعارات والدعوات.

فبورِكْتِ أيتهـا الأرض المباركة، كم كشفت من سوءات الحكـام والسياسيين، وكم فضحت من الخونة والعمـلاء والمجرمين، وكم أسقطت من شعـارات زائفة، وألغيت من دعوات ومبادرات ذليلة، وعريت من ممثلين مخفيين مرتبطين بالأعداء فى الداخل والخارج.

إن هذه الأرض المبـاركة حـول المسجد الأقصى «مقبرة سيـاسية»، لكل زعيم وحـاكم ونظام وحـزب وتنظيم ودعوة وشعـار وراية وفكـر، لايصدر عن هـذا الدين، ويرضى أن «يتاجر» فى قضية هذه الأرض المباركة.

أتلاحظـون كم «سنقزم» البركـة فى هذه الأرض، عنـدما نقصرهـا على البركة الزراعية والغذائية والإنتاجية، وكم «سنفرغها» بذلك من هذه المظاهر المهمة لهذه البركة!!

لماذا الإسراء إليها والمعراج منها؟!

لقد اختـار الله الحكيم المسجد الأقصى، ليكـون نهاية لرحلة الإسراء، وبـداية لرحلـة المعراج، وذلك ليربط بين الأرض المبـاركة وبين خـاتم الأنبياء والمرسلين، باعتبـاره هو وارث الأنبياء السـابقين لهذه الأرض- ومنهم أنبياء بنى إسرائيل-

وباعتبار دينه الإسلام هو وارث الأديان السابقة على هذه الأرض المباركة – ومنها اليهودية والنصرانية– وباعتبار أمة الرسول صلى الله عليه وسلم هى الوارثة لهذه الأرض من الأمم السابقة التى أقامت عليها– ومنها أمة بنى إسرائيل– وهى الأمة الخليفة على هذه الأرض حتى قيام الساعة، وليس أمة اليهود، ولهذا جمع الله لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم الأنبياء والمرسلين جميعاً– جمعاً غيبياً خاصاً– والتقى الرسول عليه الصلاة والسلام بهم فى المسجد الأقصى وصلى بهم إماماً، كما قرر فى أحاديثه الصحيحة عن رحلة الإسراء والمعراج.

فكان اجتماعه بهم، وإمامته بهم «مؤتمراً» إيمانياً حافلاً، شهد فيه «التسلم والتسليم»، حيث سلم الأنبياء السابقون الأمانة والخلافة والوراثة والعهد والمسئولية لمحمد صلى الله عليه وسلم، ولأمته من بعده حتى قيام الساعة.

وجعل الله المسجد الأقصى وما حوله بداية المعراج للسماء، لأنها هى الأرض الواقعة قبالة باب السماء، وهى أرض المحشر والمنشر، إليها ينتهى حشر الناس من جميع بقاع الأرض، ليسمعوا عليها صيحة الصعق، فينصعقوا ويموتوا– كما صرحت بذلك الأحاديث الصحيحة– وبذلك تكون هذه الأرض المباركة مسرحاً للحظات الأخيرة من عمر البشرية فى هذه الحياة الدنيا!.

سر الربط بين المسجدين

ربطت سورة الإسراء ربطاً دقيقاً بين المسجدين: المسجد الحرام بداية رحلة الإسراء، والمسجد الأقصى نهاية رحلة الإسراء، وهناك سر بديع لطيف للربط بين المسجدين، فمن بعض حكم هذا الربط:

أن المسجد الأقصى وما حوله، شهد وجود رسالات سابقة، منها اليهودية والنصرانية، كان أصحابها هم الخلفاء على الناس، والأمناء على الدين والإيمان،

والـوارثين للأرض المبـاركة. والمسجـد الحرام شـهد بـدايـة الرسـالة الجديـدة الخاتمة، وولادة الأمة الإسلاميـة، أمة الخلافة والوراثة والأمـانة.. فبما أن الأمة الجديدة تقيم حـول المسجد الحرام، فلا بـد لها كى تحقق خلافتها وأمـانتها على البشرية من أن تتملك مـا حول المسجد الأقصى، وأن ترثه هى مـن الذين يقيمون حوله.

ومنها: أن السورة تريد من المسلمين أن يحسنـوا النظر للمسجد الأقصى وما حولـه،فهو مبـارك كبركة المسجد الحرام ومـاحوله، ومقـدس كقداسـة المسجد الحرام وماحـوله، واهتمامهم بـه لايجوز أن يقل عن اهتمامهم بـالمسجد الحرام وماحوله.

ومنها : تحذيـر المسلمين من المؤامرات المعـادية ضـد المسجدين، ومن أطماع الأعـداء الكافـرين فى المسجدين ، وأن الخطـر الذى يتهـدد المسجد الأقصى، هـو الخطر الذى يتهدد المسجد الحرام.

فلما أخذ الصليبيـون الأقصى وما حولـه، واستقروا فيه ، تـوجهت أنظارهم وبرامجهم ومطامعهم، نحو المسجـد النبوى فى المدينة المنورة، والمسجد الحرام فى مكة المكـرمة، فقـام «أرناط» ملك الكـرك الصليبى بعدة محاولات لاحتـلال بلاد الحجاز، كادت تنجح لولا أن الله هيأ لهذه الأمة صلاح الدين.

ولا يخرج ما يجرى فى هذا الـزمان وهذه الأيام من مؤامـرات ومكائد يهودية صليبيـة عن هـذا الإطار، فأطماع اليهـود فى بـلاد الحجـاز معروفـة، ومطـامع الأمريكان الغربيين فى الجزيرة العربية معروفة، ولم ينس مهندسو النظام العالمى الجديد ذلك، وما زلزال حرب الخليج إلا صورة عن ذلك!!

ومنهـا : إن السـورة تقدم للمسلمين المستضعفين فى مكـة، المحـاربين هنـاك، بشرى ربـانيـة بالفـرج والنصر والتمكين، فستنتهى تلك المرحلـة الحرجـة التى يعيشـونها فى مكة، وسيكتب الله لهم التمكين، فيفتحـون البلاد ويهزمون الأعداء،

ويصلون للمسجد الأقصى والأرض المباركة، متابعين خطى رسولهم صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء، ويفتحون تلك البلاد. ويقيمون عليها حكم الله، ويعيدون تشييد المسجد الأقصى وبناءه . فالرسول صلى الله عليه وسلم كان ممهداً لفتح بلاد الشام، وكان إسراؤه إلى المسجد الأقصى إرهاصاً ربانياً بفتح المسلمين الحقيقى القادم لهذه الأرض.

صراع بين رسالتين

نلحظ فى مقدمة سورة الإسراء انتقالاً مفاجئًا عجيباً من الإسراء إلى الحديث عن بنى إسرائيل ﴿ **سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله، لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير، وآتينا موسى الكتاب،وجعلناه هدى لبنى إسرائيل، ألا تتخذوا من دونى وكيلاً. ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً**﴾ (سورة الإسراء : ١-٣).

ثم : لماذا الكلام عن اليهود فى هذه السورة المكية، ولماذا إخبار المسلمين المستضعفين فى مكة بملامح التاريخ اليهودى الفاسد، ولم يكن هناك وجود لليهود فى مكة، حيث كانوا فى المدينة وما حولها، ولم يكن الصراع قد بدأ بين المسلمين واليهود، حيث بدأت مظاهره العملية الخارجية العنيفة فى المدينة بعد الهجرة.

إن الله يريد تعريفنا على طبيعة صراعنا مع اليهود، وأنه صراع بين رسالتين: رسالة الحق التى يمثلها المسلمون، ورسالة الباطل التى يمثلها اليهود، صراع بين العبودية الإسلامية لله، وبين العبودية اليهودية للشيطان، صراع بين العباد المؤمنين الربانيين، وبين المفسدين المستعلين المتكبرين اليهود.

وإن الله يريد إعداد المسلمين للصراع العنيف مع اليهود، والذى سيبدأ على

أرض المدينة ، ثم يتوسع ويمتد ليشمل الأرض المباركة وغيرها، ويبقى مستمراً حتى قبيل قيام الساعة، ليتصدوا لذلك الصراع الطويل المديد.

إفسادان لبنى إسرائيل

تكلمنا فيما سبق عن سورة الإسراء وبنى إسرائيل، وكلام السورة عن إفسادين لبنى إسرائيل، وتحديدها لمستقبلهم على ضوء الإفسادين، كما تكلمنا عن المسجد الأقصى، والبركة حوله، ومظاهر هذه البركة ، وبيّنا حكمة الإسراء بالرسول صلى الله عليه وسلم إلى المسجد الأقصى، وسر الربط بين المسجدين: المسجد الحرام فى مكة ، والمسجد الأقصى فى القدس، ودلالة هذا على الصراع بيننا وبين اليهود ، وأنه صراع بين رسالتين: الحق الإسلامى ضد الباطل اليهودى.

اختلاف فى الإفسادين

أخبرتنا آيات سورة الإسراء عن قيام بنى إسرائيل بإفسادين فى الأرض، مقترنين بعلو كبير، وتحدثت عن ملامح اليهود فى الإفسادين، وعن صفات العباد الذين يزيلون هذين الإفسادين، قال تعالى: **﴿وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب، لتفسدن فى الأرض مرتين، ولتعلن علواً كبيراً. فإذا جاء وعد أولاهما، بعثنا عليكم عباداً لنا أولى بأس شديد، فجاسوا خلال الديار، وكان وعداً مفعولا. ثم رددنا لكم الكرة عليهم، وأمددناكم بأموال وبنين، وجعلناكم أكثر نفيراً، إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم ، وإن أسأتم فلها، فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم، وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة، وليتبروا ما علوا تتبيرا، عسى ربكم أن يرحمكم ، وإن عدتم عدنا، وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً. إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم﴾** (سورة الإسراء : ٤-٩).

وقال تعـالى فى آخر السـورة عن الإفساد الثـانى لليهود: ﴿ **وقلنـا مـن بعده لبنى إسرائيل: اسكنـوا الأرض، فإذا جـاء وعـد الآخـرة جئنـا بكم لفيفـا** ﴾

(سورة الإسراء: ١٠٤)

اختلف العلماء السابقون ـ والمعـاصرون ـ كثيراً فى «إفسـادى» بنى إسرائيل، فى زمانهما، وفى مكانهما، وفى تحديد الذين أزالوهما وهزموا بنى إسرائيل.

معظم ـــ إن لم أقل كل ـــ السـابقين ذهبـوا إلى أن الإفسـادين وقعا فى التـاريخ الماضى لبنى إسرائيل قبل الإسلام، وقبل بعثة رسـول الله صلى الله عليه وسلم، وأن الإفسادين وقعا على أرض فلسطين، فهما قد حدثا ومرّا وانتهيا.

ورغم اتفـاقهم على هـذا، إلا أنهم اختلفـوا فى تحديد زمـان كل إفسـاد منهما، وتعيين السنوات التى حدث فيها، وإسماء حكامهم وحكوماتهم وأنبيائهم أثناءه، كما أنهم اختلفـوا اختلافـًا بينًا فى تحديـد الأقوام الـذين حاربـوا بنى إسرائيل فى فلسطين ، ودمروا دولتهم، وأزالوا إفسـادهم.

مع الطبرى فى الإفسادين

نختار الإمـام الطبرى ـ إمام المؤرخين ـ لنعـرف خلاصة رأيـه فى الإفسـادين، باعتباره رائد «المنهج الجامع» فى التفسير، فقد جمع فى تفسيره معظم أقوال علماء التأويل.

أورد الطبرى أقوالاً عديدة مختلفـة حول الإفسـادين، وسجل تفصيلات كثيرة لما جـرى لبنى إسرائيـل على أيـدى أعـدائهم، هـذ السرد والتفصيـل منقـول عن الإسرائيليـات ، ممـا يجعلنا نتـوقف فيـه فـلا نأخـذه ولا نعتمده ولا نقـول بـه وخلاصة ما قاله فى الإفسـادين:

١ ـ **أن إفسـادهم الأول** : كان بقتلهم نبى اللـه زكريا عليه السـلام وأن الذى سلطه الله عليهم هو بختنصر ملك بابل.

٢ ـ وأن إفسادهم الثانى : كان بقتلهم ابنه نبى اللـه يحيى عليه السلام وأن الذى سلطه الله عليهم هو خردوس ملك بابل.

وأنهم عادوا بعد ذلك لـلإفساد ثلاث مرات، فسلط اللـه عليهم فى كل مرة ملكًا من ملوك بابل.

ولا نريـد أن «نشغل» القارئ بسرد التفصيلات المستمـدة من الإسرائيليات، كما أننا لا نـريد أن «نضيع» وقته بـذكر الأقـوال المختلفة والمتناقضــة فى تحديد الإفسادين.

إنما نريـد أن نطرح هذه الأســئلة، التى نحاول أن توضح لنـا الموضوع : هل بختنصر المتهم بإزالة إفسادهم الأول من عباد الله الصالحين؟

وأى ملك من ملوكهم قضـى عليه؟ هل هو سليمان ؟ أو أحد أولاده ؟ وهل حكم سليمان عليه الســلام لهم علو وفســاد وإفساد؟.. ثم هل سجـل التاريخ معـركة واحدة تغلب فيها اليهـود على البابليين؟ وهل عاد البابليون ـ العـراقيون ـ لتدمير اليهود فى فلسطين مـرة ثانية؟ وأى مسجد دخلـوه فى فلسطين؟ وما معنى ﴿فإذا جاء وعـد الآخرة جئنـا بكم لفيفا﴾؟ وهل جــاء اللـه بكل اليهـود إلى فلسطين وقضـى عليهم البابليون العراقيون؟ وهل جـرى كل هذا قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم؟

فهم معاصر للإفسادين

نجيـزُ لأنفسنـا أن نخـالف جمهـور العلماء والمفسرين من الســابقين، فى فهم وتفسـير هذه الآيات، وفى تحديـد إفسادى بنى إسرائيل، وليست أقوال الطبرى أو غيره من علماء التفسير ملزمة لنا، مادامت اجتهادات فى فهم الآيات، واعتمدت على الإسرائيليات التى نـرفضها، وعلى روايات تـاريخية لم تثبت تاريخيـاً ولا علميًا،

ولم يعتمد الطبرى ولا العلماء السابقون على حديث واحد صحيح ملزم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فى تحديد الإفسادين.

إننا نخالف جمهور علماء التفسير السابقين، مع إجلالنا لهم، واحترامنا وتقديرنالعلمهم.

ولعله من العذر الذى نعتذر به عنهم، أنهم كانوا يعيشون فى زمن ، كان الحكم والسيطرة والسلطان للإسلام والمسلمين، وكان المسلمون أقوياء يحكمون الناس، وكان اليهود فى ذلك الوقت أذلاء مستضعفين، وكانوا أفراداً قلائل ضائعين وسط الوجود الإسلامى الكبير، وكانوا خاضعين خضوعًا كاملاً للمسلمين.

لذلك ما كان أحد من أولئك العلماء السعداء ، الذين سعدوا بالحياة فى ظلال حكم الإسلام، وقوة وعزة المسلمين، ما كان يتوقع أو يتخيل أن يصبح هؤلاء اليهود الذين يراهم أمامه على ذلك الضعف والتشتت والهوان، وأن يصبحوا أصحاب دولة وسلطان، وأن يهزموا المسلمين وأن يأخذوا منهم فلسطين، ولذلك ذهب هؤلاء العلماء إلى أن إفسادى اليهود قد وقعا قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم.

لذلك لابد من إعادة النظر فى فهم نصوص الآيات التى تتحدث عن إفسادى بنى إسرائيل، ولابد من إعادة فهم أحداث التاريخ، على ضوء كلمات الآيات، ولابد من القول بما توحى به هذه الآيات والأحداث التاريخية، ومن ثم لابد من تقديم «فهم» وتفسير جديد معاصر للآيات، قائم على تلك الآيات ومستمد منها، مستصحب الأحداث التاريخية السابقة المتفقة مع الآيات ، ونلاحظ «الحالة» الحاضرة لليهود والمسلمين وللأمم والدول، فى هذا العالم المعاصر!

ولا مانع أن نخالف فى هذا «الفهم المعاصر» تفسير وفهم ورأى واختيار العلماء

السابقين ـــ مع إجلالنا واحترامنا وتقديرنا لهم ـــ طالما أنه اجتهاد فى فهم آيات الإسراء، لا يعتمد على أحاديث صحيحة.

وأعترف بأننى لست «أول» من قال ويقول بهذا الفهم المعاصر للإفسادين، فقد سبقنى إليه علماء ومفكرون وكاتبون ومتكلمون معاصرون، أنا متابع لهم، وإن كان لى من جهد، فهو التفصيل والتحديد والبيان، وتقديم مزيد من الحجج والأدلة والبراهين، واستنباطها من آيات سورة الإسراء نفسها، وتقديم تفسير لهذه الآيات على هذا الأساس.

إخبار الله لليهود فى التوراة

قال الله تعالى عن إفسادى بنى إسرائيل: ﴿ **وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب، لتفسدن فى الأرض مرتين، ولتعلن علواً كبيراً** ﴾.

«قضينا»: أى أعلمنا وأخبرنا بنى إسرائيل.

«فى الكتاب»: أى فى التوراة، باعتبارها كتاب الله إلى بنى إسرائيل.

لقد أخبر الله بنى إسرائيل فى التوراة على لسان نبيهم موسى عليه السلام، أنهم سيفسدون فى المستقبل من تاريخهم «إفسادات» كثيرة، وسيعلون علوات كثيرة. وأشهر إفساداتهم وعلواتهم اثنان، يتجلى فيهما الإفساد اليهودى على أظهر صوره، ويظهر فيهما العلو اليهودى بأظهر معانيه وحالاته، وكل إفساد وعلو منهما يتناسب مع مستوى العصر والزمان الذى يقع فيه، من حيث مظاهره وألوانه وصوره ومجالاته وعمومه، ولا ننسى هذه الملاحظة، فسوف تساعدنا فى تحديد الإفسادين.

ونظراً لأهمية هذين الإفسادين، وما فيهما من علو كبير لليهود، وأثرهما فى تحديد مستقبل اليهود، فقد وضع الله لهم فى التوراة تفصيلات لكل منهما، من حيث قوة وسلطان اليهود فيهما، ومن حيث صفات وملامح الذين يقضون عليهم فيهما.

وآيات سورة الإسراء تخبرنا نحن المسلمين، بما أعلم الله وأخبر به اليهود قبل مئات السنين، فى التوراة ، عن هذين الإفسادين.

إن اليهود يعرفون عن إفسادهم قبل أن نعرف نحن، لأن الله قد أخبرهم بذلك قبل أن يخبرنا، أخبرهم فى التوراة قبل أن يخبرنا فى القرآن.

اليهود يسيرون نحو حتفهم

والعجيب أن اليهود ساروا ويسيرون نحو تحقيق ما أخبرهم الله به، وينفذون هذين الإفسادين ـ وغيرهما من إفساداتهم – وفق ما علمه الله منهم، ووفق ما أعلمهم أنهم سيفعلونه.

إنهم يتحركون وفق الإفساد والعلو الكبير، ويسيرون بهمة ونشاط نحو المزيد من الإفساد، والتمكن من العلو الكبير، ويعلمون ما يعقب ذلك من هزيمتهم وإزالتهم ، وإهلاكهم والقضاء عليهم، يعلمون هذه النهاية البائسة لحكمهم وسلطانهم وإفسادهم وعلوهم، ومع ذلك لا يعملون على عدم المسير إليها، ولا يحاولون تجنبها، ولكنهم يسرعون السير إليها بخطاهم، ومؤامراتهم ومكائدهم ومخططاتهم، وسبحان الله رب العالمين.

الإفساد والعلو ملازمان لحكم اليهود

والذى ندعو إلى النظر إليه بإمعان ودقة فى الآية «لتفسدن فى الأرض مرتين، ولتعلن علواً كبيراً»، حيث يقدم لنا هذا النص القرآنى الكاشف طبيعة وسمة وصفة الحكم اليهودى.

إن أهم ما توصف به الفترة التى يتحكم ويحكم فيها اليهود، أنها تقوم على الإفساد والعلو، فحكمهم حكم إفساد وعلو.

حكمهم يقوم على الإفساد، لأنهم فاسدون أولاً، ومفسدون ثانيًا . ومعلوم أن

كل فاسد فهو مفسد بالضرورة، وأن كل مفسد للآخرين فهو فاسد فى نفسه قبل إفساد الآخرين.

إن الفساد والإفساد ملازمان لليهود فى تاريخهم كله، وقد أخبرنا الله بذلك عنهم، فقال: ﴿ **كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله، ويسعون فى الأرض فساداً، والله لا يحب المفسدين** ﴾ (المائدة: ٦٤).

والإفساد اليهودى الناتج عن حكمهم يكون شاملاً لكل الجوانب، متغلغلاً فى كل المجالات، وهو إفساد للعقيدة والدين ، والخلق والمال ، والحكم والسلطان ، والفكر والسلوك، والسياسة والاجتماع ، والفن والتعليم .وبإلقاء نظرة على الإفساد اليهودى لهذه المجالات فى العالم المعاصر ، نخرج بهذه النتيجة القرآنية .

وحكم اليهود يقوم على : «العلو» والعلو هو : التكبر والاستكبار والانتفاش والتيه، والتبختر والجبروت، العلو اليهودى يعنى استعباد الآخرين وإخضاعهم لليهود ، وإذلالهم أمامهم ، والقضاء على وجودهم وأموالهم، وأخلاقهم وإيمانهم وأعراضهم، وسحقهم أمام اليهود ، وتحويلهم من بشر إلى حيوانات فى صورة بشرية، ليخدموا اليهود، وإلا فما هم بشر ، لأنهم خلقوا من منى الحصان ، كما يقول تلمود يهود!!

وبإلقاء نظرة على «العلو والاستكبار» اليهودى لدول العالم وحكوماته وشعوبه وزعمائه ، فى هذا العصر الحاضر، نخرج بهذه القناعة القرآنية.

إن اليهود يتعالون ويتكبرون على الشعوب الأخرى ، لأنهم معقدون ناقصون مشوهون، مطعونون فى نفسياتهم وشخصياتهم ، لأنه لا يتكبر إلا ناقص ، ولا يتعالى إلا مشوه.

فترة حكم اليهود تقوم على الإفساد والعلو، والمرتان اللتان يتحكم فيهما اليهود أكثر من غيرهما، تقومان على الإفساد العام والعلو الكبير.

طبعا يجب أن نستثنى الفترة التى حكم فيها اليهود أنبياؤهم ورسلهم، مثل

فترة حكم موسى وهارون وداود وسليمان، وغيرهم عليهم الصلاة والسلام، فهى فترة إسلامية إيمانية ، مشرقة مضيئة فى الليل التاريخى اليهودى البهيم!!

وهذه الصفة والسمة لحكم اليهود: الإفساد والعلو، تدلنا على أنه حكم وتحكم قصير، لزمن محدد قصير، لأنه لن يطول حكم يقوم على ذلك ، وفق السنة الربانية القاطعة: **﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً فى الأرض ولا فساداً، و العاقبة للمتقين﴾** (سورة القصص : ٨٣)

إفساد اليهود الأول فى المدينة

أخبر الله اليهود فى كتابهم التوراة أنهم سيفسدون فى الأرض مرتين، وسيعلون علواً كبيراً ، وبين لهم مواصفات وسمات الذين يزيلون إفسادهم فى كلتى المرتين:

قال تعالى **﴿ وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب ، لتفسدن فى الأرض مرتين، ولتعلن علواً كبيراً ، فإذا جاء وعد أولاهما، بعثنا عليكم عباداً لنا ، أولى بأس شديد، فجاسوا خلال الديار ، وكان وعدا مفعولاً﴾** (سورة الإسراء ٤ – ٥).

معنى القضاء فى القرآن

نقف لحظة مع قوله تعالى : **﴿ وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب﴾** القضاء هنا بمعنى : الإعلام والإخبار، أى أخبرنا بنى إسرائيل ، وأعلمناهم بما سيفعلونه فى مستقبل تاريخهم.

وقد أخبرهم بالإفسادين فى كتابهم، فالمراد بقوله « فى الكتاب» فى التوارة، لأن التوراة كتاب من كتب الله، وقد أنزلها الله على موسى عليه السلام لتكون نوراً وهدى لبنى إسرائيل، لكنهم طمسوا نورها، وعطلوا هداها فيما بعد، لما حرفوها وأضافوا لها كلامهم وأكاذيبهم.

لقد أخبر اللـه اليهود فى التـوراة وعلى لسان نبيهم مـوسى عليه السـلام، أنه سيقع منهم إفسـاد فى الأرض، وسيتعاملـون مع الآخرين بـالعلو والاستكبـار ، وسيكون هذا الفساد بارزاً واضحا فى «مرتين» ، أثناء تاريخهم الطويل.

والقضاء فى القرآن قد يكون بمعنى الأمر، وقد يكون بمعنى الحكم، وقد يكون بمعنى الإعـلام والإخبار، والـذى يحدد المعنى هـو السياق الـذى فيه اللفظ ومـا تعدى به اللفظ إلى ما بعده.

فمن ورود القضاء بمعنى الأمر قوله تعالى : ﴿ **وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانًا** ﴾ (الإسراء: ٢٣) والمعنى : قضى ربك عبـادته وأمـر بها، ومن ورود القضاء بمعنى الحكم، قـوله تعالى :﴿ **والله يقضى بالحق، والذين يدعون من دونه لا يقضون بشىء** ﴾ (غافر : ٢٠) أى الله يحكم بالحق ، وغيره من الشركاء لا يحكمون بشىء، ونلاحظ تعدية الفعل يقضى بالباء.

ومن ورود القضـاء بمعنـى الإيجاد: قـولـه تعـالى عن السمـوات والأرض: ﴿**فقضـاهـن سـبع سمـوات فى يومـين، وأوحى فى كـل سـماء أمرهـا**﴾ (فصلت :١٢) ونلاحظ أن الفعل هنا تعدى إلى المفعول به «هن» مباشرة.

ومن ورود القضاء بمعنى الحكم على الإنسان مباشرة، فيما لا بد له منه، قوله تعالى: ﴿**الله يتوفى الأنفس حين موتها، والتى لم تمت فى منامها، فيمسك التى قضى عليها الموت، ويـرسل الأخرى إلى أجل مسمى**﴾ (الزمـر : ٤٢) ونلاحظ تعدية «قضى» بحرف الجر «على» .

ومن ورود القضاء بمعنى الإخبار والإعلام:

١ ـ إخبار لوط عليه السلام بحكم الله بإهلاك قومه الشاذين، ﴿ **وقضينا إليه ذلك الأمر، أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين**﴾ (الحجر : ٦٦).

٢ ـ إخبار مـوسى عليه السلام بالنبـوة، وإعلامه بذلك وهـو عند جبل الطور

﴿وما كنت بجانب الغربى إذ قضينا إلى موسى الأمر، وما كنت من الشاهدين﴾ (القصص: ٤٤)

ونلاحظ أن الفعل فى الآيات الثلاث تعدى بحرف الجر «إلى» .

وأدعو القارىء إلى ملاحظة الفرق فى الصياغة وفى المعنى بين «قضاهن» و«قضى إلى موسى» ، ليقف على نموذج لبلاغة القرآن وأسلوبه المعجز، وليتذوق ذلك تمهيداً للبحث عن نماذج أخرى، وما أكثرها فى القرآن.

أين إفساد اليهود الأول؟

﴿وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين، ولتعلن علواً كبيراً.. فإذا جاء وعد أولاهما..﴾.

هل كان إفسادهم الأول فى الأرض المقدسة فلسطين؟ وعلى يد من كان إفسادهم فى فلسطين؟ وما هى مظاهر إفسادهم فى فلسطين؟

هل كان على عهد نبى الله موسى عليه السلام؟ وعهد موسى وقيادته لهم ليست إفساداً، وموسى عليه السلام مات قبل دخولهم فلسطين!

هل كان على عهد خليفة موسى بعد وفاته ، وهو فتاه المذكور فى سورة الكهف وهو «يوشع بن نون» كما بين ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيما رواه عنه البخارى فى صحيحه، و«يوشع بن نون» فى حكمه وقيادته لهم قام بنفس دور «أبى بكر الصديق» عندنا، رضى الله عنه، وعهد يوشع ليس إفساداً ولا علواً، ودعك من خرافات وإسرائيليات اليهود حول قيادته وحروبه .

هل كان إفسادهم الأول على عهد ملكهم الصالح طالوت؟ الذى ذكرت سورة البقرة مشهداً من قصته، وطالوت رجل صالح مجاهد فى سبيل الله، وحكمه ليس إفساداً ولا علواً.

هل كان إفسادهم الأول على عهد النبيين الكريمين والملكين العادلين: داود وابنه سليمان ـ عليهما الصلاة والسلام ـ وهى الفترة المنيرة المشرقة التى حكم فيها بنو إسرائيل فى الأرض المقدسة حكماً إسلاميًا ربانيًا راشداً؟

ثم ماذا جرى لليهود بعد حكم سليمان عليه السلام ؟ هل كان لهم سلطان؟ وهل مارسوا فيه الفساد والعلو الكبير؟ لقد هزموا وشردوا فى الأرض ، وسيقوا أسرى وسبايا إلى بابل، فأين العلو الكبير فى هذا؟

نرى أن إفسادهم الأول المقرون بالعلو الكبير، لم يكن أثناء وجودهم فى الأرض المقدسة، فلسطين، والله أعلم.

إفسادهم الأول فى المدينة

نرى ـ والله أعلم ـ أن إفساد اليهود الأول المقرون بالعلو الكبير، كان فى بلاد الحجاز، قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ، وبعد البعثة.

لقد أتت قبائل من اليهود من « الأرض المقدسة» إلى بلاد الحجاز، وإلى المدينة وما حولها بالتحديد، وكانوا هاربين من الاضطهاد اليونانى والرومانى، الذى صب عليهم فى بلاد الشام، وكان مجيئهم قبل قرون من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم.

ووجد اليهود أمامهم فى منطقة «يثرب» قبائل عربية، تعيش حياة بدائية ساذجة متخلفة، مثل الأوس والخزرج.

وصار اليهود القادمون المستوطنون، يتعاملون مع العرب المقيمين فى يثرب وخيبر وفدك وتيماء ووادى القرى بتعال وتكبر و«تعالم» : أليسوا أهل كتاب؟ أليسوا علماء كاتبين؟ أليسوا أبناء الله وأحباءه؟ ومن هم الذين أمامهم ؟ إنهم عرب وثنيون، يعبدون الأوثان والأصنام، إنهم أميون وجاهلون ، إنهم متخلفون

ساذجون، إنهم بدائيون ، إنهم نـاقصون فى إنسانيتهم ، لأنه لا يجرى فى عروقهم الدم اليهودى النقى، ولم يخلقوا من «النطفة» اليهودية النظيفة!!

نظر اليهود للعـرب فى الحجاز بهذا المنظار العنصرى المتعالى، وتعـاملوا معهم بهذا التعالم والتفاصح والاستكبار!

والعجب أنهم وجدوا من أولئك العرب الجاهلين رضا وقبولاً: كانوا «مبهورين معجبين» بما عند اليهـود من علم ومعرفـة وثقافـة، وكانـوا راضـين بهذا التفوق اليهودى عليهم، «قـابلين» نفسيا بالتبعيـة لهم، مستعدين نفسيًـا للخضوع لهم. و«تفنن» اليهود فى التحكم بـالعرب من حولهم، واستخدموا كـل ما أوحت لهم به عقليتهم اليهودية الشيطانية، من وسائل وأساليب ، للتمكن من العرب، واستمرار إخضاعهم لهم، ونشر الفساد بينهم،.وامتصاص خيراتهم ومواردهم .

هذا هـو الوضع الذى كان عليـه العرب فى منطقة المدينة، قبل ظهـور الإسلام، وهذه هى الصلة التى كانت بينهم وبين اليهود.

ولذلك قلنـا هذا هو الإفساد الأول الـذى قام به اليهود فى منطقـة المدينة، وهو مقرون بالعلو الكبير كما حددت الآية.

ومعلوم أن اليهود وقتها كانوا كافرين، لأن هذا حصل بعد بعثة عيسـى ـ عليه السـلام ـ وبعدما أمرهم الله أن يؤمنوا به ويتبعوه ، ولكنهم كفروا به.

لقد حكموا العرب فى المدينة وما حولها قبل الهجرة ، وكان حكمهم حكماً كافراً ناشراً للفساد ، متصفًا بالعلو الكبير، ولم يكن هذا فى حكمهم فى الأرض المقدسة فى عهد داود وسليمان عليهما السلام.

مظاهر فسادهم وإفسادهم فى المدينة

عندما نتدبـر الآية التى تحدثت عن إفسادهم الأول، ونطبقها على فترة حكمهم فى المدينة، فسنجدها تنطبق عليهم تماماً:

كان فسادهم عقيديًا ، فكانوا يزعمون أنهم أبناء الله وأحباؤه ، وأن الجنة مقصورة عليهم، وأن عزيراً ابن الله ، وغير ذلك.

كان فسادهم أخلاقيا، فكانوا يعملون على إفساد أخلاق العرب من حولهم ، وكان فسادهم اجتماعيًا، حيث عملوا على تفكيك وإضعاف صلات العرب الاجتماعية.

وكان فسادهم علميا، حيث روجوا لإسرائيلياتهم هم، ونشروها بين العرب، وهى لا تعدو كونها خرافات وأكاذيب وأساطير.

وكان فسادهم سياسيًا، حيث أفسدوا حياة القبائل العربية السياسية –إذا صح التعبير– ونشروا بينهم الخلاف والنزاع والفرقة، وحرصوا على ربط هذه القبائل بهم فى صورة أحلاف، حيث كانت كل قبيلة عربية متحالفة ومرتبطة بقبيلة يهودية.

لقد أفسد اليهود كل مظاهر ومرافق ومجالات الحياة العربية، فى منطقة المدينة قبل الإسلام، وتحكموا فى المال والاقتصاد عند العرب، ويكفى أن نعلم أن سوق الذهب فى المدينة كان بيد اليهود، وأن «السوق الكبيرة» للتجارة والبيع والشراء كانت بيدهم، وأن المال كان بيدهم، وأنهم أرهقوا العرب بالقروض الربوية الباهظة.

إفسادهم فى المدينة بعد البعثة

كان اليهود يبشرون العرب فى المدينة بقرب ظهور النبى، وكانوا يهددونهم بأنهم سيتبعونه، ويقتلون العرب معه، ولهذا لما التقى قوم من الأوس والخزرج مع الرسول صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة، قال بعضهم: هذا والله هو النبى الذى أخبركم به يهود، فلا يسبقونكم إليه! وعلى هذا قوله تعالى:

﴿ ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم، وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين ﴾ (البقرة : ٨٩).

ولما ظهر الإسلام كانوا أشد الناس حربًا له، ولما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم، كانوا أكثر الناس عداوة له.

وهذا من أظهر وأوضح مظاهر إفسادهم الكبير لما كانوا فى المدينة وما حولها، وكانت معاداتهم للرسول عليه السلام منذ ليلة مولده، وقبل بعثته، وبعد نبوته، وقبل الهجرة، وبعد الهجرة.

نتدبر معا هذه الأخبار المذكورة فى كتب السيرة

أولاً : تروى كتب السيرة ، أنه فى الليلة التى ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان هناك يهودى فى مكة، قادمًا من المدينة، فقال لعبدالمطلب: لقد ولد لكم الليلة مولود: قال: نعم . قال أرنى أنظر إليه، فحمل اليهودى الغلام محمدا ـ عليه الصلاة والسلام ـ وكشف عن كتفه الأيسر، ورأى خاتم النبوة، فلما رأى ذلك أغمى عليه وسط دهشة الحاضرين، ولما أفاق قال لعبد المطلب : لقد نزع الله الملك من بنى إسرائيل، وأعطاه لكم يا بنى إسماعيل!!

ثانيًا : تروى حليمة السعدية، أنها كانت تسير مع الغلام محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو رضيع عندها فى مكة، فقابلها رجلان من اليهود وسألاها: من والد هذا الغلام الذى معها، فألهمها الله أن تقول : ها هو أبوه، وأشارت إلى زوجها ، فقالا لها : نحن نبحث عن غلام يتيم ! فلماذا يبحثان عنه؟ أليس من أجل اغتياله؟

ثالثًا: لما ذهب أبو طالب فى تجارة للشام، وأخذ معه محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكان فتى صغيرا، قابل أبو طالب الراهب «بحيرى» فى بلاد الشام، وبعد

حوار معـه ومع الفتى محمد، قال بحيرى لأبى طـالب : سيكون لابن أخيك شأن، فعد به إلى مكة، واحذر عليه يهود، فإذا عرفوا عنه ما عرفت سيقتلونه!!

رابعاً: بعد النبوة واحتـدام الصراع النظرى بين الرسـول صلى اللـه عليه وسلم وبين قريش فى مكـة، استعانت قريش باليهـود فى حربه ، وطلب اليهود أن تـوجه للرسول عليه الصلاة والسلام ثلاثة أسئلة حرجة ، لا يعلمها إلا نبى : عن الروح، وأهل الكهف، وذى القرنين.

خامساً : ما قـام به اليهود بعد الهجـرة، من محاولات عديدة لاغتيـال رسـول اللـه صلى الله عليـه وسلم، كما فعلَ يهود بنى النضير به، عنـدما حـاولوا إلقـاء صخرة على رأسه ، وعندما دست له اليهودية السم فى الشاة، يوم غزوة خيبر.

سادساً: ما فعله حيى بن أخطب ملك اليهود، عنـدما حزّبَ الأحزابَ من قريش والقبائل العـربية، وحلف لهم أنهم — وهم المشركون — أقرب إلى اللـه من محمد، ودينهم أحب إلى اللـه من دين محمـد — صلى اللـه عليـه وسلم — وجـاء بهؤلاء الأحزاب إلى المدينة ، ليقضوا على الرسول والمسلمين فى غزوة الأحزاب، فهل هناك فساد أكبر من هذا الفساد؟ وهل هناك علو أكبر من هذا العلو؟

إذن : لقد كان إفساد اليهود الأول المقرون بـالعلو الكبير، فى المدينة وما حولها، من خيبر وفدك وتيماء ، كما يبدو لنا ، والله أعلم.

الرسول وأصحابه أزالوا إفسادهم الأول

قال تعالى: ﴿ **وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين، ولتعلن علواً كبيراً ، فإذا جاء وعد أولاهما بعثنـا عليكم عباداً لنا، أولى بأس شديد ، فجاسوا خلال الديار، وكان وعدا مفعولا** ﴾.

وقفتنا مع هـذه الآية الثانيـة، التى تتحدث عن صفـات الذين يزيلـون إفساد

اليهـود الأول ، لتسجيل الأدلة منهـا ، على أنهم الـرسـول صـلى الله عليـه وسلم وأصحابه.

فإذا جاء وعد أولاهما..

عبرت الآيـة عن الإفسـاد الأول بأداة «إذا»، و«إذا» هـى: ظـرف لما يستقبل من الزمان، خـافض لشرطه، منصوب بجـوابه ـ كما يقول علماء النحـو ـ أى : بعثنا عليكم عباداً لنا، وقت مجىء وعد أولاهما.

وأولاهما : مفرد المراد به المرة الأولى من المرتين المذكورتين قبل، ﴿**لتفسدن فى الأرض مرتين**﴾ فإذا جاء وقت المرة الأولى بعثنا عليكم عباداً لنا.

إن هذه العبـارة ﴿**فإذا جـاء وعد أولاهما**﴾ تـوحى لنـا أن مجىء وعد اللـه بالقضاء على الإفسـادين، يكون بعد نزول آيـات سورة الإسراء، التى تحدثت عن الإفسادين، وعن إزالتهما، كلامًـا نظريًا، وهذا الكلام النظرى وعـد قرآنى، وهذا الوعـد لا بد أن يتحقـق فعلا فى الـواقع، لأن ما وعـد الله بـه فى القرآن فـلا بد أن يتحقق، فلا خُلف فى مـوعود الله، لأن اللـه لا يخلف الميعاد . لقد وعد اللـه فى آيات سورة الإسراء بإزالـة إفسادين يهوديين، فمتى يتحقـق هذا الوعـد؟ ومتى يأتى الرجال الـربانيون الذين يـزيلون الإفساد الأول والإفساد الثـانى؟ هل يأتون فى الزمان قبل وقوع الإفساد الأول والإفساد الثانى؟ هل يأتون فى الزمان قبل نزول الآيات التى تحدثت عن مجيئهم وبينت صفاتهم؟ أم بعد نزولها؟

إنهم يأتون بعـد نزولها، فيكون مجيئهم تطبيقًـا عمليًا لها، تصديقًـا وتحقيقًا لموعودها.

وبما أن الآيات مكية، فلابد أن يكون مجىء هـؤلاء الرجال فيما بعد، وهذا ما قام به الرسول صلى الله عليه وسلم فى المدينة، ولهذا قالت الآية: ﴿**فإذا جاء وعد أولاهما**﴾.

تقرر الآية أن الرجال الذين يقضون على الإفساد الأول مبعوثون ، يبعثهم الله بعثًا على اليهود، وعلى إفساد اليهود.

إن فاعل «بعثنا» هو ضمير «نا» وهو يعود إلى الله، أى أن الله هو الذى يبعثهم ، وإسناد الفعل إلى الله، إسناد حقيقى، لأن الله هو المقدر والمريد، لكل ما يحدث فى الحياة ، وهو المسبب لكل حركة أو فعل أو تصرف.

فالله شاء حدوث الإفساد الأول لليهود، والله الذى قدر ذلك، والله الذى أملى لهم فقاموا بذلك،ثم الله هو الذى أراد تدمير وإزالة ذلك الإفساد، فلما حان وقت تحقيق إرادة الله، وجاء وعد أولاهما، بعث الله الصحابة بعثًا، فأزالوا ذلك الإفساد.

إن التعبير بالبعث للصحابة مقصود ومراد ، فالله بعث الصحابة بعثا من العدم : فماذا كان الصحابة قبل إسلامهم؟

وكيف كان وضع العرب قبل إسلامهم ؟ وكم كانوا يساوون عند الأمم الأخرى، كالفرس والروم قبل إسلامهم؟ وكيف كانت حالة بلادهم قبل إسلامهم؟ وكيف كانت صلتهم باليهود فى المدينة وما حولها قبل إسلامهم؟ الجواب معروف لكل دارس لأحوال العرب قبل الإسلام، متتبع لتاريخهم!

ثم ما النقلة البعيدة التى نقل الإسلام العرب إليها؟ كيف صارت حياتهم؟ كيف تغيرت صلتهم باليهود؟ ،وتبودلت الأدوار؟ فاليهود زعماء الأمس صاروا أتباعا أذلاء، والعرب أذلاء الأمس صاروا هم السادة والرؤساء بالإسلام!

هذه المعانى كلها تحملها كلمة «بعثنا» بما تقرره من إيحاءات ، وتلقيه من ظلال وإشارات.

وبعث الله الرسول والصحابة على اليهود «عليكم»، ووجه قوة وبأس الصحابة لتصب على رؤوس اليهود.

وتلقى لنا كلمة «بعثنا» معنى آخر، وهو أن مجىء هؤلاء الربانيين، المبعوثين على اليهود، لم يكن «متوقعًا» من القوى الدولية ذلك الزمان، إذ لم يحسب أحد لهم حسابًا، ولم يتوقع لهم قوة ولا رسالة ، لا اليهود ، ولا الرومان ، ولا الفرس ، ثم بعث الله الصحابة بعثًا، فأزالوا إفساد اليهود، وورثوا قوة اليهود الصغيرة فى المدينة، وقوة فارس والروم الكبيرة فى العالم .

«عباداً لنا...»

نفهم من هذه الجملة «عباداً لنا» أنها لا تنطبق إلا على الصحابة، لأن الله سماهم «عباداً» وأضافهم إليه «لنا».

إن كلمة ، «عباد» لا تنطبق على «الكافرين» السابقين، الذين نسب لهم بعض المؤرخين المسلمين إزالة الإفسادين اليهوديين مثل بختنصر وغيره، وقد ناقشنا هؤلاء فيما سبق.

لقد فرق القرآن بين كلمتين : عباد وعبيد لأنه لا ترادف فى كلمات القرآن.

كلمة عبيد فى القرآن مذكورة خمس مرات ، وهى فى المرات الخمس يراد بها الكفار، ومعظمها بصيغة: **﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾** أى : إن الله عادل مع الكفار، فى حسابه لهم يوم القيامة، فيدخلهم النار بعدله ، ولا يظلمهم فى ذلك.

و«عبيد» بالياء وهذه «الياء» المنبطحة، توحى بالذلة الملازمة للكافر، التى لا تفارقه، لا فى الدنيا ولا فى الآخرة.

أما «عباد » فهى مذكورة فى القرآن خمسًا وتسعين مرة، وهى فى غالب هذه المرات يراد بها المؤمنون الصالحون ـ أكثر من تسعين مرة ـ «وعباد» بالألف،

وهذه الألف المنتصبة توحى بالعزة والكرامة والاستعلاء ، وهى الحالة الدائمة التى لا تفارق المسلم.

على ضوء هذا البيان ، نرى أن كلمة «عباداً لنا» يراد بها الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام، الذين أزالوا إفساد اليهود الأول فى المدينة.

وأن إضافتهم إلى الله «عباداً لنا» إضافة تكريم وتشريف ، استحقوها بإخلاص عبادتهم لله، وتحقيق عبوديتهم له، وهذا الشرف لا يستحقه الكفار السابقون مثل بختنصر.

إن «عباداً» لابد أن نربطها مع قول الله عن محمد عليه السلام «أسرى بعبده» ومع قول الله عن نوح عليه السلام ﴿إنه كان عبداً شكوراً﴾، حيث تلتقى العبودية فى المواضع الثلاثة لتدل على العبودية الاختيارية التكليفية التى ينالها الأنبياء وأتباعهم، بصدق وإخلاص والتزام!

«أولى بأس شديد...»

هؤلاء العباد الربانيون كانوا ﴿أولى بأس شديد﴾.. أى اتصفوا بالقوة العظيمة، والبأس الشديد، ووجهوا قوتهم لليهود ليقضوا على قوتهم، ووجهوا بأسهم الشديد نحو إفساد اليهود وكيانهم فى المدينة فأزالوه.

لقد واجه الصحابة اليهود ببأسهم وقوتهم فهزموهم، ولا يقف اليهود أمام المؤمنين الأقوياء، ولا يصمدون أمام المؤمنين ، أولى البأس الشديد.

كان الصحابة أقوياء أولى بأس شديد، فى صراعهم مع اليهود وقتالهم لهم، وكانت قوة الصحابة وبأسهم فى مواجهة اليهود فى جانبين : جانب مادى، تمثل فى شدة قتالهم لليهود، وجانب معنوى ، تمثل فى شدة مواجهتهم وتحديهم لليهود، وإذلالهم لهم.

يمثل الجانب الأول البطولات العظيمة التى قدمها الصحابة ، وهم يحاصرون بنى قينقاع ، وبنى النضير ، وهم يقتلون يهود بنى قريظة ، وهم يقاتلون اليهود فى خيبر ويخرجونهم منها، ففى غزوة خيبر، أعطى الرسول صلى الله عليه وسلم الراية لعلى بن أبى طالب ، ويقاتل على اليهود ، ويبارز زعيمهم «مرحب» ويقتله ، وتتكسر فى يده عدة أسياف ، ولا يجد ما يتترس به فى يده، فيقتلع باب الحصن الثقيل، ويحمله بيده ترسًا ويقاتل بالسيف بيده الأخرى، يصول ويجول كالأسد الهصور!!

ويمثل جانب القوة المعنوية، شدة الصحابة على اليهود، وعزتهم أمامهم، وحرصهم على إذلالهم، وما مواقف أبى بكر وعمر وعلى وعبادة بن الصامت وعبدالله بن رواحة وغيرهم عنا ببعيدة.

لقد حكم «سعد بن معاذ» على يهود بنى قريظة حكماً ربانيًا يمثل هذا الجانب ، ويترجم قوله «أولى بأس شديد» ترجمة عملية واقعية، حيث حكم بقتل رجالهم ، وسبى نسائهم وأطفالهم ،ومصادرة أموالهم، واستملاك بيوتهم وأراضيهم ، وأثنى الرسول صلى الله عليه وسلم على حكمه بقوله : لقد حكمت بحكم الله . فكيف يكون البأس الشديد إن لم يكن هكذا؟

«فجاسوا خلال الديار..»

هؤلاء الصحابة الربانيون جاسوا خلال ديار اليهود، وأزالوا إفسادهم الأول فى المدينة. وجاسوا من الجوس ، والجوس هو تخلل الشىء ، والتغلغل فيه.

أى أن الصحابة احتلوا ديار اليهود ، داسوها بأقدامهم ، وحطموا كيان اليهود عليها، ثم دخلوها وجاسوا خلالها، وتغلغلوا فيها ، أليس هذا ما فعله الصحابة بديار اليهود من بنى قينقاع ، وبنى النضير، وبنى قريظة ، ويهود خيبر، ويهود وادى القرى ، ويهود فدك وتيماء؟

لقد أزالـوا كيانـاتهم فى حياة رسـول الله صلى الله عليـه وسلم ، ثم أجلى أمير المؤمنين عمـر بن الخطاب رضى اللـه عنه بقـايـا اليهود من الجزيـرة العربيـة، وأخرجهم منها، لأن رسـول الله صلى الله عليه وسلم قال عن جـزيرة العرب: لا يجتمع فى جزيرة العرب دينان.

وقد أشـار القرآن إلى هـذ «الجوس» الإيمانى خلال ديـار اليهود، فقـال تعالى **﴿وأنزل الذين ظـاهروهم من أهل الكتاب من صيـاصيهم ، وقذف فى قلوبهم الرعب، فريقا تقتلون وتأسرون فريقا، وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم، وأرضًا لم تطئوها وكان الله على كل شىء قديراً﴾** (الأحزاب : ٢٦ – ٢٧)

لقد ضمن الله تحقيق وعده ببعث الصحابة على اليهود، لإزالة إفسادهم الأول فى المدينة بقوله :**﴿ وكان وعداً مفعولاً﴾**، وتحقق مـا وعد اللـه به فى هـذه الآية المكية، على أيدى الصحابة فى المدينة ، وبذلك قضوا على إفساد اليهود الأول.

نحن نعيش الإفساد الثانى لليهود

رجحنا أن إفسادى اليهود الأول والثانى بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم، وأن إفسادهم الأول كـان فى المدينة وما حـولها قبل الهجرة ، وأن الرسـول عليه الصلاة والسـلام وأصحابـه، هم الذين أزالوا إفسـادهم الأول . ونتكلم الآن عن إفساد اليهـود الثانـى ، الذى نعتقد أنـه يجرى فى هذا الـزمان، وأننـا نعيش ذلك الإفساد الثانى، وأننا نحن المسلمون مرشحون لإزالة ذلك الإفساد الثانى!

نضع أمام القارىء الكـريم الآيات التي تتحدث عن الإفساد الثـانى ، ثم ننظر إليها ونحللها ونستخرج بعض دلالاتها بعون الله.

قال تعـالى : **﴿ وقضينـا إلى بنى إسرائيل فى الكتـاب ، لتفسدن فى الأرض مرتين، ولتعلن علواً كبيراً . فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا، أولى**

بأس شديد ، فجاسوا خلال الديار ، وكان وعداً مفعولاً، ثم رددنا لكم الكرة عليهم، وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً ، إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم ، وإن أسأتم فلها ، فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم، وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة، وليتبروا ما علوا تتبيرا ، عسى ربكم أن يرحمكم ، وإن عدتم عدنا، وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً، إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم﴾ (سورة الإسراء ٤ –٩)

وعندما ننظر فى الآيات السابقة ، فإننا نرى الآية الرابعة من السورة تتحدث عن إعلام الله لليهود بالإفسادين، والآية الخامسة تتحدث عن الذين أزالوا إفسادهم الأول، والآية السادسة تتحدث عن مظهر قوة وتمكن اليهود فى إفسادهم الثانى، والآية السابعة تتحدث عن الذين يزيلون إفسادهم الثانى، وكيفية تحقق ذلك، والآية الثامنة تكشف لنا طبيعة اليهود فى الإساءة وعدم الإحسان ، واستمرار عقاب الله لهم، والآية التاسعة تبين لنا طبيعة القرآن الهادية، الذى وردت فيه هذه الحقائق عن إفساد اليهود.

الحرب فى الإفسادين بينهم وبين المسلمين

يكشف لنا سياق الآيات السابقة عن حقيقة هادية، وهى أن الحرب والمعركة فى الإفسادين ، بين اليهود من جهة ، وبين نفس الأمة من جهة أخرى، أى أن إفساد اليهود الأول كان موجهًا إلى أمة، وأن هذه الأمة هى التى تزيل ذلك الإفساد عندما تكون قوية ، وأن الأجيال القادمة من هذه الأمة تصاب بالضعف ، فيرد الله لليهود الكرة على الأمة نفسها بأجيالها اللاحقة، فيغلبونهم ويتمكنون منهم، ويصبون عليهم إفسادهم الثانى ، ثم تتقوى أجيال تالية من نفس تلك الأمة، فتتمكن من اليهود، وتزيل إفسادهم الثانى.

فإذا علمنا أن إفسادهم الأول كان فى المدينة، وأن المسلمين هم الذين قضوا على ذلك الإفساد، نعلم أن الكرة تعود لليهود فى الإفساد الثانى على الأجيال اللاحقة من المسلمين ، وهى الأجيال التى تعيش فى هذا الزمان : « ثم رددنا لكم الكرة عليهم».

« ثم رددنا لكم الكرة عليهم..»

ننظر فى هذه الجملة من الآية السادسة من السورة ، لنستخرج منها بعض الدلالات على ما نقول :

عبرت الآية عن الإفساد الثانى بحرف «ثم» ، وهو حرف يدل على التراخى، أى أن إفسادهم الثانى لا يعقب إفسادهم الأول مباشرة، وإنما هو متراخ متأخر عنه.

فإفسادهم الأول كان فى المدينة، وإفسادهم الثانى الآن، وبين الإفسادين فترة زمنية تقارب أربعة عشر قرنًا.

وهذا التراخى الزمنى مستفاد من حرف «ثم» ، لأن المعركة فى الإفسادين هى بين اليهود والمسلمين، فإذا كانت الأجيال الأولى للمسلمين قوية، بحيث تمكنت من إزالة إفسادهم الأول ، فإن خط انحدار المسلمين يحتاج إلى فترة زمنية، ينحدرون فيها ويضعفون ويذلون، فيتمكن اليهود منهم، ويمارسون عليهم إفسادهم الثانى.. هذه الفترة الزمنية أخذت أربعة عشر قرنا!!

وكل كلمة فى الجملة «ثم رددنا لكم الكرة عليهم» تدل على أن المعركة فى الإفسادين هى بين المسلمين واليهود.

فالرد فى : «رددنا » يعنى الإعادة ، أى أن الله هو الذى يمكن لليهود فى إفسادهم الثانى ، ويرد لهم القوة المؤقتة والسلطان المؤقت.

والرد هو لليهود : «لكم»

و«الكرة» هى المرة الثانية ، التى يمارسون فيها إفسادهم الثانى.

و«عليهم» : أى على الناس الـذين حاربوكم من قبل ، وأزالـوا إفسـادكم الأول، فالضمير فى «عليهم» يعود على المسلمين المقصوديـن فى الآية السابقة **﴿فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولى بأس شديد﴾**.

فاللـه رد الكَرَّة لليهـود على الأجيال الـلاحقة للمسلمين الأوائل ، الـذين أزالوا إفساد اليهـود الأول ، أى أننا نحن مسلمى هـذا الزمان المقصـودون بالضمير فى «عليهم».

ولم تكن لليهـود كـرَّة أخـرى على الأقوام السـابقين ، الـذى حـاربـوهم قبل الإسلام ، ودمروا كيانهم الماضى على أرض فلسطين ، هـل كان لليهود السابقين كرة أخرى على قوم بختنصر البابلى ؟ أو سنحاريب الأشورى؟أو تيطس اليونانى وهل حاربوا فى الماضى أولئك الأقوام؟ وهزموهم واحتلوا بلادهم؟

«وأمددناكم بأموال وبنين...»

تبين لنا الآيـة مظاهـر قوة اليهـود فى إفسادهم الثـانى ، فتقول :«وأمـددناكم بأموال وبنين».

فعل «أمـددنـاكم» يعنى أن اللـه بمشيئتـه وقـدره هو الـذى يمـد اليهـود فى إفســادهم الثانى بمظـاهر القــوة ، التى تتمـثل فى الأمـوال والبنين، وهو الـذى يسخـر الأقوام والـدول الأخرى ، لتقـديم الأموال والبنين لهم ، وإمـدادهم بتلك القــوة ، وذلـك ليتحقـــق قـدره سبحانـه ، فى تهيئـة المسلمين لإزالة إفســادهم الثانى.

ويوحى لنـا فعل «أمددنـاكم» بإيحاء آخر ، وهــو أن قوة اليهـود فى إفسادهم الثـانى ليست ذاتية أصيلـة ، أى أنها ليست نـابعة منهـم ، وناتجة عن جهـدهم وأصالتهم واكتفـائهم الذاتى ، وإنما هى قـوة خارجية مستـوردة ، مستمدة من

الآخرين ، ومعتمدة على مساعداتهم وإمداداتهم ، فاليهود يعتمدون على الدول والأمم الأخرى فى أموالهم وبنيهم.

وهذا الإمداد الخارجي ، فيه القضاء على اليهود فى إفسادهم الثانى ، ويوحى بالمستقبل المظلم الذى ينتظر كيانهم على أرض فلسطين ، لأن هذا الإمداد لن يستمر ، بل سيتوقف وينقطع ، وماذا سيفعل اليهود عن توقف هذه الإمدادات الخارجية؟

عندما تعتمد دولة على إمكاناتها ومواردها الذاتية تكون قوية ، وعندما تعتمد على الإمدادات والمعونات الخارجية تكون ضعيفة ، وقوتها الظاهرية الخادعة موقوتة ، مرهونة باستمرار تلك الإمدادات ، وزائلة عند توقفها وانقطاعها ، وما وضع الدول فى هذا العصر إلا تصديق واقعى لهذه الحقيقة ، حيث إن اقتصادها وموقفها وسياستها وقولها -بل ووجودها- رهن الإمدادات والمساعدات المالية والاقتصادية من الدول الكبرى الغنية.

إن الدول الكبرى التى تمد الكيان اليهودى الآن بالإمدادات المالية والبشرية ، سوف توقف هذه الإمدادات فى المستقبل ، عندما تصحو شعوبها ، وتدرك مقدار خسارتها الفادحة ، فى دعمها لليهود وإمدادها لهم .

وتبين لنا الآية أن الإمداد الخارجى لليهود يتم بوسيلتين عظيمتين ، وقناتين كبيرتين : الأولى إمداد بالأموال ، والثانية : إمداد بالبنين ، وهاتان الوسيلتان هما قاعدة القوة المادية لليهود فى هذا الزمان ، فالمال هو عصب الحياة الاقتصادية ، والاقتصاد ضرورى لأية دولة، وينتج عن المال والاقتصاد مظاهر الحياة المادية ، من صناعة وتقدم ودخل .

والبنون هم أساس استمرار الكيان ، فوجود الكيان المادى وقوته ، مرتبط باستمرار النمو السكانى وكثرة المواليد ، وزيادة عدد السكان.

قناتان تمدان اليهود

وهناك بُعد واقعي معاصر لقوله :﴿وأمددناكم بأموال وبنين ﴾، إذ إنه أبرز ما ينطبق على الكيان اليهودى ، القائم الآن على أرض فلسطين ، حيث تمكن اليهود من السيطرة على الدول الكبرى والصغرى ، وتسخيرها لهم ، وتحويل قنواتها لتصب فى كيانهم فى فلسطين.. إلا إننا نرى قناتين واسعتين غزيرتين ، تصبان بغزارة فى كيان اليهود:

القناة الأولى : القناة المادية ، المتمثلة فى المساعدات المالية من الدول الغربية، كأمريكا وألمانيا وفرنسا ، التى تقدم لليهود ، وأكثر هذه الأموال تأتى من أمريكا ، وتتمثل فى عشرات المليارات من الدولارات ، تقدمها أمريكا لليهود سنويا!!

ولولا هذه الإمدادات المالية لما تمكن الكيان اليهودى من الوقوف على قدميه فى فلسطين ، ونتخيل ماذا سيحدث لهذا الكيان ، عندما تغلق هذه القنوات المالية الأوربية والأمريكية ، وستغلق بإذن الله ليتحقق وعد الله ، الذى وعدنا إياه.

القناة الثانية : القناة البشرية ، المتمثلة فى البنين اليهود ، القادمين الى فلسطين ، إمدادا لليهود المقيمين فيها من قبل.. هؤلاء اليهود القادمون فى صورة مهاجرين عائدين إلى أرض الميعاد ، وقادمين من مختلف بلاد العالم ، مثل يهود الفلاشا القادمين من إثيوبيا ، وذلك السيل اليهودى البشرى القادم من روسيا والاتحاد السوفيتى ـ سابقًا ـ ودول أوربا الشرقية والغربية.

وستبقى هذه القناة البشرية مفتوحة ، وستبقى تضخ فى الكيان اليهودى فى الأرض المقدسة بنين وأولاداً ، وقادمين يهوداً ، حتى تتحقق مشيئة الله فى تجميع كل اليهود فى هذه المنطقة ، تمهيداً لساعة الحسم.

نعتقد ان هذا مكان مناسب، لنقف مـع آية آخـرى من سورة الإسراء ، تتحدث عن الإفسـاد الثانى لليهود الذى نعرضـه الآن ، وهـى قوله تـعالى فى قصة موسـى عليه السـلام مع فـرعون ، فى آخـر السورة :﴿**وقلنا من بعـده لبنى إسرائيل اسكنوا الأرض، فإذا جاء وعد الآخرة ، جئنا بكم لفيفاً**﴾(الإسراء:١٠٤).

أى : قال اللـه لبنى إسرائيل ، بعد وفاة مـوسـى عليه السلام بقـرون «اسكنوا الأرض».. أى :تفـرقوا فى أرض اللـه الواسـعـة ، وتشتتوا فيهـا ، وعيشوا فيهـا حياتكم الطـويلة ، التى تموت فيهـا أجيال وأجيال ، مشتتـون فى أرض الشتات ، وهذا كقـوله تعـالى ﴿**وإذ تاذن ربك ليبعثن عليهـم إلى يـوم القيـامـة ، من يسـومهم سـوء العـذاب ، إن ربك لسريع العقـاب ، وإنـه لغفـور رحيم ، وقطعناهم فى الأرض أمما...**﴾(الأعراف :١٦٧ – ١٦٨)

فإذا جـاء وعد الآخرة، وحـان وقت إفسادكـم الثانى ، بعـد قرون مديـدة من تشتتكم فى الأرض والبـلاد والبقاع ، فإن اللـه يأتى بكم «لفيفـا» ، ويجمعكم من مختلف الدول والأقطار، ويفتح باب هجرتكم الى الأرض المقدسة ، لتتجمعوا فيها وتقيموا عليها دولتكم وكيانكم ، تمهيدا للقضاء عليكم ، وإزالة كيانكم فيما بعد.

ومعنى «لفيفا»: ملتفين مجتمعين ، وهـى فى الآية «حال» من الضمير فى «بكم» ، وتصـور الحالـة التى يأتـى فيهـا اليهـود ، من مختلف دول العـالم إلى فلسطين ،وجاءت الأحداث المعاصرة ، لتفسر هذه الآية تفسيرا عمليا واقعيا ، فاليهود كانوا يأتون «لفيفا» الى فلسطين، منذ بداية توجههم للاستيطان فى فلسطين ، منذ نهاية القرن التاسع عشر الميلادى الماضى، وانتهاء بالقرن العشرين الذى نكاد نودعه فى هذه السنوات.

لقد مضى على اليهود أكثـر من قرن ، وهـم يأتون ملتفين فى هجـرات متتابعة ،

تقل أو تكثر، وتزيد أو تنقص ، وتقوى أو تضعف ، لكنها مستمرة على أية حال.

ونـرى فى هـذه السنوات «تسـارعـا» وزيـادة فى الهجرة اليهـوديـة الى أرض فلسطين ، تبدو فى هـذه الأمواج اليهـودية للمهـاجرين اليهـود ، من دول أوروبا الشرقية ، ومن الاتحاد السوفيتى (سابقا) على وجه الخصوص .

ولن يتوقف مـدد الهجرة اليهـودية ، ولن تغلق تلك القنـاة البشرية ، التى تمد الكيان اليهـودى بالأولاد والبنين ، حتى يتم تجميع اليهود كلهم فى هـذه المنطقة، لأن الآية تخاطب اليهود قائلة :«جئنا بكم»، وتوحى بأنه لابد أن يؤتى ويجاء بهم جميعا ، لا يتخلف منهم أحد فى أرض الشتات.

ولهذا ستستمر موجات الهجرة اليهودية للمنطقة ، ويجب ألا يخيفنا ذلك ، لأن الله يريد أن يدخر لنا القضاء عليهم ، لنحقق قدره فى النهاية .

«وجعلناكم أكثر نفيراً»

ومن مظاهر قوة اليهود فى إفسادهم الثانى كما تقرر الآية السادسة فى سورة الإسراء ، القـوة المعنويـة والإعلاميـة والـدعائيـة والـدولية، والمتمثلـة فى قولـه «وجعلناكم أكثر نفيرًا».

والنفير من «النفرة» وهى: الدعم والتأييـد والمساعدة والمساندة، فالـذى يؤيد آخر ينفر معـه ، ويقدم له دعمه ومساعـدته ، ويوافقه فى رأيه ، ويفـرح لفرحه ، ويغضب لغضبه ، ويوالى مـن يواليه ، ويحارب من يحاربه ، ويعادى مـن يعاديه وأوضح ما نـرى المعنى المعاصر الحى لقولـه «وجعلناكم أكثـر نفيرًا» فى التأييد والدعم العالمى للكيان اليهودى فى هذه الأيام.

اليهود الآن هم الأكثر نفيرًا، والأكثـر أعوانًا ومساعدين ومسـاندين ، والأكثر مؤيـدين وموافقين فى دول العـالم . فكثيرة هى الدول الغـربية والشرقيـة ـ وعلى رأسها أمريكا ـ المؤيـدة لليهود ، التى تنفر معهم ، وكثيرة هى الإذاعات وشبكات

التليفزيون التى تدعم المواقف اليهودية فى العالم ، وكثيرة هى الصحف والمجلات ووسائل الإعلام ، التى تعرض وجهة النظر اليهودية ، وتتبناها وتدافع عنها ، ولا تخلو دولة من دول العالم من «أذرع» لذلك «الأخطبوط»، تتمثل فى الصحفيين والإعلاميين والمراسلين والمحللين والوزراء ، الذين يحرصون على مرضاة اليهود! إن الصوت اليهودى فى هذه الأيام هو أعلى الأصوات فى العالم ، وإن الدعاية اليهودية هى أعلى دعاية فى العالم ، وإن الإعلام اليهودى هو أعلى إعلام فى العالم ، وإن ما يريده اليهود الآن يسارع إلى تحقيقه ذلك الأخطبوط العالمى النافر مع اليهود.

وما موقف أمريكا من قضايا اليهود الإعلامية العالمية عنا ببعيد ، وما تدخلها لمصلحة اليهود ، واستخدامها حق النقض «الفيتو» عدة مرات فى مجلس الأمن لمصلحة اليهود ، عنا ببعيد ، وما مهزلة ضغط أمريكا على دول الأمم المتحدة ، لتتراجع عن قرارها السابق الذى اعتبرت فيه اليهودية والصهيونية نازية عنا ببعيدة . ألم يصل النافرون مع اليهود إلى ديانة النصارى ؟ ألم يصلوا الى الإنجيل؟ حيث يطالب بعض الرهبان بإلغاء وشطب بعض العبارات من الإنجيل!!لأنها معادية للسامية اليهودية ؟؟ وماذا نريد نفيراً مع اليهود أكثر من هذا النفير؟!!

إزالة الإفساد الثانى لليهود

تكلمنا فيما مضى عن الإفساد الثانى لليهود ، الذى تشير له سورة الإسراء ، ورجحنا أننا نعيش هذا الإفساد الثانى فى هذا الزمن ، وعرضنا الأدلة على هذا من خلال الآيات التى تتحدث عنه ، وفهمنا الآيات فهما يلاحظ الحالة الواقعية التى نعيشها ، والتى عليها اليهود فى فلسطين.

وقد حدثنا القرآن عن كيفية إزالة الإفساد الثانى لليهود ، وسورة الإسراء تتحدث عن ذلك ، وتحدد الطريق إليه ، وتبين كيفيته ، وتقدم حقائق حوله.

وقفتنا الآن مع قـوله تعالى :﴿إن أحسنتم أحسنتـم لأنفسكم ، وإن أسـاتم فلهـا، فإذا جاء وعـد الآخرة ، ليسـوءوا وجوهكم ، وليـدخلوا المسجـد كما دخلـوه أول مـرة ، وليتبروا مـا علـوا تتبيراً. عسى ربكم أن يـرحمكم ، وإن عدتم عدنا ، وجعلنا جهنم للكافرين حصيرًا﴾(الإسراء:٧-٨).

اليهود بين الإحسان والإساءة

نلاحظ أن القرآن عندما عرض مظاهر قوة اليهود فى إفسادهم الثانى ، قد تكلم عن الإحسـان والإساءة : ﴿ثم رددنـا لكم الكرة عليهم ، وأمـددناكم بأمـوال وبنين ، وجعلنـاكم أكثـر نفيراً. إن أحسنتم أحسنتـم لأنفسكم ، وإن أساتم فلها﴾.

لقد قـرر القرآن حقيقة قرآنيـة قاطعة ، ووضـع قـاعدة حياتية مطـردة ، حول الإحسان والإساءة.

إن من يحسن فإنما يحسن لنفسـه ، لأن ثمرة إحسـانـه تعود إليـه وتنعكس عليـه ، وتبدو عنـده خيراً وسعادة وفـوزاً وفلاحًـا . وإن من يسىء فإنما يسىء لنفسه ، لأن ثمرة إساءته إليه ، وتنعكس عليـه ، وتبدو عنده شراً وشقاءً وهزيمة وخسارة.

هـذه القاعـدة المطردة حـول الإحسـان والإساءة ، تنطبق على جميع الأفـراد والمجتمعات ، والأمم والدول ، والأقوام والحكومات ، فى أى زمان ومكان .

والسؤال الآن : لماذا الكـلام عن الإحسان والإساءة فى أثناء الكـلام عن إفساد اليهود ؟ وما الربط بين الأمرين ؟

قـال الله لليهـود فى كتابهم «التـوراة» من قبل : إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلهـا. فإحسـانكم يعـود عليكم ، وإسـاءتكـم تحيق بكم ، فإذا أردتم

النجاح والفلاح ، فما عليكم إلا أن تحسنوا ، تحسنوا إحسانًا عاما شاملاً ، وتحذروا الإساءة وتتجنبوها ، لئلا تجنوا ثمارها المرة!

وإخبار اليهود فى التوراة بهذه القاعدة ، رد على زعمهم تفردهم على البشرية وتفضيلهم على باقى الناس ، وأنهم شعب الله المختار ، وأنهم أبناء الله وأحباؤه ، وأن الله معهم دائما ، ولا يتخلى عنم أبدا ، فإن أحسنوا فهو معهم ، وإن أساءوا فهو معهم ، وإن طغوا وبغوا وظلموا فهو معهم ، ولن يتخلى عنهم لأنهم أبناؤه وشعبه ، فكيف يتخلى عن أبنائه وشعبه؟!

هذه الأكاذيب والمزاعم والأوهام اليهودية ، لا نصيب لها من الحق ، لأنه لا محاباة عند الله، ومن سنة الله أن تقع بالإنسان نتيجة عمله ، خيراً كان أو شراً ، وأن يجنى القوم ثمرة عملهم ، إحسانًا كان أو إساءة.

فيقول الله فى التوراة لليهود: إن الله يجزيكم بإحسانكم ، ويجازيكم على إساءتكم ، فإن أردتم توفيق الله فعليكم أن تحسنوا، وأن تتجنبوا الإساءة ، فإن أبيتم وخالفتم وأسأتم ، فانتظروا الجنى المر من ذلك الزرع السام!

تمكن اليهود ملازم لإساءتهم

اليهود قوم عجيبون غريبون ، لقد جبلوا على الإساءة والتكبر ، والفساد والإفساد ، إنهم لا يعرفون الإحسان والبر والرحمة والخير.

وعندما يكون أمامهم طريقان: طريق الإحسان والخير ، وطريق الإساءة والشر ، ويدعون إلى اختيار إحدى الطريقين، فإنهم يختارون الطريق التى تتفق مع نفسيتهم ، المعقده المنحرفة المشوهة ، طريق الإساءة والشر ، والتاريخ اليهودى بقرونه المديدة يقدم أوضح الأمثلة على هذه الحقيقة!

جاء الكلام عن الإحسان والإساءة فى أثناء الكلام عن الإفساد الثانى لليهود ،

وهذا يكشف عن النفسية اليهودية العجيبة.. اليهود عندما يصلون ويتمكنون ويتحكمون، هل يحسنون أم يسيئون؟

إذا كان اليهود لا يعرفون الإحسان للآخرين فى فترات الضعف من تاريخهم، فكيف سيحسنون فى فترة التمكن والعلو؟

إن اليهود لن يحسنوا عند التمكن والعلو، فعلوهم وتمكنهم قرين الإفساد والفساد، ﴿لتفسدن فى الأرض مرتين، ولتعلن علوا كبيرا﴾، ولا يجتمع الإحسان مع الإفساد، فإذا كان تمكنم وعلوهم الكبير يقوم على الفساد والإفساد، فهذا يعنى أنه ملازم للإساءة والشر.

إن اليهود سيستخدمون فترة حكمهم وتمكنهم فى إفسادهم الثانى الكبير لامتصاص الشعوب عند تحكمهم فيها، وقد امتلأ التاريخ المعاصر- وبخاصة فى سنواته الأخيرة- الذى شهد الإفساد الثانى لليهود، امتلأ بالأمثلة والنماذج العديدة، التى يبدو فيها امتصاص اليهود للشعوب الغربية والشرقية، والآسيوية والأفريقية، والأوربية والأمريكية.

لقد امتص اليهود خيرات الشعوب العديدة، وبخاصة تلك التى قدمت لهم العون والدعم والتأييد، لقد عض اليهود تلك الأيدى الممتدة لهم بالمساعدة، ولقد قابل اليهود كل ذلك بالإساءة والشر والأذى.

كم أساء اليهود للدول التى دعمتهم؟ كم أساء اليهود للفرنسيين والألمان والإنجليز والروس والأمريكان؟

تقول الآية لليهود فى فترة تمكنهم وتحكمهم وعلوهم الثانى الكبير: إذا أحسنتم أيها اليهود مع الدول الأخرى .. فإن إحسانكم لأنفسكم، وإن أحسنتم التعامل مع تلك الشعوب، فستبقى تلك الشعوب معكم، وإن راعيتم مصالحها فسوف تراعى مصالحكم.

أما إن اسأتم الى تلك الدول والشعوب، فإن إساءتكم إليهم فى هذا العصر

تنعكس عليكم، وبما أن اليهـود قـابلـوا الـدعم الدولى لهم بـالإسـاءة ، فسـوف يواجهون فى المستقبل القريب الانتقام المريـر من تلك الدول والشعوب! إن إساءة اليهود للعـالم الآن بارزة وواضحة، وإن امتصاصـهم لخيرات الـدول والشعوب مرفـوضـة ، وإنهم بهذا يستجلبون الغضب الشعبى العـالمى عليهم ، ويكون ذلك عاملاً من عوامل إزالة إفسادهم الثانى الكبير.

هذا هو الإفساد الأخير لليهود

تحدث القـرآن عن الإفساد الثـانى لليهـود بقولـه :﴿**فإذا جاء وعـد الآخرة ليسوءوا وجوهكم**﴾ وبقوله:﴿**فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفاً**﴾ . وقلنا فيما سبق إن الآخرة هنا لا يراد بها يوم القيامة ، فليست هى المقابلة للدنيا ، وإنما الآخرة هنا هى المقابلة للأولى ، والأولى فى قوله ﴿**فإذا جاء وعد أولاهم**﴾ أى المرة الأولى ، والآخرة ﴿**فإذا جاء وعد الآخرة**﴾ أى المرة الثانيـة فى الإفسـاد .. ونلحظ فى الآيـة إشارة قرآنـــية عجيبـة: لمـــاذا ســمى القـرآن الإفســاد الثـانى بوعـد الآخرة؟

الآخرة هى الأخيرة ، التى لا شئ بعـدهـا . والدار الآخـرة هى المقابلة للـدنيا، التى لا دار بعدها ، لأنها إما جنة أبداً وإما نار أبداً ، واليوم الآخر هو اليوم الأخير الذى لا أيام بعده ، حيث يتوقف «عـداد الزمن» بعد ذلك ، ولماذا العد؟لماذا حساب الأيـام والشهـور والسنين ؟ أمن أجل حســاب أعمار الأفـــراد ؟ ولماذا حســاب أعمارهم؟ مادامـوا مخلدون فى الجنة أو النار، لا موت ينهى حيـاتهم ، ولا يوقف عدد سنواتهم واستمرار أعمارهم؟

وهذه المرة الثانية فى إفساد اليهـود هى الآخرة والأخيرة ، التى لا مرة بعدها ، وإفسـادهـم هو الإفسـاد الآخر والأخير ، الذى لا إفساد لهم بعده !!

إننـا نرى من خـلال الآية أن هـذا هو الإفســاد الأخير لليهود ، ذلك الإفســاد

المقترن بالعلو، والتمكن والسلطان ، والتحكم والقوة والنفوذ.. إنها الفرصة الأخيرة لليهود ، التى يتمكنون فيها من إقامة كيانهم على أرض فلسطين ، والتحكم فى العالم من خلاله .

وإنها المرة الأخيرة التى لا تتكرر لليهود بعد ذلك ، صحيح أنهم قد يعيشون بعد تدمير وإزالة كيانهم على أرض فلسطين ، لكن يعيشون أفراداً يهوداً ، أو جماعات يهودية فى العالم، ذليلة مستضعفة ، بدون علو وتمكن وقهر وسلطان.

إننا نحن المسلمين الذين سندمر كيان اليهود بإذن الله ، ونزيل إفسادهم الثانى بعون الله ، ونريح العالم من العلو اليهودى ، والغطرسة والتكبر والإفساد والعدوان.

لماذا قال : «ليسوءوا وجوهكم»؟

المعركة فى فترة الإفساد الثانى لليهود ، بين اليهود والذين أزالوا إفسادهم الثانى ، والحرب بين اليهود ونفس الأمة طويلة ، تستمر قرونًا عديدة ، ولا تنتهى إلا بتصفية إحدى القوتين.

وإذا كنا قد رجحنا فيما سبق أن إفساد اليهود الأول كان فى المدينة ، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة هم الذين أزالوا إفسادهم الأول ، فإن أحفاد المسلمين هم الذين يزيلون إفسادهم الثانى.

إذن المعركة فى إفسادى اليهود فى المرتين ، هى بينهم وبين المسلمين.

الخطاب فى قوله تعالى :﴿**فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم**﴾ليهود ، والإخبار فيه عن المسلمين.

أى : إذا جاء وعد المرة الآخرة من مرتى إفسادكم ، وتحقق إفسادكم الأخير ، فإن أعداءكم المسلمين سينتصرون عليكم ، وسيغلبونكم ، وسوف يسوءون

وجوهكم ،وسوف يدخلون المسجد ، وسوف يتبرون ما علوتم تتبيراً ، ويدمرونه تدميراً.

الفاعل الضمير فى قوله «ليسوءوا» يعود على المسلمين ، الذين سيحاربون اليهود فى إفسادهم الثانى ، والضمير فى «وجوهكم» يعود على اليهود ، وكذلك الفاعل فى قوله **﴿وليتبروا ماعلوا تتبيراً﴾** يعود على المسلمين ، والتتبير هو التدمير .. إذن قوله:**﴿ليسوءوا وجوهكم ، وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة ، وليتبروا ما علوا تتبيراً﴾** يبين طبيعة وملامح وسير المعركة بين المسلمين واليهود ، التى تنتهى بإزالة الإفساد الثانى لليهود ، وتدمير كيانهم على أرض فلسطين.

إن المعركة لا ينتج عنها إبادة اليهود وإفناؤهم والقضاء عليهم ، وإنما ينتج عنها إزالة فسادهم وتدمير كيانهم ، وتحويلهم إلى مجموعات يهودية ذليلة مهزومة مسحوقة.

لم تقل الآية : إذا جاء وعد الآخرة سيقتلونكم ويبيدونكم ويفنونكم ، وإنما قالت : ليسوءوا وجوهكم.

و«يسوءوا وجوهكم» أى يوقع المسلمون السوء والأذى باليهود ، ويبدو هذا السوء على ملامحهم ، ويظهر على وجوههم ، وإساءة وجوه اليهود لا تعنى إفناءهم .. فهم مازالوا يعيشون أحياء ، وما زالت لهم وجوه تساء ويبدو عليها السوء.

هزيمة وإزالة وليست إبادة

إن إساءة اليهود تعنى : هزيمتهم فى المعركة ، وإزالة إفسادهم ، والقضاء على علوهم وغطرستهم.. إن سوء وجوههم يبدو فى مرارة الهزيمة ، التى ينتج عنها ذلهم وهوانهم وضعفهم.

وقوله :«وليتبروا ماعلوا تتبيرًا» يساعد على توضيح طبيعة وسير المعركة بين المسلمين واليهود أيضًا ، فهؤلاء المسلمون المجاهدون المنتصرون ، الذى دخلوا المسجد وغلبوا اليهود، سوف يتبرون كل ما علوا عليه تتبيرا ، وسوف يدمرون كل ما ظهروا عليه تدميراً ، وسوف يزيلون قوة وسلطان اليهود.

إنهم لا يبيدون اليهود إبادة فى هذه المرحلة من معركتهم الطويلة مع اليهود ، ولا يفنونهم إفناء ، وإنما يتبرون ويدمرون قوتهم ، ويقضون على أسلحتهم ، وينهون كيانهم.

فى هذه المرحلة سيعلو المسلمون المجاهدون ، ويظهرون على جيش اليهود ، وعلى أسلحة اليهود ، وعلى مرافق ومؤسسات وقاذفات اليهود، وعلى الأسلحة الذرية والكيماوية التى عند اليهود ، وعلى مفاعلاتهم النووية وترسانتهم العسكرية ، وسوف يتبرون كل ذلك تتبيراً ، ويدمرونه تدميراً ، ويبيدونه إبادة.. وبذلك سوف يسيئون وجوه اليهود ، لأن اليهود سيتحولون بعد ذلك التدمير والتتبير لكل ما يملكون إلى مجموعات ذليلة مشتتة ، بين الشعوب والأقوام.

معركتنا مع اليهود ذات مرحلتين

إن معركتنا الشرسة القادمة مع اليهود تقوم على مرحلتين:

المرحلة الأولى : التى تحدثت عنها آيات سورة الإسراء التى نتحدث عنها ، والتى توجه إلى كيان اليهود على أرض فلسطين لتدميره ، وإلى إفسادهم الثانى لإزالته ، والتى تنتهى بانتصار المسلمين المجاهدين على اليهود ، ويتحقق فيها تدمير كيانهم ، وإزالة إفسادهم، واسترداد فلسطين كلها منهم ، وتحويل اليهود بعدها الى قوم أذلاء مستضعفين ، ومجموعات مشتتة فى مختلف أنحاء البقاع.

المرحلة الثانية : التى تتم فيها إبادة اليهود تمامًا ، وإفناؤهم نهائيًا ، وإراحة البشرية من وجودهم ، بحيث لا يبقى بعدها يهودى حيًا ، وهذه المرحلة متأخرة ،

لعلها لا تأتى إلا فى اللحظات الأخيرة من عمر الدنيا ، حيث سيظهر الدجال - وهو يهودى - من جهة الشرق ، وحيث سيتبعه من يهود أصفهان وحدها - من إيران - سبعون ألف يهودى ، والآن لعله لا يوجد فيها خمسة أفراد يهود ، ثم يحارب عيسى بن مريم عليه السلام الدجال ومن معه من اليهود ، ويقتل الدجال بيده الشريفة عليه السلام ، وفيها سيقضى المسلمون على كل يهودى ، وفيها سيتحقق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :«لن تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود ، فتقتلوهم ، حتى ينطق الشجر والحجر فيقول : يا مسلم ياعبد الله : هذا يهودى ورائى تعال فاقتله».

إننا نرى أن هذا الحديث الصحيح ، يتكلم عن الجولة الأخيرة من الجولات العديدة للحرب الطويلة بيننا وبين اليهود ، تلك الجولة التى يكون فيها المسلمون مجاهدين مع عيسى عليه السلام، ويكون فيها اليهود جنودا مع المسيح الدجال ، والتى تنتهى بإفناء كل يهودى ، والتى تقوم بعدها الساعة.

أما قوله :﴿ **فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم ، وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة ، وليتبروا ما علوا تتبيرا** ﴾ فهو يتحدث عن إزالة الإفساد الثانى لليهود ، ويكون قبل الجولة الأخيرة من المعركة بزمن طويل ، وتحقيق هذا قريب بعون الله .

إنها حرب طويلة مديدة بيننا وبين اليهود ، بدأت منذ بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ، وسوف تستمر حتى خروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام ، والقضاء على آخر يهودى بعد ذلك ، هذه المعركة الطويلة لها جولات وجولات ، وفيها كر وفر ، يغلبنا فيها اليهود مرة ونغلبهم مرات ، ويهزموننا مرة ونهزمهم مرات.

وإن أشد وأعتى وأعنف وأقسى جولات هذه المعركة هى هذه الجولة ، التى

نعيش فيها فى هذا الزمان ، والتى تحققت فيها غلبة اليهود علينا ، وهزيمتهم لنا ، ولكنها جولة تتبعها جولات ، لنا فيها الظفر والغلبة والنصر بإذن الله .

وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة

وردت هذه الجملة من الآيـة ، أثناء الحديث عن إزالة الإفساد الثانى لليهود ، وقد حددت بعض ملامح المعركة فى هذه الجولة ﴿**وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة**﴾.

الضمير الفاعل فى «ليدخلوا» يعود على الضمير الفاعل فى قوله« ليسوءوا»، فالذين يسوءون وجوه اليهود ، هم الذين يدخلون المسجد كما دخلوه أول مرة ، وهذا الضمير يعود على المسلمين المجاهدين لليهود ، فهم الذين يدخلون المسجد، بعدما يسوءون وجوه اليهود.

والمراد بالمسجد هنا المسجد الأقصى، والتعريف فيه للعهد ، لأنه ذكر فى الآية الأولى من السورة ﴿ **سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله**﴾ وقوله﴿**كما دخلوه أول مرة**﴾ فاعل «دخلوه» يعود على المسلمين ، والهاء المفعول به فى «دخلوه» تعود على المسجد الأقصى ، وأول مرة دخولهم للأقصى فاتحين فى المرة الأولى.

ومعنى الآية : عند إفساد اليهود الثانى، سيتغلب عليهم المسلمون ، وسيسوءون وجوه اليهود ، وسيدخلون المسجد الأقصى فاتحين ، وسيستردونه من اليهود ، كما دخلوا هذا المسجد الأقصى فاتحين أول مرة ، وأخذوه من كفار مثل اليهود ، واستردوه منهم ، وهم الرومان الذين كانوا يستعمرون الأقصى وفلسطين عند إفساد اليهود الأول فى المدينة ، ففتح المسلمون بلاد الشام فى خلافة الصديق وعمر رضى الله عنهما، ودخلوا المسجد الأقصى فاتحين ، وطردوا منه

الرومان ، بعدما ساءوا وجوههم ، وتبروا ما علوا عليه من قوة وسلطان الرومان تتبيرا ، ودمروه تدميرا ، فى فتوح بلاد الشام ، وما أشبه الليلة بالبارحة!

المعركة : معركة الأقصى

لقد بُنى المسجد الأقصى زمن إبراهيم عليه السلام ليُعبد فيه الله وحده، ثم عدت عليه عوادى الزمن ، فجدده سليمان عليه السلام مسجدا إسلاميا ، ليعبد فيه الله وحده ، ثم عدت عليه عوادى الزمن بعد ذلك، وانتهى باستعمار الرومان الكافرين ما حول المسجد الأقصى، فخرج المسلمون المجاهدون بعدما أزالوا إفساد اليهود الأول فى المدينة، إلى بلاد الشام وحرروها من الرومان الكافرين ، ودخلوا المسجد الأقصى، وأعادوه لعبادة الله وحده.

وعند إفساد اليهود الثانى وإقامة كيانهم على أرض فلسطين:سلبوا المسلمين المسجد الأقصى وما حوله ، ولذلك عندما ينتصر عليهم المسلمون المجاهدون ويسوءون وجوههم ، ويتبرون ما علوا تتبيرا ، سيتوجون انتصارهم بدخولهم المسجد الأقصى ، وإعادته لعبادة الله وحده.

عند إفساد اليهود الأول فى المدينة ، كان المسجد الأقصى خاضعا للكفار الرومان ، فلما أزال المسلمون إفسادهم الأول ، دخلوا المسجد الأقصى وحرروه من سلطان الرومان.

وعند إفساد اليهود الثانى فى هذا العصر ، احتل اليهود المسجد الأقصى ، وعندما يزيل المسلون المجاهدون هذا الإفساد سيدخلون المسجد الأقصى ويحررونه من سلطان اليهود.

ثم إن قوله«وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة» يبين كيفية دخول المسلمين للمسجد الأقصى عند إفساد اليهود الثانى ، ويوضح كيفية الحرب مع اليهود.. إنهم لن يدخلوا الأقصى فى المرة الثانية الآخرة، عن طريق السلم والصلح

والمفـــاوضات مـــع اليهـــود ، لأن هـذا معنـــاه العبـوديــــة والــذل والهوان والاستسلام.

إنهم سيدخلون المسجد الأقصى ويحررونه مـن اليهود الكفار فى المرة الثانية ، كما دخلوه وحرروه من الرومان الكفار فى المرة الأولى ، عند إفساد اليهود الأول ، حيث دخلوه فاتحين غالبين منتصرين ، وهذا يعطينا بشرى وأملا بانتصارنا على اليهود ، وإزالتنا لإفسادهم الثانى، وتحريرنا لفلسطين كلها منهم بعون الله.

ثم إن المعركة عنـد الإفساد الثانى لليهود ، بين المسلمين واليهـود ، هـى معركة إسلاميـة إيمانية فى الجانـب الإسلامى ، وليست معـركة قـومية أو يســارية أو يمينيـة أو إقليمية ، إنها ليست معـركة فلسطينيـة أو عربيـة فقط ، إنها معركـة إسلامية، معـركة المسجد الأقصى ، هذه هـوية المعركة وطبيعتهـا ، وينتج عنها تحرير البلاد ، ورفع كلمة الله ، وتطبيق شرع الله على تلك البلاد المحررة.

لطائف قرآنية من الآيات

لدى تدبرنـا للآيات التى تتحدث عن إفسادى اليهود ، والتـى تحدد لنا مظاهر قوة إفسادهـم الثانى، وكيفية إزالته والقضاء عليـه ، والتى تشير إلى أن كيانهم المعاصر على أرض فلسطين إلى زوال ، وأنه لا مستقبل لهم على أرضنـا المقدسة.. لدى تـدبر هذه الآيـات فسنجد فيها بعض اللطائف القـرآنية، التى تعزز وتـؤكد فهمنا للآيات كما عرضناه من قبل . ومن هذه اللطـائف بالإضافة إلى ما عرضناه منها من قبل:

أفعال ثلاثة مقابل أفعال ثلاثة

الأفعال التى تشير إلى تمكن اليهود مسندة الى الله ، وهى أفعال ثلاثة :

﴿ثم رددنا لكم الكرة عليهم ، وأمددناكم بأموال وبنين ، وجعلناكم أكثر نفيرا﴾ رددنا ، أمددنا ، جعلنا ، الفاعل فى الأفعـال الثلاثة «نا» الذى يعود الى الله،

أى الله هو الـذى يرد لليهود الكرة على المسلمين عند الإفساد الثـانى ، وهو الذى يمد هؤلاء اليهود بالأمـوال والبنين ، وهو الذى يجعلهم أكثر نفيرا ، أى الله يفعل هذا بهم ، ويملى لهم ويمكنهم الى حين، وفق حكمتـه ومشيئته التى تنتهى بهم إلى تدميرهم والقضاء عليهم.

وإسناد الأفعـال الثلاثة السـابقة إلى الله ، يـوحى بأن اليهود لا يملكـون قوة ذاتية عند إقامتهم لكيانهم الموعود ، وإنما هم خاضعون لمشيئة الله ، التى ستكتب عليهم الدمار والهلاك فى النهاية.

وعند كـلام الآية عن فعل المسلمين بهم ، فقـد عرضت ثـلاثة أفعـال ، مسندة للمسلمين المجاهدين **﴿فإذا جاء وعـد الآخرة ليسوءوا وجوهكم ، وليـدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة، وليتبروا ما علوا تتبيرا﴾** ليسوءوا ، وليدخلوا ، وليتبروا ، والفاعل فيها «الواو» يعود على المسلمين. صحيح أن الله هو الذى يقرر ويقدر ، ويشاء ويريد إساءة وجوه اليهود، ودخول المسلمين المجاهدين للمسجد، وتدميرهم قوة اليهود، لكن إسناد هـذا إلى المسلمين فيه تكريم من الله للمسلمين ، وتشريف لهم . إذن هى أفعال ثلاثة لليهود ، تقابلها أفعال ثلاثة للمسلمين.

بين «إذا » و«إن»

وهناك لطيفة قـرآنية أخرى فى الآيات، عندمـا تكلمت الآية عن تحقق الإفساد الثانى لليهود وعن تدمير المسلمين لـه عبرت بحرف الشرط «إذا»، فقالت «فإذا جاء وعد الآخرةليسوءوا وجوهكم ، وليـدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة، وليتبروا ما علوا تتبيرًا»..

بينما عبرت بحرف الشرط «إن» عنـد كلامها عن إحسـان اليهود «إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم، وإن أسأتم فلها».

كما عبرت بحرف الشرط «إن» عند كلامها عن عودة اليهود للإفساد ، «وإن عدتم عدنا»، وهناك فرق بين «إذا» و«إن» الشرطيتين.

تدخل «إذا» على فعل الشرط إذا كان متحققا وقوعه متأكدا منه ، لا شك فيه، وتدخل «إن» على فعل الشرط غالبا ، إذا كان مستحيل الوقوع ، أو مشكوكا فى وقوعه.

ولهذا مادام إفساد اليهود الثانى سيتحقق ، ومادام سيزول ويدمر من قبل المسلمين ، لذلك عبر عنه بحرف الشرط «إذا»الذى يدل على وجوب الوقوع.

ولكن بما أن الإحسان من اليهود لن يتحقق ، لذلك عبر عنه بحرف الشرط «إن» التى تدل على استحالة الوقوع ، أو الشك فيه ، «إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم».

وبما أن عودة اليهود للإفساد بعد تدمير كيانهم فى إفسادهم الثانى مستحيلة، عبر عنها بحرف «إن» تدل على هذا المعنى «إن عدتم عدنا».

بهذا نكون قد قدمنا فهمنا للآيات التى تتحدث عن إفسادى اليهود فى سورة الإسراء ، وبهذا عرفنا أننا نعيش الآن إفسادهم الثانى ، وعرفنا أننا المرشحون لتدمير كيانهم ، وإزالة إفسادهم الثانى ، وبهذا نعرف أن كيانهم القائم على أرض فلسطين لا مستقبل له!.

نقدم فهمنا للآيات للقراء الكرام ، ونكِلُ علمها الى الله سبحانه، فإن أصبنا فمن الله ، وله الحمد والشكر على ذلك ، وإن أخطأنا فيما قلنا وفهمنا ، فمن أنفسنا ، ونعوذ بالله من ذلك، والله تعالى أعلم ، وهو الموفق والهادى الى سواء السبيل.. ونعوذ بالله من فتنة القول والعمل ، ومن فتنة الهوى وسوء الفهم . ونتوجه بهذا إلى الله، راجين منه القبول والأجر والثواب، وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم.

****

المحتويات

الموضوع | الصفحة